

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسبية بن بوعلي الشلف
كلية الآداب والفنون
قسم الآداب والفنون



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم
التخصص: اللغة والأدب العربي

العنوان

المنطلقات الفكرية وإشكالات المنهج في القراءات المعاصرة للخطاب القرآني

إعداد

الطالبة: عياد بلمهدي

المناقشة بتاريخ: 10./06./2019 من طرف اللجنة المكونة من:

رئيسا	جامعة حسبية بن بوعلي - الشلف -	أ. محاضر (أ)	بن عربية راضية
مشرفا ومقررا	جامعة لونيس علي - البليدة (2)	أ. التعليم العالي	زيوش محمد
عضوا مناقشا	جامعة لونيس علي - البليدة (2)	أ. محاضر (أ)	ريوقي عبد الحليم
عضوا مناقشا	جامعة ابن خلدون - تيارت -	أ. التعليم العالي	زروقي عبد القادر
عضوا مناقشا	جامعة ابن خلدون - تيارت -	أ. التعليم العالي	بوزيان أحمد
عضوا مناقشا	جامعة حسبية بن بوعلي - الشلف -	أ. محاضر (أ)	فتوح محمود

الموسم الجامعي: 2018/2019.



الشكر والتقدير

الشكر لله وحده على عظيم فضله، وجزيل عطائه، وكمال كرمه
وإحسانه، لإنعامه علي بإشرافه أستاذ كريم، و عالم جليل، و رجل
فاضل، فضيلة الأستاذ الدكتور: محمد زيوش، الذي عمرني بعطفه
و رعايته و نصائحه و توجيهاته، و منحني من وقته الكثير، و أعطاني
من علمه الغزير، و أمدني بالمعلومات القيمة، و أسعفني بحسن آرائه
و إرشاداته في استدراك ما فاتني عمله في رسالتي هذه.

فجزاه الله عنيو عن طلبة العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بأخلص عبارات الشكر والاحترام وأصدق معاني الشوق
والامتنان، للسادة الأساتذة الكاترة وأعضاء لجنة المناقشة الذين

تعبروا معي في قراءة ما كتبت كلمة كلمة، فعدلوا ووجهوا

ونصحوا ونقدوا وشرحوا وطلوا...

فأجادوا وأفادوا، فاللهم ارض عنهم، وأنزل عليهم رضوانك الأكبر

الذي لا سخط بعده، واحفظهم بحفظك، فأنت خير الحافظين.

الإهداء

إلى أبي محفوظ قدور، وأخي ناصر، في أنوار وروضة القبور، عند رب
كريم رحيم غفور... وإلى أمي الحنون - حفظها الله وأطال عمرها - بكل
خير وبركة وصحة وبهجة وسرور... وإلى زوجتي، شمة من الحور... وإلى
أبنائي... عبد الخالق، وعبد العليم، وملاك، ورفيقة، وأسينات غفران...
التي ملأت الدار بالفرح والبشر والحبور.. وإلى الأخوة، كل واحد باسمه،
وجميل اسمه، وإلى أولئك الذين ارتشفوا من ضرب القرآن، و تذوقوا
حلاوته، و نهلوا من معينه، وعرفوا من عبايه، فعاشت فيه أرواحهم،
وأشربت حبه قلوبهم، فأفندوا فيه حياتهم، فتخلقوا بأخلاقه فكانوا بذلك
منارات للمدى، وأعلاما للاقتداء، و نجوما للاقتداء،

إلى العلماء الربانيين، العاملين المخلصين.

في كل زمان و مكان، و عصر و مصر

الباحث: عياد بلعدي

مقدمة

1- الأرضية المعرفية للبحث:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة الحسنى للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وبعد:

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، هو الفصل ليس بالهزل، فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا، لا يمله الأتقياء، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، وهو رأس مقدسات الإسلام، وعمدة التشريع، وينبوع الحكمة، يعطف النفوس إلى الحق، ويلفت العيون إلى النور، ويهدي الحيارى إلى أهدى سبيل، وأوضح طريق، وأنهج درب، وأقوم مسار، وأبلغ حجة، وأقوى تأثير، فلا غرو أن ينزله المسلمون على مر التاريخ وتعاقب العصور، منزلة التقديس والتبجيل والتنزيه والإكبار، يعكف العلماء على النهل منه، قراءة وبحثا وتفسيرا وشرحا وتحليلا..، تبيانا للأحكام، ومدارحة للنوازل، ونهوضا بحجة الله تعالى على خلقه.

والمفسرون هم أخلص الناس بصحبة القرآن، وأقربهم إلى فهم معانيه ومبانيه، وأعلم الناس بمنهج فهم القرآن وتفسيره وتدبره، وقد ساروا في هذه المناهج عنقا فسيحا، وقطعوا شوطا كبيرا، تأصيلا وتقعيدا، وضبطا واستقراء، واستنتاجا واستلهاما، لا يصرفهم صارف عن التأصيل لقواعد النظر الصحيح، والتدبر الأمثل، فضلا عما جادت به قرائحهم، ودونته أناملهم، وكتبته أقلامهم، من تفسيرات شتى للنص القرآني، تفاوتت وتنوعت في منازعها ومشاربها ومشارعها، تفاوتها في مقادير الإجادة والإحسان، بيد أن استفراغهم الواسع في التأصيل والتقعيد، لم يكن عاصما لبعض المذاهب والفرق من ركوب التأويل المستكره، والرأي المذموم، انتصارا للمعتقد، أو نضحا عن المذهب، وإذا كانت فتنة التأويل دُرّ قرنها في عصور ذهبية، وديار العلم مأنوسة، وأحكام القرآن مطبقة، وحملته متوافرون، والاحتكام إلى هديه لا مناص منه، والاجتهاد في حصانة من القواعد، وإلى ملجأ من النظر السديد...، فما بالك اليوم وقد انكمش ظل العلم، وقلت الديانة، واستحكمت الأهواء، وأصبح التفسير - على جلاله قدره وشرف صناعته - متنفسا لكل ذي دخلة سيئة، وعقيدة فاسدة، وتوجه رديء، ومصداق ذلك ما يروج من دعوات إلى قراءات حدائثة معاصرة للقرآن الكريم، ومهما يكن من أمر فقد نقب هذا النقب في فكر الأمة، وأصبح له أنصار وأعوان، يدافعون عنه، فكثير المهرج والمرج، وسهرت أعين، وغفت أخرى، سهرت أعين تربصا بمقدسات الإسلام، وتأهبا لإبادة تراثه التفسيري، وغفت أعين أخرى، تھوينا للأمر، أو غفلة عما يراد بدين الله تعالى، فجاء النسف في مسالخ التجديد، وقد كثرت في الآونة الأخيرة وانتشرت الأقلام المسمومة، التي تطعن في الخطاب

القرآني تلميحا وتصريحا، بتحريف معانيه، وقلب مقاصده، ومحاولة فهمه على غير مراد الله سبحانه وتعالى، فقد حاولوا تجزئى أحكامه بقصد التشويه، وعدم رد الجزئي إلى الكلي، وقد جاء هذا الفعل في بعض الأحيان من كتاب كبار في نظر كثير من الناس، ولكن ليس لهم حظ من العلم الشرعي، فوقعوا في أخطاء، واقترفوا خطايا لا يقترفها مسلم عامي، مدفوعين في ذلك بما يحملون من رواسب الثقافة الغربية التي تشبعوا بها، وبصراعها المرير مع كل ما ينتمي إلى الدين رغم إقرارهم صراحة بوجود مزايا وخصائص في دين الإسلام لا توجد في غيره من الأديان، وهؤلاء الكتاب الكبار رغم تناقضاتهم لهم مكانة كبيرة بين عدد كبير من المثقفين الذين يأخذون كلامهم على أنه حق وصدق، بل لا سبيل إلى دفعه بغيره، فآفة الناس قديما وحديثا أنهم متى عظموا شخصا، لم تظهر لهم أخطاؤه، ولم ينتبهوا لعيوبه، وقديما قيل: وعين الرضا عن كل عيب كليلة.... كما أن عين السخط تبدي المساويا، لذلك وجب التنبيه على تلك الأخطاء وإظهار تلك الخطايا، ليس تنقيصا لأحد -حاشا لله - بل نسأل الله سبحانه وتعالى الهداية لنا ولجميع خلقه - ولكن هذا إحقاقا للحق، وقياما بالواجب الشرعي المنوط بكل مسلم في الدفاع عن دينه حسبه الله عز وجل، كما أننا ننقد الفكرة، لا صاحبها، وننقل الحقيقة، ونقبل الرأي المخالف، ونؤيد الأفكار البناءة، ونتمم ما يبدو ناقصا، ونحقق الآراء والأفكار، ونتحقق منها، ونوثقها، ومنتصر للأقوال التي تخدم كتاب ربنا بغض النظر عن قائلها، وعن دينه ولغته ومذهبه وانتماءاته الإيديولوجية، فهدفنا خدمة كتاب الله عز وجل.

وقد عكفت مدة من الزمان على قراءة بعض ما كتب في هذا الباب مع تركيز شديد، واهتمام كبير على ما كتبه الدكتور محمد أركون (1928-2010)، الذي اشتهر بنقد "العقل الإسلامي"، وكتابه "القرآن من التفسير إلى تحليل الخطاب"، ومحمد عابد الجابري (1935-2010)، الذي اشتهر بنقد "العقل العربي"، وخاصة كتابه "مدخل إلى القرآن"، ونصر حامد أبو زيد (1943-2010)، إشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا"، و"الخطاب الديني - رؤية نقدية-"، ومحمد شحرور (من مواليد: 1938)، "الكتاب والقرآن"، ومحمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004)، في كتابيه "القرآن والمتغيرات الاجتماعية والتاريخية"، و"منهجية القرآن المعرفية"، وغير هؤلاء مثل عبد الحميد الشرفي (من مواليد: 1942)، وهشام جعيط (من مواليد: 1935)، والطيب تيزيني (من مواليد: 1934)، ومحمد طول، وسليمان عشراي، وحبيب مونسي، وعبد المالك

مرتااض...وقرأت لكثير من المستشرقين، والمهتمين بالوحي الإلهي، ويكتبون في النص الديني، ويشتغلون على الخطاب القرآني.

وبعد جمعي للمادة العلمية، وقراءتي المتكررة لكل ماله علاقة بأطروحتي هذه، تبين لي أن هذا الموضوع سيكون كبيرا جدا، وطويلا ومتشعبا ومتشابكا ومتداخلا، والداخل إليه كالداخل إلى بحر مظلم هائج متلاطم الأمواج، لا ساحل له، الغوص فيه خطير، والنجاة منه محفوفة بالمكاره، لأن كل واحد من هؤلاء الرجال، المفكرين، الكتاب، والنقاد...، يحتاج فكره إلى بحث مستقل، وتحتاج كتابات كل واحد من هؤلاء، إلى بحوث ودراسات مستقلة، بداية بمنطلقاتهم الفكرية، ونظرتهم المختلفة للخطاب القرآني، ومناهجهم المتبعة في هذه القراءات المعاصرة، وأهدافهم ومراميمهم ومقاصدهم من وراء ذلك، وطرق وأساليب تطبيقهم لآليات الفهم المعرفية المعاصرة، على هذا الخطاب الرباني، كما أن المقارنة بينهم تحتاج أيضا إلى بحوث أخرى....

قررت في هذا البحث الاقتصار على ذكر بعض آرائهم وأقوالهم التي تخدم بحثي هذا أو هي من صلب هذا الموضوع.

دون التركيز على واحد من هؤلاء، لأنهم يشتركون في هدف واحد وهو: دراسة الخطاب القرآني قديما وحديثا، ودعوتهم إلى إعادة قراءته بآليات وطرق ومناهج جديدة، أغلبها غربية المصدر، وغربية المنشأ والمنبت، وافدة إلينا بكل ما فيها وما لها وما عليها، وإن كانت النية والمقصد من وراء ذلك تختلف من باحث إلى باحث، ومن كاتب إلى كاتب، ومن ناقد إلى آخر.

واخترت لأطروحتي هذه عنوانا مناسباً، يلم شتات الموضوع، ويجمع أجزاءه، ويفتح مغاليقه، ويختصر طوله فكان العنوان كالتالي: " المنطلقات الفكرية وإشكالات المنهج في القراءات المعاصرة للخطاب القرآني".

2- إشكاليات البحث:

الكثير من الإشكالات تظهر من خلال الشروع في البحث والتقدم فيه، فكلما اكتسنا مزيدا من المعرفة في موضوعا، فتح لنا الطريق أمام اكتشاف مجاهيل جديدة، ومشكلات عديدة، تكون عبارة عن تساؤلات واستفسارات، تحتاج إلى إجابات وقراءات، لذا لانستغرب إذا وجدنا هذا البحث المتشعب والمتشابك يحمل الكثير من الإشكاليات المتقاربة والمتداخلة بين عناصره، ومباحثه وفصوله، لأن الدراسات القرآنية مجالها واسع: تفسيرية، تأويلية، تركيبية، تحليلية، نحوية،

صرفية، بلاغية..، والخطاب القرآني كثرت الدعوات إلى قراءته قراءة جديدة، وهذا بالاستفادة مما توصلت إليه العلوم اللغوية المعاصرة خاصة والعلوم الإنسانية عامة.

ويجب علينا أن ننظر في هذه القراءات وتلك الدعوات لنميز صوابها من خطئها، ونعرف ما يتفق منها مع الشرع والعقل والواقع واللغة وما لا يتفق، ولا نرمي أصحابها بالضلال والكفر.

لذلك كثرت إشكاليات هذا البحث وتنوعت من حيث المفاهيم والمصطلحات والمناهج..، فما هي القراءات المعاصرة؟ وما الفرق بينها وبين القراءة القديمة وماذا أضافت هذه القراءة للخطاب القرآني؟ وكيف استفادت وأفادت من آليات الفهم الغربية؟ وهل يمكن أن نطبق هذه المناهج المعرفية المعاصرة على الخطاب القرآني الذي له خصوصية وقداصة وتبجيل كما طبقت على باقي النصوص الأدبية؟ وهل يخضع هذا الخطاب القرآني المعجز، لهذه الدراسات اللسانية النبوية والتفكيكية والسيمائية..؟ وهل بإمكان القارئ والكاتب والناقد... -مهما كان مستواه- أن يطوع هذا الخطاب الرباني لرغباته وميولاته وأهوائه، وهل يستطيع المفكر التحكم في هذا الخطاب وإفراغه من حمولته الدلالية ومعانيه الأصلية التي لا تنتهي، وشحنه بدلالات وقيم أخرى.

هذه التساؤلات وغيرها نحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث -بإذن الله تعالى- بداية من تسليط الضوء على هذه المناهج المعرفية المعاصرة، من خلال مفاهيمها ومنطقاتها ومرتكزاتها، وما هي آثارها المترتبة على الخطاب القرآني؟ وهل يمكن أن توظف في قراءته وتطبق في دراسته وتحليله بكل تفاعلاتها وخلفياتها وأبعادها الفكرية والإيديولوجية، دون المساس بمكانة ومنزلة الخطاب الرباني المنزه والمتعالي؟ وهل أفادت هذه القراءات المعاصرة الدرس القرآني؟ فهذا البحث يهدف إلى بيان حدود التفاعل والاستمداد، من هذه القراءات الحديثة، فهل هي فعلا إضافة واستمداد، أم مجرد إشكالات وتضاد، كما يبرز هذا البحث الخلط الكبير الذي وقع فيه كثير من النقاد والمفكرين، الذين تأثروا بنظريات الغرب وأرادوا تطبيقها على الخطاب القرآني، والكتاب الرباني، المحفوظ من الله جل وعلا، كما طبقها الغربيون على التوراة والإنجيل المحرفين.

ولا يختلف اثنان من أن هذه المناهج المعرفية المعاصرة، والنظريات النبوية أفادت كثيرا الدراسات اللسانية واللغوية، وتضيف الكثير لفهم الخطاب القرآني، شريطة احترامها لخصوصيته وقداسته، وتعاملها معه وفق الضوابط والقواعد والأسس المتبعة، التي وضعها علماء التفسير والفقهاء واللغة...، مع تطويرها بما يتلاءم مع المتغيرات والمعطيات الراهنة والمستجدة.

3- بواعث البحث في هذا الموضوع:

ليس من الهين والسهل والميسور أن يرصد الباحث كل البواعث والدوافع الحاملة على انتقاء موضوعه ومجال بحثه، لتداخلها وتضايقها من جهة، وترددها بين الجانبين الذاتي والموضوعي من جهة أخرى، وخفائها على الباحث من جهة ثالثة، إذ قد يحمله على البحث أحيانا باعث شعوري فياض، بسبب مطالعته المتكررة لقضية ما، وبتشعب هذه القضية التي تتولد عنها قضايا وجزئيات... يجد نفسه مدفوعا إلى البحث في هذه القضية أو القضايا، ولكنه لا يستطيع أن يبين ملامح بحثه الموضوعية، أو صياغتها في قالب علمي محكم دقيق ومضبوط.

ولما كانت مادة القول في هذا الباب حافلة جدا، فإني أذكر أقوى البواعث التي تسلطت على نفسي، وهيجت فكري، ودفعني للبحث والتنقيب والكشف والتفتيش عن خبايا هذه القضايا والإشكالات: أ- بيان جهود علماء الأمة في الإحاطة بتفسير القرآن الكريم، وبعد نظرهم الثاقب والصحيح ومعرفة قواعدهم وضوابطهم وأساليبهم تحصيلا للدربة والمران واكتساب الملكة التفسيرية.

ب- تقويم جهود المفسرين في خدمة النص القرآني على نحو يزيل اللثام عن ثغرات النظر، ومزالق الفهم، فتحذر وتجنب، وذلك أن صناعتهم في التفسير، وإن أوتيت حظا كبيرا من الفهم والعلم والتدقيق، والنضج المعرفي، والإحكام المنهجي، إلا أنه داخلها الشطط في مواضع شتى، وتسرب إليها ماتسرب، وتغلغل فيها ماتغلغل، من أفكار وآراء وتأويل، بسبب غلبة التعصب، واستحكام الميل المذهبي، وتسلط النزعة العقلية...، وهذه آفات تذهب بالحصافة، وتصد عن الاتزان.

ت- تعقب المشروع الحداثي في قراءة النص القرآني، وتتبع أباطيله بالتهجم على الوحي، وإصغار أمره، وإيثار غيره بالتجلية والإكبار، حتى إذا أفرغ النص القرآني من قيمه ومعانيه وأبعاده البانية الهادية الهادفة، سهل الأمر لحمل الناس على مذاهب التغريب والتضليل والغزو الفكري، وإن سدنة هذا المشروع هم طبيعة الاستشراق وأذئاب المستشرقين، فهم في غاية التشبه بهم، والمشاكلة لهم، وما يزالون إلى يوم الناس على إرث من أفكارهم، يأخذون من سميتها ويتجاذبون على منهجها.

ث- صيانة منهج محكم لتفسير النص القرآني يصلح أن يكون فاتحة لعلم التدبر، وهو علم تناوله الأسلاف في نظرات عجلى تمهيدا لسبله، وفتحاً لمغالقه، وأضاف إليه المعاصرون لبنات تأصيل وتقييد، وما زال متسع فسيح من القول فيه، يغري بالإضافة العلمية، وتلاقح الأفكار، وتوأمم الأنظار.

4- الدراسات السابقة والإضافات المعرفية:

إن المتتبع والمهتم والمطالع لما تصدره المطابع في وقتنا الحالي من كتب ومؤلفات ودراسات ورسائل وأبحاث تخص قضية النص الديني عموماً، والخطاب القرآني بخاصة، يدرك لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة، وأن الكتابة حوله لا تنتهي، وكان للباحثين المعاصرين سبق محمود إلى معالجة قضية النص القرآني من جهات مختلفة منها:

أولاً: التأصيل لمنهج تفسير النص القرآني فهما واستنباطاً وتحذيراً من المزالق التي يجب أن تجتنب، والكتب النافعة في هذا الباب كثيرة جداً منها:

1- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني.

2- أصول التفسير وقواعده لخالد عبد الرحمن العك.

3- كيف نتعامل مع القرآن لمحمد الغزالي.

4- كيف نتعامل مع القرآن العظيم ليوسف القرضاوي.

ثانياً: نقد القراءات المعاصرة للنص القرآني، وفضح عوارها وبيان خطورها، في ضوء قواعد الاستدلال وأصول البحث العلمي، ومن الكتب المفيدة في هذا الباب:

1- التحريف المعاصر في الدين لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني.

2- دعوى القراءات المعاصرة للقرآن الكريم "دراسة تحليلية نقدية" لأحمد بشير قباوة.

3- القراءات المعاصرة للقرآن في الميزان لأحمد عمران.

4- تأويل النص القرآني بين الحداثة والمعاصرة لعبلة عمروش.

5- القراءات الجديدة للنص الديني لعبد المجيد النجار.

6- خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن الكريم لفهمي سالم زبير.

7- تهافت القراءة المعاصرة لمنير محمد الشواف.

8- التيار العلماني وموقفه من تفسير القرآن الكريم "عرض ونقد" يمني محمد الهبي الشافعي.

9- القرآن وأوهام القراءة المعاصرة لجواد عفانة.

10- العلمانيون والقرآن لصالح يعقوب.

11- القراءات المعاصرة للقرآن في ضوء ضوابط التفسير لمحمد محمد كالمو.

وهناك كتب أخرى أيد أصحابها هذه المشاريع والدعوات ورأوا فيها البديل والجديد الذي يجب أن يتبع ويحتذى به، وكتب أخرى تحفظ أصحابها مما كتب في هذا الباب، نظرا لما لهذا الأمر من خطر وأثر كبيرين على التشريع الإسلامي، وهناك رسائل وبحوث وكتب اهتمت بذكر كل ما هو إيجابي من هذه المشاريع والدعوات التي تدعوا إلى إعادة قراءة النص الديني.

وعلى كل فهذه الأوضاع على تفاوت أصحابها في مقادير الإحسان، وحفظ الوفاء بأشراط البحث العلمي، أضافت جديدا مبتكرا إلى المكتبة القرآنية، وانتهضت للذب عن حياض القرآن الكريم وبينت ما لهذه القراءات المعاصرة وما عليها.

ولعل العلة في كثرة الردود على هذه القراءات الحديثة، أن أهل النقد كلما خاضوا شقا تحرق عليهم آخر، وكلما سدوا ثلثة انفتحت أخوات لها أوسع.

كما أن كثرة الردود تبين أن كثيرا من الكتاب كان اهتمامهم وانشغالهم بالبحث في القرآن الكريم، قديم جدا، مثل أركون، والدليل على ذلك أن الردود على ما كتبه في هذا الباب كثيرة ومتوفرة، بينما اهتمام الآخر واشتغاله بالبحث في القرآن الكريم جديد، والردود على ذلك قليلة جدا، مثل: الجابري، شحرور.

وإن مكنم الجودة المنشودة في هذا البحث أنه يحوي بين طياته نقدا رصينا لتهافت القراءات المعاصرة، ومدخلا تأصيليا إلى علم التدبر القرآني، وتخلصا من الاتهامات والقذف والأراجيف، وابتعادا عن إثارة الفتن وزرع البلبلة، ودفاعا عن الخطاب القرآني والجمع بين هذه الأمور لم يكن غرضا متشوقا إليه في الدراسات السابقة، ولم يكن بالأمر الهين والسهل لذا تعددت مناهج البحث المتبعة في هذا الباب، إضافة إلى ما يزرع به هذا البحث من إشارات أبحاث، وإيجاعات استلهمناها من بين السطور، واستخلصناها من دقة الملاحظة، ومن كثرة القراءة، وهي من فتح الله علينا، ومما جادت به القريحة، وأسعف به القلم، وخطته الأنامل.

5- خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة ومدخل وأربعة فصول، وخاتمة وفهارس واختتم بقائمة للمصادر والمراجع.

أما المقدمة فقد عنيت باستجلاء بواعث البحث وإشكالاته، ومكنم الجودة فيه، وسبب اختيار هذا الموضوع وأهميته وخطورته، والدراسات السابقة حوله، وبيان خطته، ومناهجه المختارة

والمتبعة في حقل الدرس والتقويم، والصعوبات التي اعترضت طريقي، وأما المدخل فقد خصصته للكلام عن العقل ومكانته في الشرع وعلاقته بالوحي، مع ضبط وتحديد بعض المفاهيم التي تتكرر بكثرة في هذا البحث، وكذا إلقاء نظرات على بعض محددات فكر دعاة القراءات المعاصرة، وتحليلات مشرووعهم،

- الفصل الأول وسم بعنوان: القرآن الكريم، مصدر التشريع، ومنبع العلوم.

وتحته خمسة مباحث:

- المبحث الأول: المصدر الأول للتشريع.
 - المبحث الثاني: القرآن الكريم، مفهومه، صفاته، ومميزاته.
 - المبحث الثالث: علم التفسير، الغاية منه، والحاجة إليه.
 - المبحث الرابع: الإشكالات المثارة حول القرآن الكريم.
 - المبحث الخامس: أسماء القرآن الكريم ودلالاتها عند أركون.
 - الفصل الثاني وسم بعنوان: القراءة المعاصرة للخطاب القرآني.
- وتحته أربعة مباحث هي:

- المبحث الأول: القراءة المعاصرة، مفهومها، منطلقاتها.
- المبحث الثاني: إشكالات القراءة المعاصرة للخطاب القرآني.
- المبحث الثالث: منهج دعاة القراءة المعاصرة للخطاب القرآني.
- المبحث الرابع: شروط وضوابط القراءة المعاصرة للخطاب القرآني.
- الفصل الثالث وسم بعنوان: الخطاب القرآني ومنهج تحليله.

وفيه خمسة مباحث هي:

- المبحث الأول: الخطاب الأدبي.
- المبحث الثاني: الخطاب والنص.
- المبحث الثالث: الخطاب القرآني، عالميته، تجلياته.
- المبحث الرابع: مناهج تحليل الخطاب القرآني.
- المبحث الخامس: تداعيات تطبيق المناهج المعاصرة في فهم الخطاب القرآني.

- الفصل الرابع: وسم بعنوان: الخطاب الديني المعاصر آفاق ورهانات:
- وفيه مبحثين هما :
- الخطاب الديني المعاصر، مفهومه، منطلقاته، ضوابطه، ومآلاته.
- القرآن الكريم والمنصفون.

الخاتمة: أودعتها خلاصات وملاحظات حول واقع القراءات المعاصرة للخطاب القرآني، وذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج ومعطيات، وما أفرزه البحث من إشكالات، وضمنتها ما أراه من آفاق التدبر القرآني المنشود.

6- المنهج العلمي المتبع في هذا البحث:

تعددت المناهج المتبعة في هذا البحث نظرا لتنوع مباحثه ومن هذه المناهج:

أ- التأميل: وهو يعني وضع قواعد مثلى للقرآن الكريم، وصياغة نظرية تأويلية إسلامية قادرة على مقارعة البدائل المنهجية الغربية وصددها على النص القرآني، مع الترحيب بالجديد النافع الذي يحفظ للقرآن قداسته، وينزله منزلته.

ب- الاستقراء: أفدت منه في تتبع الموضوعات ذات الصلة بالبحث، فكان هذا المنهج خيارا لا بديل عنه، خاصة في جمع المعلومات التي كتبت في المصادر القديمة وكذلك الكتب الثانوية مع الاستعانة بالأنترنت، وأكون بحاجة إلى هذا المنهج في تتبع الشبهات، وتعقب أصحابها، بالدليل القاطع والحجة الملزمة، حتى يكون نقد القراءات المعاصرة للقرآن الكريم مبني على أسس علمية ومنهجية.

ج- النقد: وأستعين بالمنهج التحليلي النقدي لفحص القضايا النقدية عند النقاد المعاصرين، فهو منهج مكن في المنظومة المنهجية للبحث العلمي، ولا يكون وزن الآراء، وسد الثغرات، وبناء الأفكار إلا به، وهو الذي يعتمد في تعقب القراءات المعاصرة وفضح عوارها وبيان خطورها في ضوء الأدلة والحجج والبراهين.

د- المنهج التاريخي: الذي هو عنصر ضروري ومهم، يفيد في الكشف عن مواقف العلماء من مناهج المفسرين.

هـ-الموازنة: وهو منهج وقاعدة ينتفع به في تبيين المحاسن والآفات، وتحلية الفروق بين المختلفات أو المتشابهات في الصورة دون المخبر، واعتمدنا هذا المنهج أو القاعدة في التمييز بين هدي السلف في تفسير القرآن الكريم ومنهج دعاة القراءة المعاصرة.

و-التوثيق: وهو الأساس والمعتمد الذي به يستوي البحث ويشتد وبه ترد القضايا إلى أصلها، والأمور إلى نصابها، وهذا بالعزو إلى المصادر، وتوثيق الآيات، وتخريج الأحاديث،...

7- الصعوبات:

وصعوبة هذا البحث تكمن في كونه يتجه إلى موضوع دقيق له خطره وأثره في التشريع الإسلامي، وهو موضوع شيق وصعب ومثير للتفكير والحوار معاً، نظراً لحيويته وأهميته وما يحيط به من إشكاليات منهجية ومعرفية، لكنني استخرت الله عز وجل، فشرح لذلك صدري، ويسر لي أمري، واستشرت بعض أهل الخبرة والدراية والتجربة والعلم، فحثني على ذلك ونصحتني به، فتوكلت على الله ورسمت خطة بحثي وشرعت فيه، ولكن اعترضت طريقي صعوبات شتى منها:

1- ضيق الوقت بحيث لم يسعني كل ما أثاره دعاة القراءة المعاصرة حول الخطاب القرآني.

2- اتباع أساليب اللف والدوران في التعامل مع النص القرآني، من طرف هؤلاء، دفع بي إلى فحص دقيق، وتدقيق عميق، فهو موضوع لا بد فيه من الحيلة والحذر.

3- تداخل أقوال هؤلاء، وتضارب آراؤهم، وتعدد مناهجهم، صعب الأمر وجعله بحثاً زئبقياً يصعب الإحاطة به.

4- الافتراضات الكثيرة، والأقوال والتحليلات الشاذة والضعيفة المدرجة في مواضع شتى من هاته الكتب والمقالات، لم يتسع الوقت لقراءتها وتمحيصها ومناقشتها، لذا اقتصر على الأهم فقط.

5- وجود أفكار تضليلية، وتجاوزات خطيرة، ومغالطات جريئة، ودعوات غير بريئة، تجعلك تحتاط وتلج البحث بحذر، خشية أن تنقل ما يضر، وأنت تعتقد النفع من ورائه.

6- محاولة الابتعاد قد الإمكان عن إثارة الفتن والاتهامات، والتجرد من الخلفيات والمنطلقات القبلية المسبقة.

ولا يفوتني في هذا المقام إلا أن أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لفضيلة الأستاذ الدكتور سيدي " محمد زيوش " المشرف على هذا البحث، فحفظه الله ورعاه وجزاه خيراً على كل ما بذله معي من جهد في سبيل إنجاز هذا البحث، ومتابعته له من ألفه إلى يائه، ومنذ أن كان بذرة إلى أن

صار شجرة مثمرة مباركة طيبة، وما خصني به من وقت ونصح وتصحيح وتوجيه وإرشاد بصدر رحب، وتواضع جم، فقد تكرم بقراءة هذا العمل، واقترح بعض الملاحظات العلمية، والاستشكالات المنهجية، والتوجيهات التنظيمية، التي أفاد بها البحث وصاحبه، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وأشفع بشكري الوافر، وثنائي العاطر، وحيي الغامر، ودعائي الثامر، من خالص قلبي العامر، لكل الأساتذة الدكاترة الأفاضل، أعضاء اللجنة العلمية المباركة على ما بذلوه من جهد في قراءة هذا البحث، ومراجعته، وفحصه، وتقويمه، ومناقشة مباحثه وفصوله، فلهم مني خالص الحب، وكامل الود، وجزيل الشكر، وفائق التقدير والتوقير والاحترام والعرفان والامتنان.

وأسأل الله عز وجل أن يوطئ لهذا البحث أكناف القبول، ويجزل ثوابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثقل به الموازين، وأن يسهم في تصحيح المفاهيم، وإنارة السبيل، وإنصاف الحقيقة، وأن يغفر لنا تقصيرنا وخطأنا، وما زلّ به قلمنا، أو شطّ به فكرنا، أو أشكل والتبس علينا، والحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة.

عياد بلمهدي

الشلف يوم:

12 ربيع الأول 1440 هـ

الموافق لـ 20 نوفمبر 2018 م.

مدخل

يسير هذا الإنسان، يغدو ويروح في هذه الدنيا حتى يغادرها وهو يجهل أعظم شيء في هذا الوجود، وهو لماذا خلقه الله في هذه الحياة الدنيا؟ وإذا عرف الهدف من خلقه وهو عبادة الله عز وجل، وعمارة الأرض والاستخلاف فيها، وتطبيق أوامر الله ورسوله... فهل حقق الإنسان هذه العناصر التي خلق من أجلها، وخاصة المسلم المعاصر الذي يمضي وقد تدفقت عليه أمواج الشبهات والمعارضات من كل جانب، فأصبحت تمر بين عينيه، وتطرق سمعه، وتصارع عقله، وتضغط على قلبه كل حين، تشككه في كل شيء، وتحشد عليه كل ما يزحزح يقينه وإيمانه وتسعى لتفتح على قلبه كافة منافذ الحيرة والشكوك.

فالإنسان ضعيف، تحيط به الفتن من كل مكان، ولا عاصم إلا من عصمه الله، ومادام الإنسان حيا فهو معرض للبلاء، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم، يكثر من هذا الدعاء: « يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك »، ولما سئل عن سبب ذلك قال: « إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ »¹.

فآثار هذه الضلالات والشبهات على الناس تجعل المسلم المعاصر بحاجة أعظم إلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، هما الضمانان له من أي انحراف أو زيغ، أو بعد وتيهان عن الهدى والإيمان والصراط المستقيم، لكي يبقى مستقيما دائما على نعمة الله عليه بالهداية ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾² ١٦٤.

والمسلمون يتفاوتون في تمسكهم بالخطاب الإلهي، حسب قوة إيمانهم، فيزداد عند أناس ويضعف عند آخرين، وإن كانوا جميعا يتفقون على أصل الإيمان بالله تعالى، والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يقف التمسك بهذا الأصل على مجرد التسليم بصحة القرآن الكريم، وبقبول حجج سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو درجات ومراتب، أكمله وأعلاه تسليم الصحابة للوحي الإلهي، وإيمانهم به، وانقيادهم وخضوعهم لما جاء فيه، وهذا نابع من كمال إيمانهم ويقينهم بهذا الدين، وكلما زاد الإيمان واليقين في قلب المسلم، كمل تسليمه وانقياده وامثاله لله عز وجل، ولسوله صلى الله عليه وسلم.

1- أخرجه الإمام أحمد في مسنده 160/190، والترمذي 538/5 برقم (2140) وحسنه، النسائي 14/4 برقم (7690) وابن ماجه 1260/2 برقم (3834) وصححه الحاكم في المستدرک 524/1.

2- سورة آل عمران، الآية: 164.

- العقل ومكانته الشرعية ومقوماته:

وقع خلاف كثير بين الناس، في المقصود بهذا العقل، يقول الزركشي: «وكثر الخلاف فيهم حتى قيل: إنه ألف قول»¹.

ولا نلتفت إلى هذه الأقوال، ولا إلى بعضها، لأنها لا تعيننا في بحثنا كثيرا، فكل ما نقوله عن العقل، هو غريزة خلقها الله في الإنسان توجد معه منذ نشأته، وهذه الغريزة هي التي من خلالها يدرك الإنسان ويعرف، ويستفيد منها، فيتعلم بها علوما كثيرة هي من العقل لأنها نتاج وثمره العقل، والعقل له مكانة جليلة ومنزلة عليية في الشريعة الإسلامية، ولم يكن للعقل أي إشكال مع الوحي الإلهي، ولم يكن معارضا له، ولا مناقضا له، وإنما أحدثت مشكلة العقل حين جاء من أساء إعمال العقل، فحرّف ورد الشرع، فكانت الإشكالية مع هذا العقل الموهوم، الذي لم يكن في الحقيقة عقلا صحيحا مستقيما، فإشكالية (العقل والنقل) لم تنشأ إلا لما دخل الهوى في العقل فوجد نفسه في جهة مقابلة للنص².

والعقل دليل موصل إلى الله، فالله جل جلاله، خاطب الناس جميعا ودعاهم لأن يعملوا عقولهم التي استدعوهم إلى الإيمان به وبرسله، فينظروا ويتفكروا ويتدبروا، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³، وقال جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾⁴ قال جل جلاله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلٍ﴾⁵، وذمهم الله سبحانه وتعالما تركوا عقولهم التي وهبها الله لهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁶، وقال أيضا: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁷.

1- الزركشي، بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عبد الستار أبو غدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط2، 1413هـ، ج1، ص84.

2- فهد بن صالح العجلان، التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، ط2، 1436هـ/2015م، جدة المملكة السعودية، ص: 19، 20.

3- سورة يونس، الآية: 101.

4- سورة آل عمران، الآية: 191.

5- سورة الروم، الآية: 42.

6- سورة البقرة، الآية: 171.

7- سورة العنكبوت، الآية: 63.

وقد تكررت مفردة (العقل) بمشتقاتها في القرآن الكريم حتى بلغ عددها "49" مرة¹.
والعقل دليل وهاد إلى الله، فهو مخلوق يهدي إلى خالقه، كما أن السماء والأرض مخلوقات تشير إلى خالقها، فالعقل يهدي إليه، ولا يمكن لهذا المخلوق أن يكون دالاً في الحقيقة إلى مخالفة ما أنزل الله.
ولأجل أن الإنسان يعرف الله بعقله، علقته الشريعة التكليف بالعقل فمن فقد العقل بالكلية خرج عن التكليف، ولا يبدأ الحساب والعقاب في التكليف الشرعي إلا بعد اكتمال عقل الإنسان ووصوله إلى مرحلة يكون قادراً على فهم الخطاب ومعرفته وهي مرحلة البلوغ².

لقد حرر القرآن الكريم العقل الإنساني من الأوهام وبدد الضلالات التي كانت تحول دون رؤية الحقائق الكونية واللطائف الربانية في خلقه، فحث على التفكير في خلق السموات والأرض وفي الحياة وفي الكون وفي الإنسان... وهذا التفكير هو مصدر المعرفة، والعقل هو آلة التفكير، والعلم ثمرته، وإذا كان القرآن الكريم حرر العقل من الأوهام والخرافات، فقد ارتفع به وسجل أن إهماله في الدنيا سيكون سبباً في عذاب الآخرة، فقد حكى عن الذين ضلوا ولم يستعملوا عقولهم في معرفة الحق والعمل به: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقُوا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١ ﴾³.

وكذلك ارتفع القرآن بالعلم وجعل أهله في المرتبة الثالثة بعد الله سبحانه وتعالى والملائكة ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٨ ﴾⁴.

وقدم القرآن منهجاً وافياً حول الفكر والعلم والمعرفة، فقد دعا القرآن الكريم الناس كافة، دون جماعة معينة، إلى التأمل في خلق السموات والأرض وخلق الناس واستعمال الحواس والعقل والتفكير، وإلى الاهتمام الكبير بالحساب والهندسة والفلك والتجارة..، والانتقال من النظر إلى التجربة وتقديم البرهان، وقد وردت ألفاظ كثيرة في القرآن الكريم متصلة بالعلم والمعرفة، فقد ورد لفظ: (رأى) 332 مرة، و(نظر) 99 مرة، و(عرف) و(وردت) 34 مرة، و(علم) و(وردت) 8030 مرة، و(ذكر) و(وردت)

1- ينظر في تفصيل هذه المواضع: الفكر الإسلامي بين العقل والوحي، لعبد العالي مكرم، ص: 12، 13.

2- فهد بن صالح العجلان، التسليم للنص الشرعي، ص: 21.

3- سورة الملك، الآية: 10.

4- سورة آل عمران، الآية: 18.

247 مرة، (فقه) وردت 20 مرة، (عقل) وردت 48 مرة، (فكر) وردت 19 مرة، (الألباب) وردت 16 مرة، (الحكم) وردت 19 مرة، (الحجاج) وردت 69 مرة، (الجدل) وردت 29 مرة.

وهكذا فإن القرآن الكريم بأنواره المشعة وبفيوضاته المتدفقة وبآياته الباهرة الدالة على حكمة الله في خلقه والداعية إلى التفكير والتدبير والتفقه والبحث عن المعرفة وطلب العلم، كان ولا يزال وسيبقى مادامت الحياة فوق هذه الأرض، مصدرا للمعرفة ومحورا للنشاط الفكري ودعوة دائمة إلى الاجتهاد لمواكبة تطور الحياة وارتقاء العلم وازدهار المعرفة الإنسانية¹.

والقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، المنزل على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، بلسان عربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصحف، والم محفوظ في الصدور والمتعبد بتلاوته والمبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس والمعجز بلفظه ومعناه.

فهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الباقية على مرّ العصور، والخالدة على دوام الأزمان والدهور، وهو لب الإسلام وقاعدته، ومصدر تشريعه الأول، وهو الأصل الذي ترجع إليه الأفهام، وتقاس عليه جميع المعاملات والأحكام وهو أساس الحضارة، وأصل العلوم والمعارف، وهو الكتاب الشامل الكامل، الجامع لكل ما ينفع الناس في الأرض والسما، ويضمن لهم السعادة والهناء، في الدنيا والآخرة، قال جلّ جلاله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾².

والقرآن الكريم هو الكلام الإلهي، والكتاب الرباني، فلا كتاب بعده، ختم الله به الكتب وأكمل به الدين، وأتمّ به النعمة، ورضيه لنا منهاجا ودستورا وتشريعا، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾³.

وهو عصمة لمن تمسك به، عصمة من الزيغ والضلال، عصمة من الانحراف الفكري والعقدي والخلقي، عصمة من الأفكار الهدامة، حصانة ضد المبادئ المتطرفة، وقاية من الوسواس المنحرفة... فالقرآن الكريم ليس هو الآيات والسور المكتوبة بين دفتي المصحف حبرا على ورق فحسب، وليس ما هو محفوظ في الصدور، واملو بالشفاه، بل القرآن الكريم هو كتاب هداية وتوفيق، ونور وشفاء، وذكر وإرشاد، ورحمة وبركة، ومنهج حياة وسعادة للأمم.

1-رسالة القرآن، نخبة من الباحثين، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة قطر، 2010م، ص: 38.

2-سورة الأنعام: الآية: 38.

3-سورة المائدة: الآية: 03.

لم ينزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة، في لحظة واحدة، في بقعة واحدة، بل نزل مفردا ومنجما - زمانا ومكانا - ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، سلما وحربا...
 منه ماهو مكّي وماهو مدني، وما نزل بالبيت وما نزل بالغار، ومنه ما نزل بالجبل، وما نزل بالمسجد، ومنه ما نزل في الحل وما نزل في الحرم، ومنه ما نزل بحضرة الصحابة ومنه غير ذلك، قال جلّ جلاله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهٖ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيْلًا﴾¹.

بل قال كثير من العلماء والمفسرين أن للقرآن الكريم ثلاث تنزلات هي:

- التنزل الأول: صدوره عن الله عز وجل في اللوح المحفوظ.

- التنزل الثاني: نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

- التنزل الثالث: نزول جبريل - عليه السلام - به منجما على قلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، آيات تلو آيات، بحسب الوقائع والأحداث والمناسبات والأحوال ومراعاة لتثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم، وتثبيت القرآن الكريم أيضا في فؤاده صلى الله عليه وسلم، حفظا وتمكينًا وتبليغا وتدبرا، فهذه أحوال تنزل القرآن الكريم الثلاثة، والفرق البسيط في هذه التنزلات، أن التنزيل الأول والثاني للقرآن الكريم كانا جملة واحدة، أما التنزل الثالث فكان مفردا آيات وسورا على مدار ثلاث وعشرين سنة على الأرجح والأشهر والأصح، وعدد سوره هي : 114سورة، مايعادل ستين حزبا، أي أربعمائة وثمانون (480) ثمنا، أي مائتان وأربعون (240) ربحا، أي مائة وعشرون (120) نصفًا، وعدد آياته على الأرجح ستة آلاف ومائتين وستة وثلاثين (6236)، بحسب العد الكوفي، وعدد كلماته (77473) كلمة، وعدد حروفه (323071) حرفا.

ولفظ "القرآن" هو اللفظ الغالب والدائع والأشهر، من بين أسماء الكتاب الكريم وهو

الأكثر استعمالا وتداولًا، وله أربعة أسماء أخرى هي :

-الكتاب: قال سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾².

1-سورة الفرقان، الآية:32.

2-سورة الكهف، الآية:01.

وفي تسمية كلام الله تعالى بهذين الاسمين (القرآن والكتاب) دلالة بالغة، وإشارة واضحة إلى كونه محفوظا في الصدور، ومكتوبا في السطور، فلم يعتمد في حفظه على الكتابة وحدها، ولا على السماع وحده، بل تضافرت وسيلتان عظيمتان من وسائل حفظ القرآن الكريم، وهي الحفظ في الصدور والسطور، قال محمد عبد الله دراز: "روعي في تسميته قرآنا كونه متلو بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى..."¹.

-الذكر: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾² وهو الثأسماء القرآن الكريم، ورابعها هو:

-الفرقان: قال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾³.

وآخر هذه الأسماء:

- التنزيل: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴.

هذه هي أسماء القرآن الكريم التي أطلقت عليه، واشتهر بها، وكانت الأكثر تناقلا والأشهر استعمالا، غير أن بعضهم بالغ في تعداد ألقاب القرآن الكريم حتى ذكر منها الزركشي خمسة وخمسين لقباً⁵، وزاد بعضهم فأوصلها إلى نيف وتسعين اسماً⁶، والحقيقة أن كل لقب من تلك الألقاب إنما يشير إلى صفة قرآنية خاصة تعبر عن جانب من جوانب القرآن الكريم الكثيرة والمتنوعة.

فمنذ اللحظة الأولى لنزول القرآن الكريم بمكة المكرمة... وعلى امتداد سنوات نزوله -بالمدينة المنورة- كان الإعلان على أنه "المعجز، المتحدي" و"التحدي والإعجاز لا للعرب وحدهم... ولا للبشر القدماء

1- محمد دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن العظيم، دار القلم، الكويت، دط، دت، ص، 41، 42.

2- سورة المائدة، الآية: 50.

3- سورة الفرقان، الآية: 01.

4- سورة الشعراء، الآية: 192.

5- ينظر مباحث علوم القرآن، صبحي صالح، دار الملايين، ط2000، 4، ص: 21.

6- ينظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 1/273، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 1/143.

وحدهم، أو المعاصرين فقط... بل للإنس والجن قاطبة، عبر الزمان والمكان... وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

لقد تحدى الثقلين وأعجزهم ونوع هذا التحدي، فتحدهم أن يأتوا بمثله... فلما عجزوا، تحدهم أن يأتوا بعشر سور مثله... فلما عجزوا تحدهم أن يأتوا بسورة من مثله، وأن يستعينوا على ذلك بكل من وما دون الله - سبحانه وتعالى - وقطع قطعاً جازماً ومتحدياً بعجزهم عن ذلك، عبر الزمان والمكان، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾¹.

نعم... ففي سورة الإسراء - المكية - قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾². وفي سورة هود - المكية - قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افتره قل فاتوا بعشر سور مثله مفترين وادعوا من استطعت من دون الله إن كنتم صدقين ١٣ فالتم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ١٤﴾³.

وفي سورة الطور - المكية - قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٣ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صدقين ٣٤﴾⁴.

وفي سورة البقرة - المدنية - قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾⁵.

اجتمع الفصحاء والبلغاء من قريش.. وانتدبوا أحد زعمائهم وبلغائهم وقضاتهم الملقب "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها، انتدبوا أبو عبد شمس الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ليسمع القرآن، وليجيب على التحدي، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمسجد وسمع منه سورة "غافر" فما كان من عدل قريش وقاضيها وزعيمها إلا أن شهد - وهو على - شركه وزندقته - فقال لأصحابه: "والله لقد سمعت من محمد كلاماً آفياً ما هو من كلام الإنس

1- سورة البقرة، الآية: 24.

2- سورة الإسراء، الآية: 88.

3- سورة هود، الآية: 13، 14.

4- سورة الطور، الآية: 23، 24.

5- سورة البقرة، الآية: 23، 24.

ولا من كلام الجن، ووالله ما هو بكاهن، فقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، ووالله ما هو بمجنون فقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، ووالله ما هو بشاعر، ووالله ما هو بساحر، فقد رأينا السُّحَّار وسحَّارهم، فما هو بنفته ولا عقده والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لمثمر، وإنه يعلو ولا يعلو عليه، وما أنتم -يامعشر قريش- بقائلين فيه من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل"¹.

استمر التحدي على مرّ التاريخ، واستمرت الشهادات، شهادات العلماء والخبراء والحكماء والبلغاء والفصحاء والباحثين والدارسين والنقاد المصنفين للقرآن الكريم يثبتون له التحدي المعجز لفظا ومعنى ونظما وسبكا وانسجاما...

فالقرآن الكريم هو قانون الله ودستوره وتشريعه، أودع فيه من ضروب الفصاحة والبلاغة والجزالة وفنون البيان وحسن النظم والترتيب والسبك وعجيب السرد، وحلاوة الذوق، وطلاوة المنطق، ما أذهل عقول قوم عرفوا بين الأمم بفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وحسن التذوق، وقوة الحفظ، وسرعة البديهة فأدهش عقولهم، وأحرس ألسنتهم، فعجزوا عن معارضته، كيف لا وهو كتاب العربية الأكبر، وقاعدتها وسنام ذروتها وجوهر تاجها، نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾²، وهو خير داع إليها، ودال عليها، حافظ عليها من الزوال ولا يزال، وهو معينها الذي لا ينضب، منه تستمد وجودها وسر بقائها، وهو كامل في لغته وعلومه وإعجازه وبيانه وفصاحته وحلاوته وذوقه وبلاغته، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾³.

ولم يحظ كتاب سواء أكان سماويا أم من صنع البشر بمثل ما حظي به القرآن الكريم في العصور التاريخية، ولم تقتصر العناية على جانب واحد، بل شملت كل جوانبه المتعددة والمتنوعة وأحاطت بكل ما يتصل به لفظا، وأسلوبا وإعجازا ورسما وترتيبا وتفسيرا وأحكاما⁴.

فهو أشرف ما أنفق في دراسته من عمر ووقت ومال، إنه مؤمل الأئمة في استنباط الأحكام وأصول التشريع، وحجة الفلاسفة وأصحاب المذاهب والفرق، وزاد اللغويين والنحاة والبلاغيين إليه

1- محمد عمارة، القرآن يتحدى، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط1430، 1هـ/ 2009م، ص:6، 5.

2- سورة الشعراء، الآية: 195.

3- سورة النساء، الآية: 82.

4- ينظر: ابن القيم، المشوق إلى علوم القرآن والبيان، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، دت، 1/ص: 8، 7.

يرجعون في كثير من مطالب القول، اقتباسا منه واستشهادا به، واحتكاما إليه، وكل ذلك خدمة للقرآن الكريم، فالنحو والبلاغة والإعجاز والتجويد والقراءات والتفسير والفقه والأصول وعلم الكلام والأسلوب والشعر والتاريخ والفلك والطب وغيرها من العلوم، مقصود بها في نظر العلماء خدمة كتاب الله¹، ولا يزال إلى اليوم وردا مورودا، وبحرا مقصودا، ومجال بحث وقراءة ودرس، ومنبع علم وحكمة، وكل واجد فيه ضالته، إنه مصدر المصادر، وحجة الحجج، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.

ولاتساع شهرته، وعظم شأنه، وجلال قدره، ورفعة منزلته، وعلو مكانته، وسموه، لم يكن حكرا على المسلمين وحدهم، في تناوله، وقراءته ودراسته وشرحه وتفسيره وتأويله والاشتغال به، بل كان للمفكرين والفلاسفة والكتاب والنقاد والمبدعين... من مختلف أصقاع العالم، نصيب في ذلك، وخاصة المستشرقون الذين كانت لهم عناية عظيمة، واهتمام كبير، بهذا الكتاب المبارك، بغض النظر عن النوايا والأهداف والدوافع والمقاصد.

تعرض القرآن الكريم منذ نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أكثر من محاولة للطعن والدس والتغيير والتحريف والتبديل، بل والتشكيك فيه، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل الذريع، لأن الله عز وجل تولى حفظ كتابه الكريم قال جل جلاله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾².

ويزداد الطعن في القرآن الكريم، بعد وقوع الفتنة بين الصحابة الكرام، عليهم من الله سبحانه وتعالى الرضى والرضوان، وظهور الخلافات والنزاعات السياسية والعقدية، كان ذلك قبل منتصف القرن الهجري الأول، وكان لهذا الخلاف أثر في انقسام الأمة وتشتتها وتفرقها واختلافها، فنشأت فرق دينية وسياسية مختلفة ومتعددة، رغم أن دواعي الاختلاف وأسبابه كانت محدودة، وهذه هي البدايات دائما ما تبدأ صغيرة ثم تكبر، إذا وجدت البيئة الملائمة، وكلما كثرت أسباب ودواعي التفرق والاختلاف، كلما طفا إلى السطح جوهر الخلاف بين الفرق، بل وأصبح لهذه الفرق مسميات تعرف بها مثل: المتكلمين، المعتزلة الأشاعرة، الشيعة، الخوارج، الرافضة... فبدأ يظهر التعصب والصراع بين

1- المرجع نفسه، ص: 6، 7.

2- سورة الحجر، الآية: 09.

هذه الفرق حتى وصل الأمر ببعضهم إلى سل السكاكين والسيوف، واتهام البعض الآخر بأنهم فسقة وفجرة وزنادقة...

وإذا كان هذا الصراع قديماً، تسبب فيه الغلاة من هذه الفرق، فإنه جديد ومتجدد، بل وتطور عبر العصور، حتى دخل في وقتنا الراهن مرحلة جديدة وأصبحت وراءه أطراف كثيرة، تغذيه وتنميه، واتخذ أشكالاً جديدة، وتزامن الطعن في القرآن الكريم مع بداية الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية، والاهتمام الكبير للمستشرقين بدراسة القرآن الكريم وتفسيره وشرحه وترجمته، بل واهتموا أيضاً باللغة العربية وعلومها من بلاغة وأسلوب ونحو وصرف وبيان وسائر علوم اللغة..، باعتبارها عوامل مساعدة على فهم مقاصد القرآن وأغراضه، كما أنها نشأت لخدمة القرآن الكريم، وتقويم اللسان تفادياً للحن في قراءة كلام الله تعالى، ولفهم نصوص الكتاب والسنة فكثرت المؤلفات والمصنفات والبحوث والرسائل والندوات واللقاءات والمؤتمرات حول ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه.

والمنشورات عن القرآن وتفسيره منها ما هو نافع إيجابي ومنها ما هو ضار وتقول وافتراء على كتاب الله، ومن الخير للقرآن أن يستفيد من كل جديد في مجال المناهج المعرفية، لكن تلك الاستفادة تظل مرتبطة بشروط البحث العلمي، وفي عصرنا الراهن كثر الكلام عن "البحث العلمي" و"المنهجي" و"الموضوعي"... وترددت هذه المصطلحات كثيراً عند المعاصرين حتى أضحت قولاً مجرداً يتكرر من قبل بعض الأقلام "لجاذبيته" بدعوى عالمية الخطاب القرآني.

وحين نتكلم عن الخطاب القرآني والمناهج المعاصرة، نطمح إلى رؤية إسهامات علمية يستفيد منها الخطاب القرآني، وهذه الإسهامات لن تكون على حساب علم التفسير، فكل إسهام يتجاوز مصادر هذا العلم، أو يخوض صاحبه في كتاب الله دون التزام بقواعد وآداب التفسير كما هي مقررة في مظاهرها، أو يتصدر للتفسير من غير أن يكون مؤهلاً علمياً لذلك، أو يتصيد ما يظنه أنه "مناهج" للاستفادة منها في تقرير أيديولوجيته، فكل إسهام كان حاله كذلك لن يكون مآله إلا شبيهاً بمآل الاتجاهات المنحرفة التي شهدتها تاريخ التفسير وشهدت الأمة انتكاسها.

فالقرآن الكريم شكل ولا زال يشكل المجال الخصب لكثير من أقلام المستشرقين، فاهتموا به بحثاً وتحليلاً ونقداً... وفي السنوات الأخيرة تأثر الكثير من الباحثين المسلمين بكتابات المستشرقين ودراساتهم، فانكبوا عليها وأولوها أهمية كبرى، فناقشوا تلك الدراسات وردوا عليها وفندوا مضامينها، وبينوا أبعادها التشكيكية في الدين الإسلامي وتعاليمه السياسية.

وحتى لا نبخس الناس حقهم فإن الدارسين المستشرقين للقرآن الكريم ليسوا سواء، فقد ظهرت دراسات استشراقية تبين مواقف المستشرقين من القرآن، وتنتقد افتراءاتهم من الإسلام كله، ومن أبرز هؤلاء المستشرقين (هنري ستوب) الذي برأ الإسلام من اتهامات المستشرقين ودافع عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

والفكر العربي المعاصر ارتبط بمجموعة من الإشكالات والثنائيات أهمها :

- الأصالة والمعاصرة.

- الحداثة والتراث.

- التقليد والتجديد.

- الخطاب القرآني والمناهج المعاصرة.

وكل هذه الثنائيات، تتداخل وتتقاطع ويكمل بعضها بعضا، وقد تتضاد وتتعارض، فتحدث إشكاليات وتساؤلات، سرعان ماتفرز توجهات، فيظهر النقاش والجدل، والأخذ والرد، والرفض والتأييد...

والثنائية الأخيرة "الخطاب القرآني والقراءات المعاصرة" - إن صح التعبير - أصبحت في الفترة الأخيرة، أكثر الإشكالات في الفكر العربي طرحا وتداولاً وتطرقا واشتغالا، لأسباب عديدة، وظروف راهنة ومستقبلية، وقراءات استباقية واستشرافية، فبعد المستجدات الطارئة على واقع العرب والمسلمين من جهة، والتطورات الحاصلة في مناهج وأدوات فهم النصوص من جهة أخرى، وهذا ما ترتب عنه دعوات مختلفة ومتنوعة إلى قراءة جديدة للنص الديني عموما، والخطاب القرآني بوجه خاص، حمل رايتهما أقطاب الفكر العربي المعاصر مثل "أركون"، و"الجابري" و"أبوزيد" و"حنفي" و"المرزوقي" و... الخ.

الذين جعلوا النص الديني محور اهتمامهم، وحاولوا تأسيس قراءة جديدة للقرآن الكريم، تستثمر فيها آليات الفهم المعاصر، يتم من خلالها تجاوز القراءة الكلاسيكية التبجيلية له، ونقله من الفهم الإيديولوجي إلى الدراسة العلمية الموضوعية.

فالساحة الفكرية والنقدية والثقافية تعرف اليوم جدلا كبيرا حول ما يسمى بـ(القراءات الجديدة للقرآن الكريم)، اتخذت هذه القراءات من النص محورا، وعرفت هذه الموجة الفكرية بالقراءات الحديثة للقرآن الكريم، وفي هذا النطاق جاء كتاب "محمد أركون" "القرآن من التفسير

الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، وكتاب "نصر حامد أبو زيد" إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، وكتاب "أدونيس" "النص القرآني وآفاق الكتابة"، وكتاب "الطبييتزني" "النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة"، وكتب عبد الكريم الشرفي و شحرور وآخرين.

وهذه الكتب تعتمد مناهج غربية، ألسنية وسوسيلوجية وتاريخية وأثنوبولوجية أدق إلى تحريف المعاني القرآنية، وإخراج النصوص عما هو مجمع عليه، وتناقضها مع الحقائق الشرعية، وتعارضها مع مقاصد الشريعة الإسلامية، ومرد ذلك يعود إلى عدم احترامها لخصوصيات القرآن الكريم، ومعاملته كسائر النصوص.

ولا يعني ذلك أننا ندعو إلى حجب هذه المناهج وإبعادها عن مقارنة الخطاب القرآني ولكن نريد بيان حقيقة أساسية تتعلق بالقراءة الإيجابية للقرآن الكريم، وهي القراءة المقاصدية، التي تحفظ للقرآن الكريم خصوصياته وتحقق مقاصده.

وإن تطبيق القراءات المعاصرة وآلياتها المختلفة على الخطاب القرآني بدعوى عالمية خطابه، ودعوته للناس جميعاً لن يكون على حساب هديه وأحكامه.

فالخطاب القرآني عالمي ولن يكون إلا خطاباً واحداً، لأن الله سبحانه وتعالى نزه كتابه عن الاختلاف والتناقض، وهذه الضوابط المنهجية ليست من مبتدعات السلف والمتقدمين من علماء الأمة، ولكنها حصيلة استنباط واستقراء لنصوص الوحي نفسها كتاباً وسنة، فقد وضعت هذه الضوابط المنهجية حماية للقرآن من التأويل المذموم، ولتحديد الدائرة التي تسمح بالاختلاف غير المذموم أيضاً، ورغم ما كتب وألف ونشر عن الخطاب القرآني ودعوته العالمية، إلا أن جميع الدعوات التي تبنت أفكاراً وطرقاً ومناهج تشكيكية أو معارضة لما جاء في الخطاب لها النور، بل أن جل هذه الكتابات ظلت منعزلة - كما هو مشاهد - قد تصادف رواجاً محدوداً، ولكن توالي الأيام كفيل بردها إلى حجمها الحقيقي.

فدعوى "إعادة قراءة القرآن الكريم" هي حملة مغرضة أطلقها الحداثيون، وانخدع بها كثير من المسلمين، دون أن يعدوا لها العدة، كي يتمكنوا من دحض الشبهات التي تحاول نزع القدسية عن الوحي الإلهي، واغتتم الحداثيون الفرصة ودعوا إلى هذه القراءات، بعقد الندوات وإقامة الملتقيات والمؤتمرات وكتابة المقالات، وتأليف الكتب، ولا شك أن هذه الدعوة، هي دعوة حق أراد بها البعض باطلاً، فلا يخفى على الكثير من النقاد والباحثين أن غرض الكثيرين من هذه القراءات هو نزع

القدسية عن كتاب الله عز وجل، حتى يتمكن هؤلاء من تحريف مفاهيمه الربانية بدعوى إعادة قراءته وفهمه من جديد، فنظرية تعدد قراءة النص وفق المناهج المادية الغربية، ونظرية موت المؤلف، وحق الناقد في أن يفعل بالنص ما يشاء، وقصيدة النشر التي يراد بها إثبات صفة الشعرية لآيات الله، اعتراضاً على الله الذي نفى هذه الصفة عن كتابه وعن نبيه نفيًا قاطعاً.

إذن فلا يمكن أن يشرح القرآن الكريم ويثوره ويحلله ويفسره ويغوص في أعماقه، وينهل من موارده العذبة، ويستخرج كنوزه وآلائه، وأسراره ودقائقه، وعجائبه وغرائبه، رجال يتكلمون باسمه ورسمه، ورطوبة الخمر تملأ أفواههم، ورائحة الخيانة لا تزال تدور في أشداقهم، أو الذين يقضون حياتهم في الملاهي، ويضيعون أوقاتهم في المقاهي... ولا يعرفون أبداً الطريق إلى بيوت الله، فليس كل من هب ودب يكتب عن القرآن، ويشرح ويحلل وينظر ويقعد ويرد ما بدا له أن يرد... ويقبل ما تهواه نفسه، ويميل إليه طبعه، ويتلاءم مع مزاجه... فلا يتكلم في القرآن إلا من استوفى الشروط التي قررها العلماء والمفسرون، ومن أهمها الإمام الكامل والتام باللغة العربية وعلومها، من نحو وصرف وبلاغة وأساليب، زيادة على معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ووجوه القراءات... ومعرفة أصول الفقه وما فيه من مطلق ومقيد، وعام وخاص، ومجمل ومبين، وواضح الدلالة وخفيها، والخطاب ولحنه وفحواه... لأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية الفصحى، فلا يفهم إلا بها، نزل في وقت بلغ فيه العرب القمة في الفصاحة والبلاغة والبيان، وطلاقة اللسان، فنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، يتحدى هؤلاء البلغاء - فضلاً عن غيرهم - تحدى الفصحاء، أن يأتوا بأقصر سورة من سور القرآن الكريم، قال الله عز وجل: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِمْ أَوْ ادْعُوا أَشْهَادَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣﴾¹.

فوقف جهابذة العربية وأساطين البلاغة، وأصحاب البيان، وفصحاء العرب، وأعمدة اللغة، وقفوا عاجزين أمام كلام الله تعالى منبهرين مما يسمعون، حتى قال قائلهم² لما سمع قول الله تعالى: ﴿حَمَّ ١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾³.

1- سورة البقرة، الآية: 23.

2- هو عتبة بن ربيعة، قتل هو وأخوه شيبه وابنه الوليد يوم بدر كفاراً.

3- سورة فصلت، الآية: 01، وما بعدها.

قال: "والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، لا والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة..."¹.

فما استطاعوا أن يعارضوا القرآن الكريم، ولو وجدوا فيه مخالفة للعربية لانتهزوا فرصة يردون بها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، إذن فالقرآن الكريم عربي، نزل بلغات العرب، ولا يمكن إلا أن يحمل وجهاً من وجوه العربية أو وجهاً من وجوه الإعراب، ومن يزعم أن في القرآن الكريم أخطاء لغوية فهو أحد الاثنين:

- إما أنه قليل الحظ من العربية، أو لا حظ له فيها إطلاقاً...
- وإما أنه مغرض متناول، يحاول أن يحجب ضوء الشمس بكفه، أو أن يطفئ نور الله بفيه.

وما هو بفاعل، ولن يستطيع في كلا الحالتين، ولو "فَكَرَّ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥" ²، هؤلاء وأمثالهم يريدون أن يطفئوا نور الله، ﴿وَاللَّهُ مَتِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩﴾ ³.

فقد كان القرآن الكريم، وما يزال وسيظل بإذن الله تعالى منارة يهدي إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم ﴿فَدَجَّاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكُتِبَ مُبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦﴾ ⁴ لكن الذين أعمى الله بصائرهم لا يزالون يستهدفون القرآن الكريم ليجدوا فيه اختلافاً كثيراً، تتطور محاولاتهم بتطور الآلة الإعلامية ووسائل الاتصال، مستفيدين من الإمكانيات العلمية الهائلة لنشر أباطيلهم وأكاذيبهم ⁵.

1- صفى الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م، ص: 125.

2- سورة المدثر، الآية: 25.

3- سورة الصف، الآية: 08.

4- سورة المائدة، الآية: 15، 16.

5- سر الختم عكاشة محمد على: الأنوار البهية في الرد على من زعم أن بالقرآن أخطاء لغوية، قسم اللغة العربية، جامعة قطر،

دط، دت، ص: 3، 7.

وبالمقابل توجد فئات من الناس هنا وهناك يعملون بإخلاص، وجد واجتهاد، لخدمة القرآن الكريم والذود عنه والدفاع عن حياضه، وفي مقدمتهم العلماء المتخصصون، فهؤلاء هم أسباب الحفظ... لأن حمل القرآن الكريم بهذه المعاني هو تكليف قبل أن يكون تكريماً، وهو حمل ثقيل، يتعب أصحابه، ويهق حامله، والمدافعين عنه، بل أن أصغر حملة القرآن الكريم، هم أسباب حفظه، قال أحد العلماء: لو زاد أحد حرفاً في القرآن الكريم، كحرف الواو، مثلاً، لرده عليه صبيان الكتاتيب، فحفظ القرآن الكريم، من التحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقصان، له أسباب عديدة علمناها، أو لم نعلمها، ويكفيه شرفاً وفخراً، أنه نزل في أمة أمية متعجرفة، لا تعرف القراءة ولا الكتابة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾¹.

فالعرب قبل القرآن كانوا عبارة عن قبائل متفرقة، وشعوب متناحرة، وطوائف مشتتة تبحث عن رزقها فتجده بسهولة أو بصعوبة، أما مع تنزل القرآن الكريم، وبداية الوحي، تبدلوا خلقاً آخر، من رعاة إبل وأغنام، إلى قادة شعوب وأقوام، ومن بدو وحل وترحال، إلى صناعة الرجال الأبطال، فبالقرآن الكريم أصبحوا أهل حضارة وعلم، وبه دخلوا التاريخ، وفتحوا الأقطار وجابوا الأمصار... ولولاه ما جاوزوا جزيرتهم، وما كان عندهم شيء يقدمونه للناس، ففضل القرآن على العرب خاصة، وعلى العالم أجمع لا ينكره إلا ناكراً، لأن للعرب خصائص نفسية وعقلية وعادات وتقاليد وأنفة ورجولة، وكرم وسخاء وشهامة، أهلتهم لأن ينزل الوحي فيهم، وكانوا أحق الناس بحمل هذا الكتاب وتبليغه للعالمين كافة ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾².

- ضبط وتحديد بعض المفاهيم

لكل مفسر وناقد ومفكر وكاتب خلفية فكرية، وأفقا مفاهيمياً، أو مسلمات قبلية، تدفعه وتخلق فيه رغبات وميولاً وترقيات وتطلعات خاصة، وانطلاقاً من هذه الخلفية المسبقة، والذخيرة المكتنزة والمخزنة، يتعاطى مع محتوى النصوص ومضامينها، بما يتناسب مع الثروة الفكرية، فتتم من خلال ذلك عملية التفسير والقراءة أو النقد، وهكذا تظهر آراء وافتراضات وأفكار مسبقة جديدة في شخصية المؤلف أو المفسر أو الناقد، وهي بدورها تؤثر في معالجته للنصوص معالجة جديدة تختلف عن غيره.

1- سورة الجمعة، الآية: 01.

2- سورة الأنعام الآية: 124.

فالمفكر حين يؤلف، فهو يعيد النص الذي يريد قراءته إلى موقعه التاريخي الخاص به، ثم يقيم ظروف ذلك الزمان والمكان الذي صدر فيه النص، مع مراعاة التوقعات والترقيات، والخلفية الفكرية والذهنية للقارئ أو المتلقي، وماذا يتوقع من هذا النص عند صدور هذه القراءة، أي أنه يريد أن ينجح في إدراك معنى النص الظاهر والخفي، أي المعنى، ومعنى المعنى، وفق مراد القائل، وفهم السامع، وذوق القارئ، فإذا وصل إلى هذه النقطة، فعند ذلك يجب عليه أن يسعى إلى مواءمة ذلك وتطبيقه بما يتناسب وظروف العصر الحاضر.

فإذا طويت هذه المسافة بنحو صحيح، فعندها سوف يكون فهم النص ممكناً، برأي المؤلف، وميسوراً من الناحية العلمية.

والباحث المنضبط بالمنهج العلمي المتعارف عليه، يجب عليه أن يجدد المصطلحات العلمية التي تكون مواد بحثه، فهي بمثابة المفاتيح أو الشفرات التي يلج من خلالها إلى عالم بحثه، والغوص في أعماقه، وسبر أغواره، ولم شتاته، وجمع أفكاره... حتى يسهل عليه الإلمام بالموضوع المطروق، فتحديد المصطلحات تحديداً دقيقاً وضبط جزئياتها ومعرفة أساسياتها وأبعادها ودلالاتها يدخل في صلب المنهج، ومن هنا وانطلاقاً من هذه القاعدة فإننا نحدد مصطلحات بحثنا بدقة متناهية، فهذا البحث كما يظهر من خلال عنوانه الموسوم بـ "المنطلقات الفكرية وإشكالات المنهج في القراءات المعاصرة للخطاب القرآني" يتكون من عناصر إجمالية أربعة، هي:

-المنطلقات الفكرية.

-إشكالات المنهج.

-القراءات المعاصرة.

-الخطاب القرآني.

فعناصر البحث ومرتكزاته الأساسية أربعة، وقد تتفرع وتتوسع وتنساح إلى عناصر فرعية أخرى تستدعيها طبيعة البحث، وتداخل موضوعاته وفصوله ومباحثه... وقد تضيق، إما اختصاراً، أو اقتصاراً على المراد والمقصود، أو تجنباً للحشو والتكرار والإطالة، أو من أجل ترك المهم والاهتمام بالأهم، أو لأن المقام لا يسمح بالتطرق لهذا الموضوع أو ذلك، نظراً لاتساعه وحاجته إلى مؤلفات ومصنفات ومجلدات... أو غير ذلك

ومن أهم العناصر والمحاور المدرجة في هذا البحث، محور المنطلقات الفكرية...والذي يوحي بأنه لا يوجد باحث ولا كاتب أو ناقد أو قارئ...إلا وله منطلقات فكرية مسبقة، وأحكام قبلية مكتنزة في مخزونه الفكري، ولا يخفى أن للاتجاهات الفكرية تأثيرها الكبير في المواقف والمعاملات وجميع التصرفات، فالفكر هو مقدمة السلوك ومنبعه وأصله الذي منه يستمد، ومن الخطأ أن نحلل أي قضية دون الرجوع إلى منابعها الفكرية التي منها انطلقت، وخاصة إذا مست هذه القضية تاريخ الأمة وثقافتها ودينها وعقيدتها ولغتها وأحد مقوماتها ورموزها.

1- المنطلق الفكري

بادئ ذي بدئ يقدم التعريف اللغوي، ثم الاصطلاحي، لكون الأول قالبا للثاني، يصاغ فيه وتشكل منه معانيه وجزئياته.

وكلما كان قالب منضبطا جيد السبك، كان النموذج المشكل منه جيد الصياغة، جامعا لكل جزئياته.

ومصطلح "الفكر" إذا نظرنا إلى عريته، فهو مصدر من التفكير، يقال فكر يفكر تفكيراً، ومعناه "التأمل في الشيء وإعمال الخاطر والعقل فيه"¹، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على التفكير وتدعوا إليه، من ذلك قوله عز وجل "وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه إن في ذلك لآيت لقوم يتفكرون"²

أما اصطلاحاً " فهو النشاط الذهني بما فيه من تركيب، وتنسيق، ووجدان، وعاطفة، وإرادة"³. وبناء على هذا التعريف فإنه يقصد بالمنطلق الفكري، الأساس الذي يبني عليه الفكر ليكون فيما بعد توجهها يلقي بتأثيراته على الواقع المعيش، وقد تعدد المنطلقات الفكرية لتظهر في جوانب مختلفة، اجتماعياً، تاريخياً، فكرياً، دينياً، سياسياً، ثقافياً، اقتصادياً...والنتيجة أننا نكون أمام فكر اجتماعي، فكر تاريخي، فكر ديني، فكر سياسي...

¹ - ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2005، م1، ج8، ص798.

² - سورة الجاثية، الآية، 13.

³ - المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية، مجموعة من الباحثين، القاهرة، دار عالم الكتب، بيروت، 1399هـ-1979م، ص137.

ونحن في بحثنا هذا نضيق الدائرة ونبحث في المنطلقات الفكرية في جانبها الأدبي والنقدي والإبداع الفني، وإن اختلطت بالجانب الديني بحكم طبيعة الموضوع، لتفرز لنا بعد ذلك كتلا وتنظيمات وحركات ذات توجهات مختلفة، دينية وأدبية وفلسفية وايدولوجية... خاصة في هذا العصر الذي أطلق عليه كثير من المفكرين والكتاب والباحثين ورجال الإعلام " عصر تفجر المعرفة " بعد أن تعددت مجالاتها وتنوعت وتداخلت في بناء الحياة المعاصرة، وأصبح أي نشاط إنساني على اختلاف صيغه وأشكاله وأبعاده معتمدا في حركته وتطوره وتقدمه على المعرفة الوافية والاستجلاب العلمي، ووضوح الرؤية الفكرية، والحقيقة أن محاولة الفهم والبحث في المعرفة مطلب لا غنى عنه في أي حركة ثقافية، وعمل فكري، خاصة عندما تكون مسألة المعرفة والثقافة وقضية الفكر - من حيث المناهج والتخطيط والمنطلقات والأبعاد - تدخل في إطار العقائد والدين والقيم والأخلاق، وتوجيه المسار، وتحديد المواقف، لأن الحاجة إلى المعرفة وإلى الفهم الصحيح، والبحث المنضبط، يوصل إلى الحقيقة وكشف خباياها وإدراك عللها...

وقد تعددت المذاهب والتيارات، واحتدم بينها الصراع والنزاع بسبب قضية الفكر والعقل، فذهب العقلانيون إلى اعتبار العقل هو المصدر الأول للمعرفة، وأنكر الواقعيون هذا الاعتبار، ورفض الوجوديون قدرة العقل على إدراك التجربة الإنسانية، وحالهم هذا يشبه حال الأعمى الذي لا يرى النور نهارا، وهويبحث جاهدا في ليلة بهيمة وفي حجرة مظلمة عن هرة سوداء لا وجود لها أصلا.

ولكن هذا الاختلاف في الأسس، والتباين في المفاهيم، والصراع المحتدم بين أصحاب النزعات المختلفة، من طبيعية، وعقلية، ومادية، ومثالية، ووضعية... وغير ذلك قد تسرب إلى البلاد العربية والإسلامية، إبان الاحتلال والسيطرة الاستعمارية، وكان له نفوذ مؤثر وسلطان بارز. وخلف كثيرا من المشكلات، في الثقافة والفكر ومناهج التربية والتعليم... وهذه التوجهات الفكرية المنحرفة عن عقيدة الإسلام، تجلت في بعض الدراسات مثل العلوم الإنسانية والشرعية والفكر المعاصر.

لأنه لا يوجد عندنا صراع بين الدين والعقل، أو بين الدين والعلم، أو بين العلم والعقل، فالدين عندنا مصدر للمعرفة، منهجه العلم والفكر.

ونظرا لمكانة المعرفة باعتبارها منطلقا لكل العلوم، اهتم بها كثير من الكتاب والباحثين والنقاد... وعلى رأسهم الباحث عبد الرحمن بن زيد الزبيدي الذي أعطاها الحظ الأوفر من البحث والدراسة وذلك بسبب إسهامها الكبير في تشكيل المناخ المنشود، الذي يؤدي إلى صفاء عقدي،

ونقاء فكري، وإلى تلاشي كثير من عوامل الخلل، وقد كان موضوع دراسته "مصادر المعرفة" بوصفها أساس فكر البشر ومنطلقه ومنبع كثير من تياراته ومذاهبه ونظرياته، وبين في هذه الدراسة منهج الإسلام المتميز في تضيق مصادر المعرفة، وقيمة ما يصدر عنها وشمول مجالاتها وميادينها، وطبيعة العلوم والمعارف المنبثقة عنها وما ينتج عن ذلك من علائق ووشائج وترابط وتكامل فريد¹.

وإذا كان جل اهتمامنا وتركيزنا على المنطلق الفكري الأدبي الفني، في العصر الراهن، فلا بد لنا من التطرق إلى الإطار الفكري العام الذي أحدثه الخطاب القرآني منذ نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل الإرهاصات الفكرية مرت عبر مراحل، ونمت وتطورت بسبب التأثيرات التاريخية، واتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول غير المسلمين في الإسلام، وتناولوا القرآن الكريم ودرسوه من كل النواحي نحويًا وصرفيًا وصوتيًا ولغويًا وبلاغيًا وفقهيًا وعقديًا، وبينوا أسباب نزول الآيات ودلالاتها...

وانطلاقًا من انقسام المسلمين سياسيًا، وظهور علم الكلام والفرق الكلامية، والمذاهب الفقهية، والآراء الفلسفية والجدلية، أدى ذلك إلى تطور النشاط الفكري واختلاف وجهات النظر، وزاد هذا النشاط في العصر الحديث، خاصة بعد تعرض البلدان العربية والإسلامية للحملات الصليبية، التي حاولت بكل الطرق والوسائل محو القرآن الكريم وتشويهه وتحريفه.

لذلك برزت مرجعيات فكرية وتعددت، ابتداءً بالفكر السلفي من ابن تيمية إلى محمد بن عبد الوهاب، والفكر الإصلاحية لمدرسة الأفغاني وعبد تلاميذهم ممثلة في مدرسة "ابن باديس بالجزائر"، إلى جانب فكر الجماعات الإسلامية المستمد من مدارس شتى، كمدرسة البناء، ومدرسة المودودي، ومدرسة قطب وتفرعاتها².

وفي بيئة محمد عبده الفكرية ظهر محمد رشيد رضا الذي أرسى قواعد ما يعرف بـ "الإسلام السياسي" الذي جعل من الإسلام ركيزة للعمل السياسي وللمواقف السياسية.

فالمنطلق الفكري والاجتماعي والسياسي لمحمد رشيد رضا هدفه بلورة نظرية إسلامية تقف في وجه المد الأوروبي الاستعماري على مستوى الفكر، رافضًا الأخذ من الأوروبيين، أي أنه كان يميل إلى

¹ - عبد الرحمان بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، مكتبة المؤيد، الرياض، السعودية، ط1، 1992/1412م، ص7، 8.

² - جابر حبيب جابر، المستقبل السياسي في الجزائر، مجلة العلوم السياسية، بغداد، ع، 20، كانون الثاني، 2000، ص98، 99.

التجديد ولكن في إطار الفكر العربي... وهكذا أثر كل من محمد عبده ورضا والأفغاني فكريا على الحركات الدينية التي ظهرت مع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين مع حسن البنا¹

- أما المنايع الفكرية التي انطلق منها المفكرون والكتاب والنقاد المعاصرون في قراءاتهم للنصوص الأدبية والشرعية عموما، والخطاب القرآني خاصة فهي تختلف عن هذه المنطلقات والآراء والتيارات الإسلامية، فهي إلى آراء المعتزلة والمستشرقين أقرب، بل وقد تردد وتكررت وتنتقل ماجاء به المستشرقون في كثير من القضايا.

وترتبط إشكالية العلاقة بين الخطاب القرآني والمناهج المعاصرة في فهمه بمجموعة من المقاربات والمفاهيم أهمها:

2- الوحي:

لغة: يعتبر الوحي مصدرا للفعل "أوحى، يوحى، وإيحاء"، ويعني "الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته إلى غيرك".

فالوحي يعني الإعلام والإلهام والإشارة والكتابة... حسب توظيفه في السياق، وموقعه في الجملة، حيث يقال في العربية: أوحى إليهم، أي أشار إليهم، قال سبحانه وتعالى: "فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا"، ويراد بالوحي الكتابة والخط، والوحي مصدر، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين هما: الخفاء والسرعة، ولذا قيل في معناه، الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه، بحيث يخفى على غيره، وهذا معنى المصدر، ويطلق ويراد الموحى، أي بمعنى اسم المفعول.

3- القرآن الكريم:

- لغة:

جاء في "لسان العرب" معنى القرآن الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور ويضمها... وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممته بعضا إلى بعض... وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر،

¹ - سناء كاظم، مقال بعنوان: المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الجزائرية وجدلية العلاقة مع النظام السياسي، مجلة: دراسات دولية، ع، 45، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ص 11.

كالغفران، قال: "وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنا"¹.

وحسب هذه التصورات يرتبط لفظ القرآن بمفهومين جوهريين هما: القراءة والجمع.

- اصطلاحا:

يمثل "كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد نزل منجما في نيف وعشرين سنة على حسب الحوادث والمناسبات، وأغلبه نزل في مكة وضواحيها (85) سورة، وهذا القسم يسمى المكي، والباقي نزل في المدينة ويسمى مدني، ولكل قسم ميزات لا نجدها في القسم الآخر، ومجموع سورته 114 سورة تتراوح من حيث الطول والقصر، فأطول سورة هي سورة البقرة، وتضم 286 آية، وأقصر سورة هي سورة الكوثر، وتضم 3 آيات ولكل سورة اسم خاص بها، وقد تسمى السورة الواحدة بأكثر من اسم، وعدد آياته 6236 آية. جاء اسم القرآن من عند الله رغبة في مخالفة العرب فيما يسمون كلامهم، فسمى ما أنزل على نبيه قرآنا، كما سمي العرب أشعارهم ديوانا، وسمى بعضه سورة، كما سموا بعض ديوانهم قصيدة، وسمى بعض السورة آية، كما سموا بعض القصيدة بيتا، وآخر الآية هي الفاصلة كالقافية، وهذا جزء من إعجازه"².

من خلال المفهومين السابقين، للقرآن الكريم يتبين لنا أن المفهوم اللغوي يرتبط بكلمتين هما - القراءة - و-الجمع-، بينما المفهوم الاصطلاحي يمثل كتابا أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة يضم مجموعة من السور، كل واحدة منها تتضمن مجموعة من الآيات.

4-التفسير: يمثل أقدم المناهج وأكثرها شهرة، وهو:

في اللغة: مشتق من الفعل فسر، حيث "يقال: فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم، فسرا وفسره، أبانه والتفسير مثله، والفسر كشف المعطى، والتفسير كشف المراد عن لفظ المشكل، ويرتبط به الاستفسار، وهو السؤال عن التفسير، كما يرتبط بالفسر كذلك، وهو نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة، وهي البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء ويستدلون بلونه على علة

1- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص134، 133.

2- التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1999، ص1، 370، 704.

العليل¹، فمعنى التفسير في اللغة هو البيان والكشف والإيضاح لما هو مغطى أو غير واضح وإظهار ما هو خفي.

- في الاصطلاح: يفهم كمنهج للتعامل مع النصوص القرآنية، وهو "علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها"²، وهو كذلك: "إسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"³، ويمكن القول أن التفسير عند علماء الدين منهج لفهم القرآن يقوم على المعرفة بعلوم اللغة العربية وعلوم القرآن ككل، كمنطلق لتحديد المعاني الواردة في الآيات والسور القرآنية لكي تكون سندا لفهم مسأله المتعلقة بالعقيدة والشريعة.

5- التأويل:

هو بدوره يعتبر من أقدم المناهج، ويربط الباحثون وجوده بشخصية الصحابي الجليل "عبد الله بن عباس" -رضي الله عنهما- (ت. 115هـ)، الذي علمه الله التأويل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهو:

- في اللغة : من الأول، ومعنى قولهم: ماتأويل هذا الكتاب؟ أي: إلام تؤول العاقبة في المراد به؟ كما قال تعالى: "يوم يأتي تأويله" (سورة الأعراف، الآية: 35) أي تكشف عاقبته، ويقال: آل الأمر إلى كذا، أي صار إليه، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۗ﴾⁴، وهنا يتبين أن التأويل مشتق مما يؤول إليه الأمر، وأصله من المال، وهو العاقبة والمصير، كما يرتبط كذلك "بالأبالة، وهي السياسة انطلاقاً من أن " المؤول للكلام يسوي الكلام، ويصنع المعنى في موضعه"⁵.

1- ابن منظور، مصدر سابق، ص: 632.

2- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ص146.

3- كافي منصور، مناهج المفسرين، دار العلوم، عنابة-الجزائر، د ط، 2006م، ص18.

4- سورة الكهف، الآية: 82.

5- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص164.

أما في الاصطلاح : فهو " تصفية الظاهر والباطن"¹، حيث يرتبط بتجاوز ظاهر اللفظ إلى معناه الباطني، وهو في اصطلاح علماء الدين الكلاسيكيين لا يختلف عن التفسير بالرأي، "فهوليس بعلم لكونه يتبع علم التفسير من حيث العموم ويتميز عليه من حيث الخصوص"²، إذ وظيفته لا تتجاوز تفسير النص وتوضيح معانيه، ولكن في عرف المتأخرين كما ورد في "موسوعة علوم القرآن الكريم" هو "صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتربه"³، أي هو انتقال من المعنى الظاهر الراجح إلى المعنى الباطن المرجح أن يحتمله النص.

6- النص:

لغة: كلمة "نص" في اللغة العربية تعني الرفع، حيث ورد في لسان العرب: "النص: رفعك الشي. نصالحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أظهر، فقد نص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند. يقال نص الحديث إلى فلان، أي: رفعه، وكذلك نصصته إليه ونصت الظبية جيدها: رفعتها"، وورد في التعريفات أنه: "ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصا في بيان محبته، ولا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل: مالا يحتمل التأويل"⁴، ففي الأصول العربية يرتبط مفهوم النص بالرفع والوضوح ولا يرتبط بمفهومه المتداول حاليا باعتباره أداة لإنتاج المعاني، وبالتالي هناك غياب تصور عربي أصيل لمفهوم النص، وهو مفهوم مستعار من الثقافة الغربية حسب تصوره المتداول اليوم، لأن ما عرفه العرب منذ القديم، من نصوص شعرية ونثرية، وفهم لأصولها النحوية والبلاغية، كان مفتقرا إلى المصطلح كمفهوم إجرائي يحلل ويفهم في إطاره النص كشبكة من العلاقات مستعينا بالأدوات والمناهج المعاصرة.

ففي اللغة الأجنبية: كلمة "نص" اللاتينية (Textus) آتية من الفعل "نص" (Texère)، ومعناه بالعربية "نسج"، ولذلك فمعنى النص هو "النسيج"، ومثلما يتم النسج من خلال مجموعة من العمليات المفضية إلى تشابك الخيوط وتماسكها بما يكون قطعة قماش متينة

1- بوعرفة عبد القادر وآخرون، التأويل والترجمة، مقاربات لآليات الفهم والتفسير، نقلا عن ابن جزي، التسهيل في علوم القرآن، ص: 10، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009، ص226.

2- المرجع نفسه.

3- إسلام محمد درباله، علوم القرآن وآداب حملته في سؤال وجواب، مكتبة الإيمان، دط، 2007، ص: 356.

4- الجرجاني شريف، التعريفات، مؤسسة الحسيني، ط1، 2006، ص: 216.

ومتماسكة "فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح "نص"¹، يفيد هذا المفهوم أن النص نسيج وشبكة تجمع بين الكلمات والجمل.

اصطلاحاً: ورد في معجم اللسانيات، أن النص "مجموع الملفوظات اللغوية التي يمكن إخضاعها للتحليل، فالنص إذن عينة من السلوك اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوباً أو منطوقاً"¹، أي هو عبارة عن ألفاظ منطوقة أو مكتوبة، تخضع للتحليل والدراسة، ويعني كذلك "الأصل أو الوثيقة أي: الكلام المدون الذي يرجع إليه الباحثون والعلماء والفقهاء باعتباره مستنداً إلى الصحة والوثوق به"²، بمعنى أنه يطلق على كل ما هو مدون في ميدان القرآن أو الفلسفة أو العلم أو غير ذلك، ويقبل التحليل والقراءة والدراسة.

7- الفهم:

لغة: "معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهما وفهامة: علمه... وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء"³، فهو مرادف للتعقل والمعرفة.

- اصطلاحاً: كلمة الفهم كما وردت في "موسوعة لالاند الفلسفية" -Compréhension- هي:

"محمل السمات المنتسبة إلى مفهوم ما، يمكن فهمه في معان شتى:

أ- مجموع كل المزايا المشتركة بين جميع الأفراد، المنتمين إلى صنف معين، فهو شامل.

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه محمل محمولات كل القضايا الصحيحة التي تكون موضوعها حداً معيناً.

ب- جملة السمات المكونة لتعريف المفهوم: حد تقريري.

ج- محمل السمات التي يثيرها في فكر معين أو لدى معظم أفراد جماعة ما، استعمال كلمة معينة، فهم ذاتي.

هـ- مجموع متكون، ليس فقط من المزايا التي تكون مشتركة بين كل أفراد الصنف، بل أيضاً من مجموعات مزايا تنتمي إلى هؤلاء بطريقة تعاقبية، كما هو الحال بالنسبة إلى مثلث ينبغي أن يكون

1- المرجع نفسه، ص 20.

2- حسين سعد، الأصولية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط 1، ص 48.

3- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص 420.

بالضرورة إما حاد الزوايا **Actangle** وإما منفرج الزوايا **Obtusangle**، وبالنسبة لحيوان فقاري، ينبغي إما أن يكون ثدييا، وإما طيرا، وإما زاحفا، وإما ضفدعيا/برمائيا، وإما سمكا¹

- الفهم (**Compréhension**) مفهوم قدم من خلال منطق بورت رويال **Port-Royal** عام 1996، وكان يعني الأفكار أو نظرية في نوع من أنواع الجمال أو التفكير، واليوم له علاقة بالعملية القصدية الشعورية، فهو يتعلق بالحكم والمفهوم، ومع فريج **Frege** ارتبط الفهم بالوجود، فهو العلاقة على الشيء المتوجه نحو شعوره. ومن الناحية اللسانية فيتعلق مفهوم "الفهم" بالتواصل، ويحدد على أساس الاستقبال، ومن الوظائف التي يؤديها، فك الشفرات، والشرح والترجمة... إلخ، وعند البنيويين والأنثروبولوجيين، تم استخدام إنتاج الفهم على أنه خاصية في العلوم الاجتماعية².

8- القراءة: عندما نعود إلى العلاقة بين النص القرآني ومفهوم "القراءة"، نجد هذه الأخيرة من المرتكزات التي تأسس عليها، وهي:

في اللغة: تعتبر مصدر للفعل "قرأ، يقرأ، اقرأ" الذي بدأ به نزول القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾³، وكانت من أكثر الكلمات طرحا عند المسلمين كرمز للعلم والمعرفة، وقد كانت ولا تزال كلمة القراءة عند المهتمين بفهم النص القرآني، بغض النظر عن النفي الحاصل في مفهومها بين الاستخدام الكلاسيكي والمعاصر، العملية الكبرى التي ترتبط بها مختلف المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم، منذ الوهلة الأولى لنزوله إلى يومنا هذا.

اصطلاحا: القراءة كمصطلح تم تداوله بكثرة في الفترة المعاصرة، تتخذ مفهوما جديدا إذ تتجاوز معنى النطق بالحروف والكلمات والجمل أو كتابتها، و"لا تعني هنا بالمفهوم العام، المطالعة وقراءة الكتب بل الفهم واستلها المعاني الواردة في النصوص"⁴.

1- لالاند أندري، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل الجرج، منشورات عويدات، بيروت-لبنان، ط2، 2001، ص: 191، 192.

2- بومدين بوزيد، الفهم والنص، دراسة في المنهج التأويلي عند شلير وماخر وديلتاي، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص: 16.

3- سورة العلق، الآية: 01.

4- حمادي هواري وآخرون، قراءات في فكر وفلسفة علي حرب، -النقد، الحقيقة، التأويل-، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص: 143.

بحيث أصبحت اليوم ترتبط بالتعامل مع النص كحقل دلالي متنوع ومتعدد المعاني، ولا تقوم على نطق النص ولكن استنطاقه، وهي " نشاط لغوي مولد للتباين منتج للاختلاف"¹، أي لا توجد قراءة مطابقة أو موضوعية واحدة ومشاركة تكشف معان محددة يمكن الاتفاق عليها بين الأفراد في شتى الأمكنة والأزمنة، وإلا لما كان الاختلاف في قراءة القرآن الكريم في شتى العصور، وكان له معنى واحدا ثابتا ومتفقا عليه لم تختلف حوله المذاهب والفرق والفلاسفة ورجال الدين...

9- المعاصر:

هذا المصطلح مأخوذ من "العصر"، وله معنيان اثنان هما: الأول: الدهر²، وهو الزمن المنسوب لشخص أو جماعة، مثل " الدهريون"، أو ينسب لدولة، أو نحو ذلك، ومنه عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم-. والثاني: الوقت المعلوم⁴، الذي تؤدي فيه الصلوات الخمس، أي صلاة العصر، والقصود في هذا البحث المعنى الأول، الذي يعني إعادة قراءة النصوص الدينية بطريقة عصرية وحديثة. ويجدوننا الأمل في أن يكون مانسطره ونكتبه في هذه الأطروحة المباركة أن يكون نقدا بناء بما تحمله الكلمة من معنى، لأن للنقد معنى ايجابيا يتمثل في فرز الخالص والنقي، عن المزيف والمغشوش، ولا يقصد به استعراض المغشوشات، وإظهارها للعيان، وإخفاء كل ماهو صالح وحسن وجميل. أضف إلى ذلك أننا في عملنا هذا ننقد ماكتب ودون وألف..، ولا ننقد المؤلف أوالكاتب..، فقد يختلط -مع الأسف- هذان الأمران ببعضهما في البعد الإيجابي، أو السلبي، وتظهر عن هذا الطريق نتائج غير مقصودة، وهذا ما لانريده ولا نزمي إليه، ولا نقصده ولا نسعى إليه البتة، فلا هو من آداب العلم والعالم والمتعلم، ولا هو من أخلاقيات البحث، ولا من أخلاق وصفات الرجال، وهو يعارض ويخالف الحكمة القائلة "انظر إلى ماقال، ولا تنظر إلى من قيل".

هذه باختصار جملة المفاهيم المفتاحية التي يتأسس عليها بحثنا، تؤسس لإشكالية البحث الكبرى المندرجة تحت هذا العنوان الواسع، "المنطلقات الفكرية وإشكالات المنهج في القراءات المعاصرة للخطاب القرآني"، والذي يعتبر من المواضيع الواسعة جدا- تدخل تحته إشكاليات كثيرة، تدرك وتحلل وتناقش في إطار مفاهيم أخرى تتداخل وتتقارب ويكمل بعضها بعضا، نفصلها لاحقا

1- محمد رواس قلنجي، وحامد صادق قنيني، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط2، 1988/1408، ص314.

2- محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط1420، 1999/5، ص343.

في مباحثها وفصولها، لعل أهمها مفهوم الخطاب القرآني وعالميته وتحليلاته، والدعوة إلى قراءته من جديد، بتطبيق المناهج الحديثة وآليات الفهم المعرفية المعاصرة على هذا الخطاب الرباني، وإشكالات ذلك وتداعياته، ومنطلقات القراءات المعاصرة، ومحدداتها ومرتكزاتها، كل ذلك نراه مفصلاً ومختصراً في هذه الفصول المباحث بداية بالتطرق للمصدر الأول للتشريع، لأن القرآن الكريم منذ بداية تنزله أحدث ثورة، ولقي استجاباً، وتأييداً، ورفضاً ومعارضة، وتشكيكاً حتى في مصدريته، لنعرج بعد ذلك على مفهومه والإشكالات التي أثيرت حوله...، ثم تتوالى المباحث الموجزة والمختصرة، والتي تطرح كثيراً من القضايا والتساؤلات، يأتي ذلك كله بعد ولوجنا لهذا الفصل الأول الذي عنوناه بـ: "القرآن الكريم، مصدر التشريع، ومنبع العلوم"، ويحتوي على مباحث خمسة، فما المقصود بالمصدر الأول للتشريع؟.

الفصل الأول

القرآن الكريم، مصدر التشريع،

ومنبع العلوم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المصدر الأول للتشريع.

المبحث الثاني: مفهوم القرآن الكريم.

المبحث الثالث: علم التفسير.

المبحث الرابع: الإشكالات المثارة حول القرآن.

المبحث الخامس: أسماء القرآن عند أركون.

المبحث الأول: المصدر الأول للتشريع:

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، وهو رأس الأدلة، وعمدة التشريع، ونبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار، قد اتفق المسلمون على حجته، ووجوب العمل به، وعدم العدول عنه إلى غيره من الأدلة، إلا إذا لم يوجد فيه الحكم المطلوب مباشرة. وقد أنزل منجما حتى يتسنى حفظه والعمل به شيئا فشيئا، ولو تنزل جملة واحدة لتحول سريعا إلى كلمة مقدسة خامدة، وإلى فكرة ميتة، وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدرا يبعث الحياه في حضارة وليدة¹.

والقرآن الكريم يخاطب في قضية الألوهية مجموع الإنسان كله، لاعقله وحده، ولا وجدانه وحده، ويخاطبه في جميع حالاته، مقبلا ومدبرا، صاعدا وهابطا، حي الوجدان ومتلبد الحس، متفتح البصائر ومغلق البصيرة، مستثارا وهادئا، متطلعا وخائفا، ضاحكا وباكيا، مستكبرا ومستسلما، يقظا وغافيا، مستقيما على أمر الله وجانحا عن السبيل، كما أنه - وهو يخاطبه - يحيط به من كل جانب، ويدخل إليه من كل أقطار نفسه: من صفحة الكون المعروضة أمامه، من الأحداث الجارية حوله، من نفسه وما يجري فيها، من مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة، مما تدركه الحواس وما لاتدركه، كما يواجهه بحقيقة نفسه، ضعيفا محتاجا، مقرا بعجزه في ساعات الكرب والضيق والشدة، مستنكفا طاغيا متجبرا حينما تنتهي المضايق والمحن والشدائد.

1- مصدر القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، ولم يكن هذا القرآن مدونا على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، في كتاب معين، وإنما حفظه كثير من الصحابة الكرام، حفظا كاملا، وكان تدوينه يتم بوساطة كتاب الوحي، وكان هؤلاء الكتاب يكتبون القرآن كما يتيسر لهم على العظام والعسيب واللخاف والحجر والجلود، ومن أشهر كتاب الوحي: الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام. وبعد وفاته - صلى الله عليه وسلم -، جمع أبو بكر ما كتب في العهد النبوي من الصحف، وذلك خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته الذين حفظوه من فمه الشريف - صلى الله عليه وسلم -.

1- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1987، ص 211.

ثم قام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بمهمة نسخ الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى عدة مصاحف بوساطة لجنة كونت من زيد بن ثابت، وثلاثة من قریش، هم سعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وذلك بعد الاختلاف الذي وقع في القراءة.

وقد كان القرآن الكريم بالنسبة إلى الصحابة هو المصدر الأول لاستخراج الأحكام الشرعية، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه سمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من الغد حين بويع أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واستوى أبو بكر على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قام عمر، فتشهد قبل أبي بكر، ثم قال: "أما بعد، فإنني قد قلت لكم أمس مقالة لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت في كتاب أنزله الله، ولا في عهد عهده إلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولكني كنت أرجوا أن يعيش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يدبرنا - أي يكون آخرنا -، فاختار الله جل وعلا لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا كتاب الله، هدى الله عز وجل به رسوله، فخذوا به تهتدوا بما هدى الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم -".¹

فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، على المنبر، بحضرة جميع الصحابة يعترف ويقر ويعلن بأن الوحي الإلهي والقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع.

وعن جبلة بن عامر بن مطر، قال: "قال لي حذيفة: كيف أنت يا عامر إذا أخذ الناس طريقهم؟ أيهما تكون؟ قلت: مع القرآن، أحياء مع القرآن وأموات، قال حذيفة: فأنت أنت؟"²

وروى ابن أبي شيبة بسنده، عن أبي البحتري، قال: "قالوا لعلي: حدثنا عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: عن أيهم؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود، قال: علم القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علماً"³.

1- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ، ج4، ص635.

2- عبد الرزاق بن أبي شيبة، المصنف، تحقيق، أسامة، ط1، دت، حديث 374226، وابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج4، ص666.

3- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط1332، 2هـ، ج1، ص: 79.

هذا وقد اشتهر عن الصحابة والتابعين، ورعهم وتخرجهم من تفسير القرآن الكريم، وإحجامهم عن القول فيه، ونقلت عنهم مواقف متعددة يتفق جميعها على تعظيم التفسير وإعلاء قدره في الصدور والسطور، وهي في الوقت نفسه تنكر على المجترئين اقتحامه بلا علم ولا بصيرة.

وقد جاء عن طائفة منهم الأمر باتقاء التفسير وكراهية الخوض فيه، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع"¹.

وعن الشعبي قال: أدركت أصحاب عبد الله، وأصحاب علي، وليس هم لشيء من العلماء كرهه، منهم لتفسير القرآن".

وعنه أيضا: "لئن أكذب مائة كذبة على محمد أحب إلي من أن أكذب في القرآن كذبة، إنما يفضي الكاذب في القرآن إلى الله"².

وعن يزيد بن أبي زيد قال: "كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلمنا الناس، فإذا سأله عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع"³.

وقريبا منه قول ابن جريج: كنت أسأل عطاء عن كل شيء يعجبني، فلما سأله عن البقرة، قال: اعفني من هذا.

بل ولشهرة هذا الأمر عنهم عقد فيه بعض المصنفين أبوابا، فعقد ابن أبي شيبة بابا فيمن كره أن يفسر القرآن، وغير هذا كثير.

ولا يظن أن ورع الصحابة والتابعين عن الكلام في التفسير خاص بطائفة دون أخرى، وإنما هو منهج عام سلكه الجميع، حتى اشتهر منهم بالاطلاع الواسع في التفسير كأهل مكة، وهم أعلم الناس بكتاب الله، نجدهم يتورعون عن الكلام في معاني القرآن الكريم⁴.

1- ابن أبي شيبة، المرجع السابق، حديث، 32238، ج10، ص: 511.

2- ابن أبي شيبة، المرجع نفسه، باب "ما جاء فيمن قال في القرآن برأيه"، ج10، ص: 512.

3- الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج8، ص: 80.

4- الطبري، المرجع نفسه، ج1، ص: 80.

كما امتنع عدد من الصحابة والتابعين عن كتابة التفسير، حتى لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهي به، فقد كتب رجل في عهد عمر مصحفاً، وكتب عند كل آية تفسيرها، فدعا به عمر فقرضه بالمقاريض.

وسأل رجل سعيد بن جبير أن يكتب له تفسير القرآن، فغضب وقال: "لأن يسقط شقي أحب إلي من ذلك"¹.

والخوف من تفسير القرآن الكريم، والابتعاد عنه من طرف الصحابة الكرام، الذين أكرموا بمشاهدة تنزله، وعاشوا أحداثه لحظة لحظة، وفهموا مقاصده ومعانيه، ومراد الله من وراء ذلك، لأن أغلب الآيات والسور التي كانت تنزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كانت تجيب عن تساؤلاتهم، وتحل مشاكلهم، وتبين لهم الحلال والحرام والمباح... فهم يعرفون أسباب تنزل الآيات وأماكنها، وحقيقة الأشخاص الذين نزلت فيهم، ورغم ذلك تورعوا وهربوا من التفسير، لعلمهم اليقيني، بأن هذا القرآن مصدره الله عز وجل، فخافوا أن ينقلوا كلاماً يخالف مراد الله تعالى.

وإضافة إلى القرآن الكريم، فقد كان الصحابة أكثر الناس تمسكاً بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع، والأمر نفسه بالنسبة للمصدر الثالث وهو الإجماع، وهو ما يبين استدلال الصحابة بالخبر المتواتر واعتباره حجة، كما أنهم -أي الصحابة رضوان الله عليهم-، استعملوا الرأي في استنباط الأحكام الشرعية، إذا لم يجدوا نصاً من الكتاب ولا من السنة، وهذا دليل على غزارة علمهم، وسعة اطلاعهم، وقبولهم الرأي الآخر، إذا كان أقوى².

هذه هي نظرة الصحابة الكرام والتابعين، للقرآن الكريم، وتعاملهم مع المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وغيره من المصادر، فقد أنزلوا الوحي منزلته، وأعطوه مكانته، وعرفوا فضله وقدره وقداسته، وجعلوه منهج حياتهم، فطبقوا تعاليمه، ووقفوا عند حدوده، وحكموه بينهم، واحتكموا إليه، كلما حدث بينهم نزاع أو خلاف وشقاق، فانتصروا وسادوا وقادوا.

وعلى النقيض من ذلك، فقد تعرض القرآن الكريم لافتراءات وادعاءات ودسائس كثيرة منذ فجر الدعوة الإسلامية، فقد حاول المشركون الطعن في القرآن الكريم وتشويهه، والتشكيك في صحته ومصدره الإلهي، وفي عصر التدوين، ألفت كتب كثيرة، وكتبت مقالات ورسائل وبحوث عديدة،

1- ينظر: القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، دمشق، دار ابن كثير، ج2، ص: 212.

2- ينظر: أحمد ديب، التفكير الفقهي المعاصر بين الوحي الخالص وإكراهات التاريخ، قراءات في الخطاب الشرعي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت، 2017، ص: 47-51.

اهتمت بنواح عدة، فكانت هناك كتب اهتم أصحابها بمصادر القرآن، وتهدف غالبية هذه الكتب إلى إثارة الشبهات والمزاعم حول المصدر الإلهي للقرآن الكريم، ومن هذه الكتب:

- المدخل إلى القرآن لبلاشير الفرنسي، ونشر في باريس 1947م.
- المدخل إلى القرآن د. بل، ونشر في إدنبره عام 1954م.
- المصادر الأصلية للقرآن للمنصر البروتستانتى سانت كلير شدال.
- مصادر القصص الأصلية في القرآن وقصص الأنبياء، لسايدر سكاي، باريس 1932م.
- مصادر القصص الكتابي في القرآن، لسباير.
- مصادر تاريخ القرآن، لآثر جفري.
- القرآن والكتاب، للخوري الحداد.
- تاريخ القرآن، لبوتيه، طبع في باريس 1904م.
- التطور التاريخي للقرآن، لإدوارد سيل، مدارس الهند 1898م.
- مواد لدراسة تاريخ نص القرآن، لآثر جفري، لندن 1937م.
- تاريخ النص القرآني، لأجناس، جولد شهر، جوتنجن، 1860م.
- تاريخ النص القرآني، لنولديكه.

إلى غير ذلك من كتب المستشرقين الذين لم يتوصل أكثرهم إلى تكوين فكرة صحيحة وسليمة عن مصدر القرآن الكريم، وعن الوحي ككل، فلم يتركوا شيئاً من التشويه إلا نسبوه إليهما، يقول المستشرق الفرنسي كارادي فو¹: «ظل محمد زمناً طويلاً يعرف في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه»².

وإنه من حق كل أمة أن يعرف أبنائها ما يقوله الآخرون عنها، في عقيدتها ودينها وأخلاقها وثقافتها وحضارتها، ومن حق علمائها ومفكرها أن يتناولوا هذه الأقوال بالدراسة والتحليل والنقد، وأن يردوا على المتعسفين بالأدلة المنطقية، والحجج الواضحة، والبراهين القوية. وقد عنيت الأمة الإسلامية عناية فائقة بالقرآن الكريم منذ نزوله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا،

1- مستشرق فرنسي مولود سنة 1867م، له مؤلفات منها: مفكرو الإسلام، انظر: المستشرقون، نجيب الحقيقي 238/2.

2- ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، صدر في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر هجري، ج2، ص: 22.

ولم يدع العلماء ناحية من نواحي القرآن الكريم الخصبية إلا وألّفوا فيها المؤلفات القيمة فمنهم من ألف في نزول القرآن، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في إعرابه، ومنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من يهتم بإبراز الجانب اللغوي، ومنهم من يهتم بإبراز الجانب البلاغي، ومنهم من يهتم بإبراز الجانب البياني، ومنهم من يهتم بإبراز الجانب الفقهي، ومنهم من يهتم بإبراز الجانب العقدي...

والمسلم يعتقد تمام الاعتقاد بصحة القرآن الكريم وصحة مصدره، فهو موحى من عند الله بواسطة أمين الوحي جبريل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فألفاظ القرآن تدل على صحة المصدر، فهو في أعلى درجات البيان العربي من حيث ألفاظه وعباراته وبلاغته وفصاحته ونظمه وفواصل كلمه؛ مما يدل دلالة قاطعة على عجز البشر والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾¹.

قال الزركشي² - رحمه الله -: «هو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل منقول، وتظافر بإيجازه وإعجازه... قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه إلى ما ينشط السامع ويقرط السامع، من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، وترديد ماله مزيد، إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة، والصناعة الرفيعة، فالآذان بأقراطه³ خالية، والأذهان من أسماطه⁴ غير خالية، فهو من تناسب ألفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، ومن تبسم زهره، وتنسم نشره، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق، كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرة، ومن بهجتها درة... إلى أن قال: «فله على كل كلام سلطان وإمرة بهر تمكّن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع

1- سورة الإسراء، الآية: 88.

2- محمد بن بهاء بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، عالم بفقهاء الشافعية والأصول والحديث والتفسير، أحد العلماء الأثبات له تصانيف كثيرة، توفي سنة 794هـ، الأعلام 6/60.

3- أقراط جمع قرط، والقرط هو ما يُعلق في شحمة الأذن من دُرٍّ أو ذهب أو فضة أو نحوها، نظر: المعجم الوسيط (727/2).

4- الأسماط جمع سمط، والسمط هو الخيط مادام فيه الخزر وإلا فهو سلك، والسمط خيط النظم لأنه يعلق، وقيل هي قلادة أطول من المخنقة، قال أبو الهيثم: السمط الخيط الواحد المنظوم، انظر: لسان العرب 7/14.

إشارات، وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحكم زاخرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة»¹.

والقرآن الكريم كلام الله تعالى أوحاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۗ﴾².

وأمر الوحي أمر عظيم عند الله جل وعلا، يختار الله ويصطفى من خيرة خلقه رسلا من الملائكة ومن الناس، قال عز من قائل: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾³، وقال: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَّن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۗ﴾⁴، والقرآن الكريم نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام.

2- مفهوم الوحي:

لغة: تقول وحيت إليه، وأوحيت: إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، وأصله الإشارة السريعة، وقد يكون على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد أو بإشارة بعض الجوارح، فيكون معناه اللغوي: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى عن غيره⁵.

وقال الأزهرى⁶ في قوله: "وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمَّ مُوسَىٰ نَارًا ضِعْبِيَّةً"¹، "قيل: الوحي هنا إلقاء الله في قلبها... وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيا، والكتابة تسمى وحيا، وقال الله عز وجل:

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 3-5.

2- سورة الشورى، الآية: 52-53.

3- سورة الحج، الآية: 75.

4- سورة النحل، الآية: 02.

5- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار الباز للنشر، دت، ص: 515.

6- محمد أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والآداب، عني بالفقه فاشتهر به ثم غلب عليها التبحر في العربية، من كتبه تهذيب اللغة، توفي سنة 370هـ، انظر الوفيات 501/1، والأعلام 311/5.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا...﴾²
ومعناه: إلا أن يوحى الله إليه وحيا فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه إما إلهاما وإما رؤيا، وإما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على موسى، أو قرآنا يتلى عليه كما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها"³.

- اصطلاحا:

هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه إما بكتاب أو برسالة ملك في منام أو إلهام⁴.
وعرفه الإمام القسطلاني⁵ بأنه: "إعلام الله تعالى أنبياءه الشيء إما بكتاب أو برسالة ملك أو منام أو إلهام"⁶.

ولا نستطيع أن نعرف حالات الوحي ولا كيفية نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بما نقله لنا الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - فهم عاصروا الرسول عليه الصلاة والسلام، وشاهدوا حال نزول الوحي عليه، ونقلوا لنا ذلك بأمانة وتواترت الروايات وكثرت عن كيفية نزول الوحي وحالاته، حضرا وسفرا، ليلا ونهارا، حربا وسلما، ودلائل ثبوت الوحي الإلهي لمحمد صلى الله عليه وسلم، أكثر من أن تحصى.

• أدلة ثبوت الوحي:

- الأدلة على ثبوت الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، كثيرة نذكر منها:

1- الدليل الأول: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل

1- سورة القصص، الآية: 07.

2- سورة الشورى، الآية: 51.

3- محمد بن أحمد الأزهرى: تهذيب اللغة، نج، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، ج5، ص: 597، (وحي).

4- انظر: مباحث في علوم القرآن، ص: 33.

5- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني أبو العباس شهاب الدين، من علماء الحديث، من كتبه: إرشاد الساري، شرح صحيح البخاري، وكتاب المواهب اللدنية في المنح المحمدية، توفي سنة 923هـ.

انظر: البدر الطالع 102/1، الأعلام 232/1.

6- أبو العباس شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح البخاري، ج1، ص: 48.

فلق الصبح¹، ثم حب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التبعذ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ [العلق: 1-3] فرجع لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرؤا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، ياليتني فيها جَدَعًا ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله عليه وسلم: أومُخِرَجِي هُم؟ فقال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مُؤَزَّرًا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي².

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما -وهو يُحَدِّثُ عن فترة الوحي- فقال في حديثه: بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني

1- أي ضوؤه وإنارتته، والمعنى ظهرت مطابقتها للواقع كظهور ضياء الصبح لناظره، انظر: النهاية في غريب الحديث 471/3.

2- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي ص 1، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 127/1.

بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فزعبت منه فرجعت فقلت: زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۙ قُمْ فَأَنْذِرْ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَأَهْجُرْ﴾ فحمي الوحي¹.

فهذا الذي تم بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين ورقة بعد أن بلغ من الكبر عتياً، وهنا ندقق النظر ونسأل: لم قال ورقة: ((هذا الناموس الذي نزل الله على موسى)) ولم يقل على عيسى، علماً بأن ورقة نفسه يقيم على شيء من النصرانية؟

ذهب ابن حجر العسقلاني إلى أن ورقة أعلن بهذا أن الملك الذي لقيه محمد صلى الله عليه وسلم في غار حراء هو ملك الوحي الذي أجمع أهل الديانتين (اليهودية والنصرانية) على الإيمان بنزوله إلى موسى، ولم يقل ورقة: (إنه الذي نزل على عيسى) لأن اليهود ينكرون نبوة عيسى وصلته بوحي الله².

2- الدليل الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ

لِتُعْجَلَ بِهِ﴾ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفثيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفثيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُعْجَلَ بِهِ ۖ إِنَّ عَالِيْنَا جَمَعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۗ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ قال: فاستمع له وانصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن نقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه: النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه³، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفثيه أثناء تلقي الوحي حرصاً على الدقة في استحفاظ القرآن الكريم.

1- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي ص1، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 127/1.

2- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مكتبة دار الفحاء، دمشق، ج1، ص20.

3- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الاستمتاع إلى القراءة

- 3- الدليل الثالث: عن عبد الرحمن بن عبد القاريّ قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل»¹.
- فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: ((اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا))، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ((أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة)) ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم عشر آيات².
- 4- الدليل الرابع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إن كان ليوحي إليه وهو على ناقته فتضرب جرانها³ من ثقل ما يوحي إليه))⁴.
- 5- الدليل الخامس: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: 64]. إلى آخر الآية، قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم⁵.

فهذه الآيات والأحاديث السابقة تبين وتؤكد بيقين حقيقة الوحي، وأن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وحياً عن طريق جبريل عليه السلام كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ١٠٣ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل: 102-105] وكما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا

1-الدُّوِيُّ: صوت ليس بالعالى كصوت النحل ونحوه، النهاية في غريب الحديث 143/2.

2- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة المؤمنون 326/5. وضعفه الألباني، انظر ضعيف سنن الترمذي، ص: 338-339.

3-الجران: باطن العنق وجمعه جُرْنٌ، والمعنى: من شدة الوحي وثقله كان البعير يمد جرانه على الأرض ليستريح، انظر غريب الحديث لابن الجوزي 152/1.

4- أحمد بن حنبل، المسند، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1389، 1/هـ/1969م، ج6/118.

5- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب سورة كيهعص، ص: 997.

وَحَيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ [الشورى: 51] فهذه الآيات يثق المؤمن فيها وهي تتضمن القول الفصل في مصدر القرآن الكريم وأنه من الله عز وجل ولا يشك في ذلك إلا جاحد أو مكابر ومنافق، ولم ينكر ذلك إلا من كان أعمى البصيرة، وختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وكانوا من الغافلين.

والمؤمن يؤمن ويوقن بمصدرية كل الكتب السماوية، كالتوراة والإنجيل والزرور والصحف الأولى، وصحف إبراهيم وموسى، وأنها من الله عز وجل، أنزلها على رسله وأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام-، وأنها حرفت وغيرت وبدلت، ولم يكتب لها المولى عز وجل الحفظ، مثل القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية، الذي جاء مهيمنا على كل الكتب السابقة، وناسخا لبعض أحكامها، ومثبتا لبعضها الآخر، وأنه يمتاز بالشمولية، والديمومة، والخلود، حفظه الله جل وعلا بنفسه، من التحريف والتغيير والتبديل وجعله خطابا للبشرية جمعاء.

فما هو القرآن الكريم؟ وماهي صفاته ومميزاته وخصائصه؟.

المبحث الثاني: القرآن الكريم، مفهومه، صفاته، ومميزاته.

من الأفضل لأي باحث أن يقدم بين يدي بحثه تعريفاً بالمصطلحات العلمية التي يكثر دورها وتكرارها في بحثه، مساهمة منه في زيادة الإيضاح والبيان، ودفع الغموض، وإزالة الإشكال، وتقريب المفاهيم، وتخفيفاً على القارئ بعضاً من التعب والعناء الذي يستدعيه عمله، من رجوع إلى القواميس والمعاجم والمناجد ونحوها، وريحاً للوقت، وقد اعتنى المؤلفون بالمصطلحات العلمية، فأفرد بعضهم مصنفات تتعلق بعلم من العلوم، وبعضهم جمع ما يتعلق بعدة علوم، وبعضهم اتبع ما تتبعته في بحثي هذا، فقدم مصطلحات الفن في أول مؤلفه، أو في بداية بحثه، وهذا منهج سديد في تقريب المادة العلمية، وربطها بأصولها، وتتبع التغيرات والتحويلات التي تطرأ على هذا المصطلح أوداك، بسبب تقاربه مع مصطلحات مستحدثة، وتوظيفه في ميادين شتى، وإن كنت في بحثي هذا لم استقص كل المصطلحات التي تهتم بمفهوم القرآن الكريم، وإنما اقتصر على ذكر أهمها وأكثرها وروداً ودوراً، وهذا مسلك علمي ومنهجي، يحسن اتباعه والتزامه في سائر العلوم والتخصصات، لأن الفهم السليم مرهون بالتصور السليم، وقديماً قالوا "الحكم على الشيء فرع عن تصوره".

وقد آثرت أن أذكر بعض التعريفات التي وضعها علماء التفسير واللغة، ثم أذيل ذلك بملاحظات حول هذه التعريفات، لنخلص إلى التعريف المختار.

والبحث في مفهوم القرآن الكريم، يمثل المفهوم الذي ألحقه به أو طرحه علماء الدين حوله قديماً وحديثاً.

- مفهوم القرآن :

أ- لغة: مفهوم القرآن في اللغة يرتبط بالقراءة والجمع، لأنه يرتبط بكل ما هو مقروء، فهو مشتق من الفعل قرأ يقرؤه، وقرأ، وقراءة، وقرآنا، وسمي قرآنا لأنه يجمع كل السور ويضمها إلى بعضها بعضاً، نسبة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾¹.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "معنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور ويضمها... وقرأت الشيء قرآنا... جمعته وضممت بعضه إلى بعض... وسمي القرآن" لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور، بعضها إلى بعض، وهو

1- سورة القيامة، الآية: 17.

مصدر كالفقران، قال: وقد يطلق على الصلاة، لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: "قرأ يقرأ قراءة وقرآنا"¹.

ويقول "الزركشي" في أحد التعريفات "وأما القرآن فقد اختلفوا فيه ف قيل هو اسم غير مشتق منشئ، بل هو اسم خاص بكلام الله، وقيل: مشتق من القرى وهو الجمع، ومنه قرية الماء في الحوض أي: جمعته قاله الجوهري وغيره"²، ويذهب السيوطي إلى أنه: "لا يقال لكل جمع: قرآن، ولا لجمع كل كلام، قرآن، قال وإنما سمي قرآنا، لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها"³.

ب-اصطلاحاً: والمفهوم الاصطلاحي للقرآن الكريم تعددت أيضاً تعاريفه واختلفت قديماً وحديثاً، ومن أهم التعاريف ما يلي:

1- تعريف الغزالي:⁴

قال في المستصفي: "مانقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً"⁵.

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق.ر.أ)، ج1، ص: 133، 134.

2- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ص: 347.

3- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دط، 2005م ص: 137.

4- الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، له نحو مائتي مصنف، من كتبه: إحياء علوم الدين تحافت الفلاسفة، المستصفي في علم الأصول، توفي سنة (505هـ).

5- الغزالي أبو حامد، المستصفي في علم الأصول، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى، (يولاق 1322)، دار الفكر، (د،ت)، ج1، ص101.

2- تعريف البزدوي¹:

قال: "أما الكتاب، فالقرآن المنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف، المنقول عن النبي -صلى الله عليه وسلم- نقلاً متواتراً بلا شبهة"².

3- تعريف الجرجاني:

قال: "هو المنزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر بلا شبهة، والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها"³، أي هو الكتاب التام والكامل والشامل والجامع لكل الحقائق.

4- تعريف دربالة إسلام محمود:

قال: "هو كلام الله الذي أنزله على نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- باللفظ والمعنى، بواسطة جبريل، المتعبد بتلاوته وأعجاز الخلق عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، وهو كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مسموع بالأذان"⁴، أي هو كلام الله وحده، دون غيره من الإنس والجن والملائكة، المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-، وبالتالي يخرج كل ما أنزل على الأنبياء من قبله، والمتعبد بتلاوته، أي المأمور بقراءته في الصلاة على وجه العبادة، وفي غير الصلاة، فقراءته عبادة وقرية.

5- تعريف الشوكاني⁵:

- 1- البزدوي: هو علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، فخر الإسلام، البزدوي، فقيه أصولي، من أكابر الحنفية، توفي سنة 482هـ، من مؤلفاته: كنز الوصول، المبسوط.
- 2- علاء الدين عبد العزيز أحمد البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، مطبعة سنده العثمانية، 1308، نشر الكتاب العربي، بيروت، 1394هـ/1984م، ج1، ص68-70.
- 3- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، مؤسسة الحسين، ط1، 2006م، ص154.
- 4- دربالة إسلام محمود، موسوعة علوم القرآن، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 2007م، ص42.
- 5- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، نشأ بصنعاء، وولي قضاءها، ومات حاكماً بها، له 114 مؤلفاً منها، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، فتح القدير، وإرشاد الفحول، توفي سنة 1250هـ.

قال: "وأما حد الكتاب اصطلاحاً فهو: الكلام المنزل على الرسول- صلى الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف المنقولاً لنا متواتراً"¹.

6- تعريف السبكي:²

قال: "اللفظ المنزل على محمد- صلى الله عليه وسلم- للإعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته"³.

7- تعريف صبحي أحمد محمود، و صفاء عبد السلام جعفر:

قال: "الكتاب المنزل على نبيه- صلى الله عليه وسلم-، المكتوب بين دفتي المصحف، فهو مصدر إلهي بحت، لم يمسّه تصحيف أو تحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁴، وذلك دليل على توجيه إلهي وإرشاد سماوي شعر المسلم أنه لن يضل أبداً إن اهتدى بهدي ذلك الكتاب حتى غدا القرآن الكريم معظم العلوم الدينية كالقراءات والتفسير والفقه، والنحو، والبلاغة، والكلام، والتصوف"⁵.

8- تعريف الزركشي:⁶

قال: "هو الكلام المنزل للإعجاز بآية منه، المتعبد بتلاوته"⁷.

هذه بعض التعاريف التي أوردناها، وتركنا الكثير منها لأنها تتقارب وتتشابه، وما يلاحظ على هذه التعاريف نجملها في مجموعة من الملاحظات والمؤاخذات والتحفظات وهي:

1- الشوكاني، إرشاد الفحول، ص29.

2- هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبونصر، قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، انتهى إليه قضاء القضاء في الشام، من مؤلفاته، "طبقات الشافعية الكبرى"، توفي بالطاعون سنة، 771هـ.

3- عبد الوهاب بن علي السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، (مع حاشية البناني على المحلى)، تحقيق، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط1424، 2/2003، ج1، ص224.

4- سورة الحجر، الآية: 9.

5- صبحي أحمد محمود، و صفاء عبد السلام جعفر، فلسفة الحضارة - اليونانية، الإسلامية، الغربية - دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ط1، 2006م، ص: 55.

6- هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أحد الأئمة الذين نجموا بمصر، في القرن الثامن، وهو من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، حفظ كتاب المنهاج في الفروع للإمام النووي، قال ابن حجر قد كان منقطعاً في منزله لا يتردد إلى أحد إلا على السوق، وإذا حضر إليها لا يشتري شيئاً وإنما يطالع في حانوت الكتبي، توفي سنة، 794هـ.

7- الزركشي، البحر المحيط، تحقيق، لجنة من علماء الأزهر، دار الكتبي، مصر، ط1414، 1/1994م، ص178.

-ملاحظات على هذه التعريفات:

إن تعريف الغزالي تعرض لبعض مسائل الخلاف مما جعل المخالف فيها لا يسلم بهذا التعريف، فعبارة (ما نقل إلينا... على الأحرف السبعة) ظاهرة في أنه يذهب إلى أن الأحرف السبعة باقية في المصحف الإمام، وأنها نقلت إلينا، وهذه مسألة خلافية نازع فيها كثير من العلماء، فمن لا يرى ذلك لا يسلم بهذا التعريف؛ لأن هذه المسألة من المسائل التي لم يحسم فيها أمر الخلاف، والخلاف الدائر فيها بين العلماء يرجع إلى أمرين مهمين هما:

الأول: إن الخلاف الدائر حول هذه القضية محصور بصنيع سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في الجمع الثاني للقرآن الكريم، ولا علاقة له بالجمع الأول في عهد سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لأن الجمع الأول ليس إلا عملية استنساخ حرفي لما كتب ودون زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبأمره دون إبعاد لأي حرف من الحروف ودون تقديم لما وافق حرف قريش في مواضع معينة وتأخير غيره ونحو ذلك، وفي هذا يقول أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي¹ في كتاب "فهم السنن": "كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه -صلى الله عليه وسلم- كانيأمر بكتابتها ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعصب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكانمجمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء"².

الثاني: إن هذه المسألة مبنية على مذهب الشخص في معنى الأحرف، فمن فسرها برأي فإنه لا بد أن يذهب إلى ما لا يتعارض مع تفسيره، ولذا رأينا الطبري يذهب غير مذهب الباقلاني ومذهب ابن الجزري، ومن الخطأ البين أن يذهب ذاهب هنا إلى ما يتعارض مع مذهبه هناك - إن صحت نسبته إليه - كما وقع فيه أبو طاهر بن أبي هاشم الذي يذهب هنا مذهب الطبري ويخالفه هناك مقاربا مذهب الباقلاني وابن الجزري ومن وافقهما³.

1- الحارث بن أسد المحاسبي: هو أبو عبد الله، من أكابر الصوفية، كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ت: 234هـ.

2- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص: 243.

3- عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، القراءات القرآنية، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، تقديم الدكتور: مصطفى سعيد الحن، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م، ص: 134.

أ- كما أن تعريفه للقرآن - أي الغزالي - بقوله: "مانقل إلينا بين دفتي المصحف... " غير مانع لدخول البسملة بين السور على رأي من لا يعتبرها قرآناً، ووافقه صبحي في هذا التعريف.

ب- وما يلاحظ على تعريف الزركشي، فهو ذكره أن الإعجاز يحصل بآية منه، وهو كلام غير سليم فإن التحدي المثبت في القرآن الكريم محصور بثلاثة أنواع:

أ- التحدي بالإتيان بمثله: وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨ ﴾¹.

ب- التحدي بعشر سور من مثله: وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ اقْتِرِبْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٣ ﴾².

ج- التحدي بسورة من مثله: وأقصر سورة هي ثلاث آيات، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا عَلَىٰ أَن يَدْخُلُهَا مِنَّا مِن قِبَلِنَا أَوْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ ﴾³، أما التحدي بآية من مثله فلم يحصل، ولهذا كان تعريف السبكي أدق من تعريف الزركشي.

د- أن التعريفات المذكورة كلها، لم تقتصر على أدنى مطلوب لتمييز المعرف عن غيره وجعله جامعاً مانعاً، بل زادت على ذلك ولم تستوف الأوصاف الملازمة للقرآن.

ثالثاً: التعريف المختار:

يقول عبد الحليم قابة: "إذا آثرنا الاختصار والاختصار على ما يدل على المعرف على نحو جامع مانع أمكن أن يقال: القرآن: هو كلام الله المعجز المنزل على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -".

وإذا آثرنا الإسهاب زيادة في الإيضاح والبيان - وهو أمر يناسب مقام التعريف كما قال الزرقاني⁴، أمكن أن يقال:

"القرآن هو كلام الله تعالى: المعجز، المنزل - بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام - على رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم -، بأحرفه السبعة، لفظاً ومعنى، المحفوظ في

1- سورة الإسراء: الآية: 88.

2- سورة هود، الآية: 13.

3- سورة البقرة، الآية: 23.

4- ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ج1، ص21.

الصدر، والمكتوب في المصاحف العثمانية، برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة وقراءاته المتعددة، والمنقول إلينا بالتواتر، والمتعبد بتلاوته، والمفتوح بالحمد، والمختتم بسورة الناس¹.

من خلال هذه التعريفات الاصطلاحية للقرآن الكريم، التي ركزنا على عرضها عند العلماء المسلمين دون غيرهم، ندرك أنها تلحق بمفهومه جملة من الصفات، نُحددها في نتيجتين هما:

-الأولى: إن علماء الإسلام يتفقون في تعريف القرآن الكريم، داخل سياق عقيدتهم الإسلامية على أنه الكتاب المطلق والنهائي والصحيح المصحح لكل تحريفات الكتب السابقة، المنزل من السماء على نبيه في الأرض في شكل سور وآيات مدونة في مصحف، ذو مصدر إلهي محفوظ لا يمكن أن يحرف أو يمسه أي تحريف، يمثل طريق المسلم نحو الهداية، وكل العلوم الدينية ترجع له وتنشق منه كعلوم أصول الدين والتفسير والفقه وأصوله وعلم الكلام والتصوف، كما تشتق منه علوم اللغة كالنحو والبلاغة.

وتضاف إليها العلوم الأخرى التي هي غير دينية كالعلوم المدنية وعلم الفلك والنبات والحيوان وعلم الحساب.

-الثانية: إن القرآن الكريم يختلف عن الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل وكل الشرائع الوضعية لأنه جاء مصححا لتحريفاتها، ويختلف كذلك عن النصوص البشرية الموجودة في النثر والشعر، فهو ليس نصا عاديا كباقي النصوص التي أنتجها الفكر الإنساني في ميادين مختلفة كالفلسفة والعلوم المختلفة، بل هو نص مقدس ومبجل متميز في شكله ومضمونه، حيث لا يمكن أن يكون مماثلا ومجانسا للنصوص البشرية بوجه من الوجوه، نفهم أن التصور الكلاسيكي² للقرآن الكريم يجمع بين نوعين من الصفات يلحقها بها رجال الدين المسلمين على وجه الخصوص.

-الأولى تتعلق بشكله:

-والثانية ترتبط في مفهومه.

1- عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، ص21، 22.

2- المفهوم الكلاسيكي للقرآن، لا يعني أنه لم يعد متداولاً اليوم، بل المقصود منه تصدر علماء الدين الذي نسج قديماً، وكرس طيلة العصور كمبادئ للمقدس والغبي والمبجل، وقد كان ولا يزال أكثر تداولاً بالمقارنة مع المفاهيم الجديدة التي في أغلب الحالات موضع استهجان ورفض من شتى الأطراف إلى غاية يومنا هذا، وهو ما يسعى أنصار القراءات المعاصرة والمناهج الحديثة في قراءة القرآن الكريم إلى نقده وتجاوزه.

وهذين النوعين يجعلان القرآن الكريم متميزا تميزا مطلقا عن الكتب والنصوص الأخرى¹.

4-صفات ومميزات القرآن الكريم:

وهي تمثل جملة من التصورات الملحقة به، والتي تؤسس لمفهومه الكلاسيكي المتداول عند المسلمين اليوم حسب نوعين من الصفات تتعلقان بشكله ومضمونه:

أ-شكله: يدرك شكل القرآن الكريم بمعرفة أسمائه ومكوناته وآياته حيث تعددت أسماءؤه، كما يرى الإمام جلال الدين السيوطي(911هـ) أنه سمي بـ 55 اسما، حسب مختلف الآيات وهي: " كتاب ومبين" في الآية الثانية (2) من سورة الدخان، و"قرآنا كريما"، في الآية 77 من سورة الواقعة، و"نورا"، في الآية 174 من سورة النساء، و"هدى ورحمة"، في الآية 57 من سورة يونس، و"فرقانا"، في الآية 1 من سورة الفرقان، و"شفاء"، في الآية 72 من سورة الإسراء، و"موعظة"، في الآية 57 من سورة يونس، و"ذكرنا مباركا"، في الآية 50 من سورة الأنبياء، و"عليا"، في الآية 4 من سورة الزخرف، و"حكمة"، في الآية 05 من سورة القمر، و"حكيمًا"، في الآية 1 من سورة يونس و"مهيمنا"، في الآية 48 من سورة المائدة و"جبارا"، في الآية 103 من سورة آل عمران، و"صراطا مستقيما"، في الآية 103 من سورة الأنعام و"قيما"، في الآية 02 من سورة الكهف، و"قولا وفصلا"، في الآية 13 من سورة الطارق، و"نبا عظيما"، في الآية 02 من سورة الزمر، و"ترتيلًا"، في الآية 192 من سورة الشعراء، و"روحا"، في الآية 52 من سورة الشورى، و"وحيا"، في الآية 45 من سورة الأنبياء، و"عربيا"، في الآية 02 من سورة يوسف و"بصائر"، في الآية 203 من سورة الأعراف، و"بيانا"، في الآية 138 من سورة آل عمران، و"علما"، في الآية 145 من سورة البقرة، و"حقا"، في الآية 62 من سورة آل عمران، و"هديا"، في الآية 09 من سورة الإسراء، و"عجبا"، في الآية 01 من سورة الجن، و"تذكرة"، في الآية 48 سورة الحاقة، و"العروة الوثقى"، في الآية 256 من سورة البقرة، و"صدقا"، في الآية 33 من سورة الزمر، و"عدلا"، في الآية 115 من سورة الأنعام، و"أمرا"، في الآية 05 من سورة الطلاق، و"مناديا"، في الآية 193 من سورة آل عمران، و"بشرى"، في الآية 03 من سورة النمل، و"مجيدا"، في الآية 21 من سورة البروج، و"زورا"، في الآية 105 من سورة الأنبياء، و"بشيرا ونذيرا"، في الآية 04

1-حمادي هوارى، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة السنة 2012، 2013، ص: 34، 35.

من سورة فصلت، و"عزيزا"، في الآية 41 من سورة فصلت، و"بلاغاً"، في الآية 52 من سورة إبراهيم، و"قصصاً"، في الآية 03 من سورة يوسف، وبعد عرض هذه الأسماء في شكل صفات يصف بها القرآن الكريم نفسه، كما حددها جلال الدين السيوطي، ينتهي إلى سورة تحمل أربعة أسماء للقرآن الكريم في الآيتين 13 و14 وهي سورة "عبس" وهي قوله سبحانه وتعالى: "في صحف مكرمة"، -13- "مرفوعة مطهرة"، -14¹. ثم بين أسباب كل تسمية، فهي تنحصر في مجملها في رد الأسماء إلى بعض الخصائص التي توجد في القرآن الكريم، مثل: المبين، من أبان، أي أظهر الحق من الباطل.... ففي أغلب الحالات تعود أسباب التسمية إلى المعاني اللغوية للأسماء المحددة للصفات وخصائص القرآن الكريم.

كما يضم القرآن الكريم مجموعة من السور، عددها 114، سورة مكتوبة باللغة العربية أولها سورة الفاتحة، وآخرها سورة الناس، وكل سورة مقسمة إلى آيات عددها الجمل 6636 آية، وتباين هذه السور في الطول والقصر، أطولها هي البقرة، تتكون من 286 آية، وأقصرها هي الكوثر، وتتكون من 3 آيات، ويقسم كذلك إلى سور مكية، وهي التي نزلت بمكة وعددها 86 سورة، وسور مدنية وهي التي نزلت بالمدينة المنورة وعددها 28 سورة².

هذه بعض الصفات الجوهرية المحددة لشكل القرآن الكريم، وتساعد على فهم حقيقته المتميزة والمميزة له عن الكتب السماوية الأخرى، لكن هناك مسائل أخرى طرحها العلماء، واختلفوا فيها، إن كان الأمر فيها توقيفياً أم توفيقياً، وهي ما يتعلق بترتيب سور القرآن الكريم، وبأسمائها، وبالقرئات المقدمة... وغيرها من المسائل التي أثارها علوم القرآن، مثل التي ترتبط بجمع وتدوين وقراءة القرآن الكريم على وجه الخصوص.

-مضمونه: يفهم مضمون القرآن الكريم، انطلاقاً من رؤى متعددة تنبع من عقيدة القارئ له بالدرجة الأولى، وما يهمنا هو موقف آراء رجال الدين منه، خاصة الموقف الرفض لأشكلكته، والقائم على النظر إليه ككتاب ديني مقدس، ويمكن أن نحدده في تصورين هما:

-الأول: هو تصور متداول عند علماء المسلمين وغيرهم من الباحثين كالمستشرقين، يركز على الموضوعية والتاريخية في وصف القرآن الكريم، حين يجعل منه مجموعة من النصوص، تمثل آخر الكتب

1- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص136، 135.

2- حمادي هوارى، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، ص36، 35.

السماوية التي جاء بها الأنبياء إلى البشر، وهذا المفهوم بدوره، يعود إلى المفهوم الموضوعي للإسلام، باعتباره آخر الديانات التي تدعو إلى التوحيد، ولأن القرآن الكريم يرتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، فهو المصدر الأول لشريعته وعقائده عند المسلمين، والإسلام في المفهوم الاشتقاقي مشتق من الفعل أسلم واستسلم وأسماء السلم والاستسلام.

جاء في كتاب "ضحى الإسلام" (أحمد أمين) أن الإسلام مشتق من كلمة "سلم" فهو ضد الحرب والخصام. حيث يؤكد أن الرجوع إلى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤﴾¹.

تعتبر بمثابة المفتاح الذي نصل به إلى معرفة السبب في تسمية العهد قبل محمد -صلى الله عليه وسلم- جاهلية، وعهده إسلاماً، والجاهلية ليست من الجهل، الذي هو ضد العلم، ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والأنفة...² حيث أن الجاهلية في نظره كانت صفة للعرب قبل الإسلام تدل على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة، يقابلها ما جاء به الإسلام من هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح، لا بالنسب والانتماء القبلي، وقد ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي، في شبه الجزيرة العربية على يد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي ولد بمكة سنة 570م، وتوفي سنة 632م.

والقرآن الكريم يمثل المنهج الرباني والدستور الإلهي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي نشأ في مكة المكرمة، وفي شبه الجزيرة العربية بواسطة الأمين جبريل عليه السلام.

- الثاني: وهو المتداول عند المسلمين دون غيرهم، يرجع إلى عوامل خاصة بهم، نابعة من عقيدتهم الإسلامية، حيث يعتبر القرآن الكريم كتاباً وحيداً، موجه للجميع، نهائياً ومطلقاً، ومخالفته مؤيدة للكفر والخروج عن الملة، ويمثل نصاً مركزياً تدور حوله كل النصوص الأخرى، جاء مصححاً لما وقع في الديانات الأخرى من تحريف وتغيير وحذف وتصحيف... وهذه التصورات تعود بدورها إلى المفهوم الثاني للإسلام، أي اعتباره الدين الكامل والنهائي والمطلق والوحيد للناس، الذي لا يقبل غيره، أي

1- سورة الفرقان، الآية: 64.

2- حمادي هوارى النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، مرجع سابق، ص 37.

اعتبار الإسلام هو الدين الحقيقي وحده، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾¹، وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾².

وهذا إخبار منه جل جلاله بأنه لا يقبل أي دين من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فمن لقي الله بعد بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- بدين غير شريعته فليس بمتقبل منه، حسب هذا التصور، وهذا المفهوم، يكون الإسلام دينا واحدا يقبله الله من عباده محددات لتصور القرآن الكريم ككتاب إلهي رباني مقدس، يمثل الرسالة النهائية الشاملة الكاملة والخاصة لكل الرسالات، والتي بلغها الله عز وجل لجميع عباده في مختلف النصوص.

لذلك اختار كثير من المتأخرين تعريف القرآن الكريم، التعريف المختصر، وهو:

"القرآن: هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-"، وهذا التعريف المختصر له مزايا عدة منها أنه: جامع مانع، اقتصر فيه على ما يكفي لتعريف القرآن الكريم، وتميزه عن غيره مما يشبهه به من كتب سماوية أخرى وأحاديث قدسية أو نبوية أو غير ذلك.

وللتعريف المسهب أيضا مزايا: فقد أدخل بعض الذين عرفوا القرآن، ما لم يدخله غيره مما له أهمية في تعريف القرآن، إضافة إلى جمع كل ما يدخل تحته، ومنع كل ما ليس منه.

وبيان ذلك كالتالي:

-أولا: استعمل عبارة "لفظا ومعنى" وهي عبارة لها أهميتها في تأكيد تميز القرآن عن غيره من صور الوحي الذي يلتبس به كالحديث القدسي والحديث النبوي وغيرهما.

-ثانيا: أضاف عبارة "بأحرفه السبعة" كما فعل الغزالي في كتابه "المستصفى" والتي هي قرآنا قطعاً، ولا تخفى أهمية هذه الإشارة ليكون التعريف جامعاً لكل ما يدخل تحت المعرف.

-ثالثاً: أضاف -لأول مرة فيما أعلم - الإشارة إلى الرسم الذي جعل ضمانته - بإجماع الصحابة عليه - لحفظ النص القرآني، وتحقيق الوعد الرباني.

1-سورة آل عمران، الآية:19.

2-سورة آل عمران، الآية: 85.

-رابعاً: إن استعمال عبارة (برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة) استوعب الخلاف في مسألة (ما بقي من الأحرف في المصحف الإمام) ليسلم به كل طرف، وإن كان الراجح في المسألة قولاً واحداً منها¹.

-أول ما نزل من القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وبالضبط في ليلة القدر منه²، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾³، وكان عمر النبي صلى الله عليه وسلم أول ما نزل عليه القرآن أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم، وهذه السن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك، والذي نزل بالقرآن الكريم من عند الله عز وجل، هو جبريل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين الكرام، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾⁴، وقد كان لجبريل عليه السلام من الصفات الحميدة العظيمة، من الكرم والقوة من الله تعالى والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة، ما جعله أهلاً لأن يكون رسول الله تعالى بوحيه إلى رسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ١٠٢﴾⁵.

أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق قطعاً الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾⁶.

1- عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص 22، 23.

2- نور الدين عتر، علوم القرآن، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1993م، ص: 14.

3- سورة البقرة، الآية: 185.

4- سورة الشعراء، الآية: 192-195.

5- سورة النحل، الآية: 102.

6- سورة العلق، الآيات: من 1 إلى 5.

وقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت: "حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، ما أنا بقارئ (يعني لست أعرف القراءة) فذكر الحديث، وفيه ثم قال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾¹.

وثمة آيات يقال فيها: أول ما نزل، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين فتكون أولية مقيدة مثل: حديث جابر رضي الله عنه في (الصحيحين) إن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر: "يا أيها المدثر، قال أبو سلمة: أنبت أنه: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاورت في حراء فلما قضيت جوارى هبطت فذكر الحديث وفيه: "فأتيت خديجة فقلت دثروني، وصبوا عليماء باردا، وأنزل عليّ: "يا أيها المدثر، إلى قوله: "والرجز فاهجر"، فهذه الآية الأولية التي ذكرها جابر -رضي الله عنه- باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي، أو أول ما نزل في شأن الرسالة، لأنهما نزلت سورة "اقرأ" ثبت بها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما نزلت سورة "المدثر" ثبتت بها رسالته، وهذا في قوله: "قم فأنذر"، ولهذا قال أهل العلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم نبي بـ "اقرأ" وأرسل -المدثر"².

- نزول القرآن ابتدائي وسببي:

ينقسم نزول القرآن الكريم إلى قسمين اثنين:

-القسم الأول: ابتدائي: وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه، وهو غالب آيات القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنۡ ءَاتٰنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّوَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۗ﴾³.

-القسم الثاني: سببي: وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه والسبب أنواع:

1- أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب 1، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصول في التفسير، حديث رقم، 3، ومسلم، كتاب الإيمان باب 73، بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم 403 [252] 160.

2- أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب 3، قوله: (يا أيها المدثر) حديث رقم 4924، ومسلم كتاب الإيمان، باب، 73: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم، 409 [257] 161.

3- سورة التوبة، الآية: 75.

أ- إما سؤال يجيب الله عنه مثل قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قَاتِلٍ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۚ﴾¹

ب- أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل قوله: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۗ﴾².

الآيتين نزلتا في رجل من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرآن هؤلاء أقرب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن فجاء الرجل يعتذر والني صلى الله عليه وسلم يجيبه: ﴿قُلْ بِاللَّهِوَاءِ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۗ﴾³.

ج- أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمة مثل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعَ عَتَاوَرَكُومًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۗ﴾⁴.

- كتابة القرآن وجمعه:

لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل:

-المرحلة الأولى: في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الاعتماد على الكتابة، لقوة الذاكرة وسرعة الحفظ وقلة الكاتبين وانعدام وسائل الكتابة، ولذلك لم يجمع في مصحف واحد، بل كان كل من سمع آية -من الصحابة الكرام- حفظها، أو كتبها فيما تيسر له، من عسيب النخيل، ورقاع الجلود، ولخاف الحجارة، وعظام الأكتاف، وكان القراء عددا كبيرا، جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سبعين رجلا يقال لهم: القراء، فعرض لهم حيّان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر معونة فقتلوهم، وفي الصحابة غيرهم كثير، كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي خليفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء رضي الله عنهم⁵.

1-سورة البقرة، الآية: 189.

2-سورة التوبة، الآية: 65.

3-سورة التوبة، الآية: 65.

4-سورة المجادلة، الآية: 01.

5-أخرجه البخاري، كتاب الجهاد: باب العون بالمدد، حديث رقم (3064).

-المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وبالضبط في السنة الثانية عشرة من الهجرة، وسببه أنه قتل في موقعة اليمامة عددا كبيرا من القراء منهم، سالم مولى أبي حذيفة، وهو أحد الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن منهم، فأمر أبو بكر رضي الله عنه بجمعه لئلا يضيع.

جاء في صحيح البخاري " أن عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر رضي الله عنهما بجمع القرآن بعد وقفة اليمامة، فتوقف تورعا، فلم يزل عمر يراجع حتى شرح الله صدرأبي بكر لذلك، فأرسل إلى زيد بن ثابت فاتاه، وعنده عمر فقال له أبو بكر: أنك رجلشاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، قال: فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجل، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه: أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله¹.

- المرحلة الثالثة: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وفي السنة الخامسة والعشرين من الهجرة، وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة - رضوان الله عليهم- فخيفت الفتنة، فأمر عثمان - رضي الله عنه- أن تجمع هذه الصحف في مصحف واحد، لئلا يختلف الناس فيتنازعوا في كتاب الله تعالى ويتفرقوا، ففي صحيح البخاري "أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان من فتح أرمينية وأذربيجان، وقد أفرعه اختلافهم في القراءة، فقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة، ففعلت، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وكان زيد بن ثابت أنصاريا والثلاثة قرشيين، وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى

1- أخرجه البخاري: كتاب التفسير باب قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) سورة التوبة، الآية: 128.

كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق¹.

وقد فعل عثمان -رضي الله عنه- هذا بعد أن استشار الصحابة -رضي الله عنهم- لما روي عن علي -رضي الله عنه- أنه قال: "والله ما فعل في ملء المصاحف إلا عن ملء منا، قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا، فنعلم ما رأيت، وقال مصعب بن سعد: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد، وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- التي وافقه المسلمون عليها، وكان هذا الجمع مكمل لجمع أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-"².

والفرق بين جمع عثمان وجمع أبي بكر رضي الله عنهما، أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر هو تقييد القرآن كله وجعله مجموعاً في مصحف واحد، وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه، فهو تقييد القرآن كله مجموعاً في مصحف واحد، يحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات³.

وبعد عرضنا لبعض مفاهيم القرآن الكريم، وذكرنا لأهم خصائصه ومميزاته، وكتابته وجمعه، نرى أن هذا الكتاب المبارك، هو أكثر الكتب -في العالم أجمع- مقروئية، وأكثرها تناولاً تداولاً وشرحاً وتحليلاً وقراءة وتفسيراً، وأول هذه القراءات، وأشهرها - قديماً وحديثاً -، ما يعرف بعلم التفسير، فماذا يقصد بهذا العلم؟ وما الغاية منه؟ وما حاجة البشرية إليه؟ نرى ذلك في المبحث الموالي.

1- أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم (4987).

2- أخرجه الخطيب في كتاب فضائل القرآن للوصول المدرج، 954/2.

3- فهد عبد الرحمن بن سليمان الروسي، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003م، ص 30.

المبحث الثالث: علم التفسير، الغاية منه، والحاجة إليه:

-تعريف العلم:

-لغة: العلم في اللغة مصدر علم بكسر اللام، ويعني اليقين، ويأتي بمعنى المعرفة، قال تعالى: "مما عرفوا من الحق"¹، أي علموا.

-اصطلاحاً: حملت هذه اللفظة "العلم" اصطلاحات مختلفة، والذي يهم المتكلم عن علم التفسير، كفن مدون، هو اصطلاح علماء التدوين.

فقد عرفوه بأنه: "المعلومات المنضبطة بجهة واحدة، سواء أكانت وحدة موضوع أم وحدة الغاية"².

- تعريف التفسير:

أولاً- لغة:

التفسير في اللغة، هو مصدر على وزن تفعيل للمبالغة، واختلف في أصله واشتقاقه إلى أقوال كثيرة، فذهب فريق إلى أن اشتقاقه من "فَسَّرَ" وذهب آخر إلى أن اشتقاقه من "سَفَّرَ"³.

1- الرأي الأول:

اختلف في معنى الفَسَّرَ الذي هو أصل الكلمة إلى معان:

- 1- ذهب البعض إلى أن كلمة "التفسير" مشتقة من فسر يُفَسِّرُهُ أو يُفَسِّرُهُ، أي أبانه⁴.
- 2- وذهب آخرون مثل ابن الأنباري إلى أن فسر مأخوذ من قول العرب؛ "فسرت الدابة وفسرتها إذا ركضتها وهي محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول في الكشف"⁵، وقيل فَسَّرْتُ الفرس إذا عرَيْتُهُ لينطلق⁶.

1-سورة المائدة، الآية: 83.

2-انظر:محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختارالصحاح، مكتبة لبنان، ط1، 1405هـ/ 1985م، بيروت، ص292.والمصباح المنير للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ص427.

3-انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص110.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ف.س.ر)، ج6، ص361.

5-الزركشي، البرهان، ج2، ص148.

6-الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1405هـ، 1985م، ج1، ص4.

3- يرى الزركشي¹، وتابعه السيوطي، وكذلك الراغب الأصفهاني² أن الفسر مأخوذ من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء فيكتشفون به علة المريض، فكما أن الطبيب يكشف بالنظر عن علة المريض، كذلك يكشف المفسر عن شأن الآية وقصصها ومعناها. والحقيقة أن التفسرة مأخوذة من الفسر³.

ب- الرأي الثاني:

يرى أن التفسير تفعيل سَفَرَ التي هي مقلوب فَسَرَ يقال: أسفر الصبح إذا أضاء إضاءة لا شبهة فيها⁴، وسمي السفر سفراً لأنه يكشف عن أخلاق الرجال. وفي بيان الفرق بين المعنيين يقول الراغب الأصفهاني: "الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقليل: سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح⁵".

وهذا القلب مستعمل ومطرّد في اللغة والاشتقاق، فقلب اللفظ من فسر إلى سفر بتقديم الفاء على السين شائع، كما يقولون: جذب وجذب. وعليه فإن التفسير مشتق من السفر، والكلمة بجمع اشتقاقاً تدور حول الكشف والبيان والظهور⁶.

ثانياً- التفسير اصطلاحاً:

عرف علماء التفسير هذا العلم بعدة تعريفات اختلفت لفظاً وتعاربت معنى، ومن هذه التعريفات: تعريف الزركشي، قال: "التفسير في الاصطلاح هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والأساليب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها

1- الزركشي، البرهان، ج2، ص: 147.

2- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، باب (ف س ر) تحقيق: محمد سيد كيلاي، ط، دار المعارف بيروت، ص380.

3- ينظر: مختار الصحاح، مادة (فسر) ج2، ص: 781، والقاموس المحيط، ص587.

4- مختار الصحاح، ج2، ص686.

5- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، باب (فسر) ص38.

6- منى الشافعي، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، عرض ونقد، ط1429، 1هـ، القاهرة، ص25.

ومنسوخها، وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وزاد قوم: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها¹.

أما أبو حيان الأندلسي فيعرف التفسير بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة الأفراد والتركيب، وتتمت لذلك"².

وجمعا بين هذين التعريفين، وتدقيقا في ألفاظهما، وتتبعاً لتقصيهما حدود التعريف الجامع المانع، يظهر لنا أنهما غير مانعين لاشتغالهما على جملة من معاني علوم القرآن وعلم التحويد... وهناك تعريفات أخرى أكثر دقة وتحديدًا منها:

تعريف الزركشي الذي قال: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"³.

وكذلك تعريف الزرقاني حيث قال: "هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"⁴، وهذا التعريف من أفضل التعاريف وأكثرها دقة وتحديدًا.

- شرح التعريف:

- 1- علم يبحث فيه عن أحوال القرآن: خرج بهذا القيد العلوم الأخرى الباحثة عن أحوال غيره.
- 2- من حيث دلالاته على مراد الله: يخرج العلوم المتعلقة بالقرآن من حيثيات أخرى غير موضوع الدلالة، كعلم الرسم في القرآن الكريم، فإنه يبحث في القرآن من جهة كتابته، وكعلم القراءات الذي يبحث فيه عن وجه ضبط ألفاظه وكيفية أدائها.
- 3- بقدر الطاقة البشرية: قيد ضروري ذكر لبيان أن عدم الإحاطة بمعاني كلام الله تعالى لا يقدر في العلم بالتفسير.

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص:174.

2- ابن حيان الأندلسي، مقدمة البحر المحيط، دارالفكر، ط1983، 1403، ج2، ص1، ص13.

3- الزركشي، البرهان، ج1، ص: 13.

4- الزرقاني، مناهل العرفان، ج1، ص: 470.

- الخلاصة:

من هذا يتبين أن التفسير من حيث اللغة والاصطلاح يعني الكشف والبيان عما هو موجود أصلاً من المعاني، وبالتالي فإن المفسر لا ينشئ معنى للنص من عند نفسه، ولكن يكشف الحقيقة ويوضح ويزيل الغموض عن المعاني والألفاظ حتى يتضح ما أراده الله تعالى منها.

- التفسير بين المعنى القرآني والمعنى الاصطلاحي:

لم ترد لفظة التفسير في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، في سورة واحدة هي سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣ الَّذِينَ يُحَشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤﴾¹.

وتحدثت هذه الآيات عن النزول المفرق والمنجم للقرآن الكريم، وكونه تثبيت لفؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - وتمكينه عليه الصلاة والسلام من ترتيل القرآن أحسن ترتيل وتفسيره أحسن تفسير، والرد على الشبهات التي يثيرها المشركون، وبيان الحق فيها، ويقوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتلاوة هذه الآيات، ليتبين الحق من الباطل، وليحي من حيي منهم عن بينة، ويهلك من هلك منهم عن بينة.

و"التفسير" المقصود به في هذه الآيات، لا يعني ما اصطلاح عليه العلماء والمفسرون من العلم الذي يعني: «توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة»². أو غير هذا التعريف من التعريفات، إذا القائم بالتفسير في الآية هو الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، بينما يقوم بالتفسير بمعناه الاصطلاحي المتداول والمتعارف عليه علماء ومفسرون، وشتان بين الأمرين فالأول كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفل الله بحفظه، ولا تنفذ كلماته ومعانيه، بينما لا يتجاوز الثاني أن يكون غرماً من البحر الذي لا ينفذ، مرتبطة بحدود الزمان والمكان والثقافة، قابلة للاستمرار والتجاوز والصواب والخطأ، معرضة للزوال والفناء يتداخل فيها الاجتهاد والرأي بالنص والأثر، وشتان بين الأمرين³.

1- سورة الفرقان، الآية: 32، 34.

2- الجرجاني، التعريفات، ص22.

3- مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2004م ص 10،

وتسمية هذا العلم بالتفسير، أو تفسير القرآن الكريم، يطرح علينا أكثر من مشكلة معرفية ومنهجية منها: أن التفسير يعني البيان والتوضيح وكشف المغطى كما قال صاحب اللسان¹: «الفسر: البيان... وكشف المغطى... وكشف المراد عن اللفظ المشكل...»².

فإذا كان التفسير بالمعنى الاصطلاحي هو كشف المغطى، وكشف المراد، ألا تثير هذه التعاريف كثيرا من الإشكالات المعرفية، فالقرآن الكريم بهذا المفهوم هو المُفسَّر، ومن هذه الإشكالات أليس القرآن مبينا؟ ونزل بلسان عربي مبين؟ وآيات مبينات ومبينات؟ وهو تبيان لكل شيء وليس بعده بيان...؟ وهل يخاطب الله سبحانه وتعالى الناس بالمغطى والمشكل؟ ويخاطبهم بما لا يفهمون؟ حتى يأتي المفسرون فيكشفون المغطى، ويزيلون الإشكال، وهل نزل هذا القرآن لعموم الناس يتدبرون معانيه كل بحسب طاقته وحدوده المعرفية؟ أم نزل لخصوصهم الذين توافرت فيهم شروط معينة ومحددة ومعلومة، ليكونوا وسطاء بين الناس وبين القرآن يفسرون لهم ما لا يمكنهم فهمه من الكتاب الكريم؟ وهل يدعي أحد من هؤلاء الوسطاء المفسرين أنه أعلم بمعاني الكتاب من غيره؟ وأن تفسيره له يغنيهم عن تدبره وقراءته والنهل من معينه الذي لا ينضب؟ وهل يدعي أحد من هؤلاء المفسرين أن تفسيره لكتاب الله قد أضاف إلى القرآن الكريم شيئا جديدا أبانه به، ولولاه لبقى القرآن غامضا ومشكلا وغير مبين لعموم الناس.

هذه أسئلة وغيرها كثير، يجاب عنها بأن القرآن الكريم مبين في قمة البيان غير محتاج إلى بيان خارجي من الناس، وهو مفهوم وغير مغطى وغير مشكل وميسر للذكر لمن أراد أن يذكر، فالقرآن أكبر من أن يفسره "بشر" وكل ما جاء في كتب التفسير، من "تفسيرات" إنما هي اجتهادات وآراء وأقوال وأفكار وأخبار وروايات وآثار واستقراءات تتحدث عن القرآن الكريم، وتنهل من معينه السلسيل الصافي الرقاق، وهي مقاربات بشرية للمعاني القرآنية وما يتعلق بالقرآن الكريم، وهي تقترب حيناً من البيان القرآني وتبتعد أحيانا أخرى متأثرة بعوامل الثقافة والزمان والمكان والإنسان، ولا يعني ذلك أبداً أن القرآن غامض، وآياته مشكلة، أما عن فهمه من عموم الناس فهذه مسألة أخرى، فالأفهام تتفاوت ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم، لذا فحاجة البشر إلى المفسرين حاجة ماسة وضرورية، لكي لا يتقول في القرآن كل من هب

1- هو ابن منظور، صاحب لسان العرب في اللغة، الذي جمع فيه بين التهذيب والحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية، ولد سنة 630هـ، اختصر كثيرا من الكتب المطولة وكتب الأدب، توفي 711هـ.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 55.

ودب، والمفسرون يكشفون الغامض في مفهوم الناس، وليس الغامض في القرآن الكريم، ويزيلون الإشكال من تصورات الناس ويقربون المعاني، أما القرآن الكريم فلا إشكال في آياته ولا غموض، بل على العكس من ذلك ما أكثر الإشكالات التي أثارها المفسرون، والمعاني التي بلبوها، والغوامض التي أحدثوها بتفسيراتهم واختلافاتهم ومروياتهم المختلفة.

إن قول الله عز وجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ لا يتعلق بشرح الألفاظ الغريبة، ولا باستخلاص الإشارات البعيدة، ولا بيان الظروف المحيطة، أو الأشخاص والأماكن والأحداث المقصودة ببعض المقاطع أو السور، وإنما يتعلق بإقامة الحججة على كل مرتاب ومشارك وشاك، حتى يتبين له أنه الحق، وتزول عنه كل الشبهات، ولا ترجع مشكلة مشارك ومرتاب هنا إلى مشكلة لغوية بسبب جهل لفظة ما، أو عدم معرفة كلمة، أو التباس معنى آية، وإنما ترجع مشكلته إلى عدم تبين الحق فيما جاء به الكتاب من علم رباني، فتراه ينكر أن الله واحد، وينكر أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن هناك جنة ونارا يجازى الناس بها على قدر أعمالهم، والمتأمل لسياق الآية التي وردت فيها لفظة "تفسيرا" يرى ذلك جليا واضحا بينا، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣ الَّذِينَ يُحْسِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤﴾¹، فالكفار في هذه الآية يستنكرون أن ينزل القرآن مفرقا، «لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» ويضربون هذا مثلا للتشكيك في أن هذا الكتاب من عند الله ولكن القرآن يجيبهم بما يزيل الشبه، ويريح العقل، ويبين الحكمة، ويظهر الحق، فغاية النزول المفرق تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم - من جهة، وترتيل القرآن الكريم ترتيلا من جهة ثانية والرد على الأمثال والشبهات التي يأتي بها المشركون والكفار وبيان الحق فيها وتفسيرها أحسن تفسير من جهة ثالثة بما لا يترك مجالاً للشك والاضطراب والارتياب والظن السيء².

1-سورة الفرقان، الآية: 32، 34.

2-مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، ص: 12، 13.

- أصول التفسير المتفق عليها عند المفسرين :

ينبغي أن نعلم أن العلماء متفقون على منهج لفهم كتاب الله عز وجل، فلا يمكن تجاوزه أو تخطيه بل لا بد من اتباعه، وهو :

- أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فصل في موضع آخر، وما اختصر في موضع فقد بسط في موضع آخر.

- أن يفسر القرآن الكريم بالسنة الصحيحة، لقوله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم -، "(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)"¹. وقوله عز وجل : (فإن تتنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)²، وورد عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " ألا أي أوتيت القرآن ومثله معه "، أي السنة المطهرة.

- أن يفسر القرآن بأقوال الصحابة المتفق عليها معنى، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي احتصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبرائهم.

- أن يفسر القرآن الكريم بأقوال التابعين الصحيحة المتفق عليها معنى، لأنهم تلقوها من الصحابة - رضوان الله عليهم -.

- الأخذ بمطلق اللغة العربية، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، لذا قال الإمام مالك بن أنس -رحمه الله- فيما معناه : "الأوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا".

- التفسير بمقتضى الشرع دون الأخذ بمجرد الرأي.

فمن فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر عن الله، ملحد في آياته، محرف للكلم عن مواضعه، فهو يخالف ما هو ثابت ويتكلم بغير علم، فينبغي على الباحث في هذا المجال أن يعلم ويتيقن أن كلام الله تعالى وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - حق وصدق، فيجب على الباحث أن يخلص نيته لله في تبين الحق للناس من أجل هدايتهم، وأن يعلم خطورة ما يقوله ويعبر عنه، فهو عندما يقول هذا المعنى، ويشير إلى قوله تعالى فهو بهذا

1- سورة النحل، الآية: 44.

2- سورة النساء الآية: 59.

يفسر كلام رب العالمين، ومن قال في القرآن بغير علم فقد تبوأ مقعده من النار، كما وردت بذلك الآثار والأخبار.

- الغاية من علم التفسير والحاجة إليه:

نتجاوز مشكلة مصطلح "التفسير" التي تطرح نفسها بجدّة، كلما بحثنا في موضوع التعامل مع النص القرآني، ونتجاوز معناه الدقيق الذي يفيد كشف الغموض وإزالة الإشكال وبيان الحق، ونتجاوز كذلك المعنى الرائج، والذي يفيد الاجتهادات والآراء والخواطر والمرويات التي لها علاقة قريبة أو بعيدة بالنص القرآني، وقابلة للصواب والخطأ بدرجات متفاوتة، ونتطرق إلى الغاية من علم التفسير والحاجة إليه، فالغاية من علم التفسير وحاجة البشرية إليه تظهران في مدى اهتمام العلماء بعلم التفسير واعتنائهم به، بل وحرصهم الشديد على تتبع كل ما يتعلق بالقرآن الكريم عموماً، فقد نال علم التفسير حيزاً كبيراً من مؤلفات المسلمين وغيرهم - قديماً وحديثاً - فكان الاهتمام به تدوينا وتأصيلاً، وبحثاً وتمحيصاً وتدقيقاً، وشرحاً، وتقعيداً، نظراً لأهميته ولعظم الأجر والثوبة والثمار المرجوة منه، وذكر العلماء غايات كثيرة من علم التفسير يمكن ردها جميعاً إلى أصلين كبيرين تدخل تحتها فروع كثيرة منها:

1 - زيادة التذكر والاعتبار عند تلاوة القرآن الكريم¹.

2 - تصحيح العبادة² التي من أجلها خلق الله الإنسان والجن قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾³، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب السماوية، وكان خاتمها القرآن الكريم، وأن حاجة البشرية إلى علم التفسير هي أكثر من ضرورة، لأن علم التفسير له علاقة مباشرة بحياة الناس، والقرآن الكريم هو منهج حياتهم وفيه سعادتهم الدنيوية والأخروية، وصلحتهم وهدايتهم وإرشادهم وربطهم بخالقهم الذي خلقهم، ويعلم - جل وعلا - ما يصلحهم وما يفسدهم، ما ينفعهم وما يضرهم، لذا فحاجة الناس إلى القرآن الكريم وتفسيره والنهل من علومه ومعارفه ومعينه الطيب، أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب والماء والهواء.

1- انظر: محمد أبي عليان الشافعي، اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم، المطبعة الحسينية المصرية، 1435هـ، ص: 167.

2- منى الشافعي، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، ص: 27.

3- سورة الذاريات، الآية: 56.

والخلاصة أن المشكلة في تفسير القرآن الكريم، ليست مشكلة ألفاظ أو كلمات، أو عبارات أو أساليب، أو معاني أو كلام غير مفهوم، أو ما إلى ذلك، كما ذهب إليه علم التفسير، وبنيت عليه قواعده وأصوله ومناهجه، وإنما المشكلة التي عاجلها القرآن وكانت مضمون بيانه، هي مشكلة العقائد والتصورات والمفاهيم والسلوكيات والاختيارات بين الإيمان والكفر، والحق والباطل....

إن الناس وإن كانوا بحاجة إلى التفسير بالمعنى الاصطلاحي، فهم بحاجة أكثر إلى تدبر الكتاب المجيد، والنظر في أسراره، والاحتكام إليه، والوقوف عند حدوده، وتطبيقه في مناحي حياتهم، فهو صلة بين الأرض والسماء، وبين البشر وخالقهم، حرر العقول من الأوهام والخرافات والبدع، أخرج الناس من الظلمات إلى النور، حارب الجهل، وحث على العلم، ورغب فيه، وأثنى على أهله، وأمر بالقراءة مع بداية أول آية، نزلت من هذا الكتاب المبارك، الذي أعجز الإنس والجن، وتحداهم عن أن يأتوا بسورة من مثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، ويبقى هذا التحدي قائما ودائما ومستمرا، لكل الأجيال، وفي كل الأزمنة والأمكنة والأوقات.

- التحدي والإعجاز في الخطاب القرآني.

لقد جاء الإعجاز القرآني متحديا لكل أصحاب العقائد الضالة المنحرفة، والفلسفات الخارجة عن العبودية لله الواحد الأحد، فمنذ نزول القرآن الكريم، وعلى امتداد الزمان والمكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فالإعجاز والتحدي من الأسباب التي جعلت البعض يشكك في القرآن، ويفتري عليه، ويثير حوله الشبه، فمنذ لحظة نزوله وعلى مر العصور والدهور، إنه الإعجاز الخاتم والخالد لسلسلة النبوات والرسالات والكتب، والتحدي الدائم والمستمر للخارجين عن حظيرة الإسلام، ومن ثم فإن معارضته والافتراء عليه، ومحاولات تشويهه، هي الأخرى دائمة ومستمرة ومتواصلة على امتداد العصور، واختلاف الأجيال، وتعاقب الأزمان، لذلك نجد أن آيات التحدي والإعجاز قد انتشرت في القرآن الكريم، في سور شتى، من ذلك قوله جل وعلا: ﴿الْم ۙ ۱ ذَلِكْ أَلَكْتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۚ ۲﴾¹، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ ۴۱ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۚ ۴۲﴾².

1- سورة البقرة، الآية: 1، 2.

2- سورة فصلت، الآية: 41، 42.

وقال جل جلاله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّحِيدٌ ۚ ٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۚ ٢٢﴾¹، وقال: ﴿إِنَّهُ قُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۚ ٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۚ ٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۚ ٧٩ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ٨٠﴾²، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۚ ٨٢﴾³، وغير ذلك من آيات التحدي والإعجاز التي تناثرت وانتشرت في سور القرآن الكريم، معلنة استحالة مجازة القرآن الكريم ومحاكاته في نظمه وإعجازه وبلاغته... لأنه تنزيل من حكيم حميد.

• نماذج من الإعجاز والتحدي:

عندما تحدى القرآن الكريم جميع المكذبين والجاحدين بأنه وحي من عند الله عز وجل، بين لهم هذا الإعجاز في عباراته وألفاظه وكلماته، بغض النظر عن أسراره وغيبياته، فألفاظ القرآن وكلماته ميسرة للذكر والتلاوة والنطق، ولا يوجد فيها تعقيد ولا صعوبة ولا غرابة، لذا كان الإعجاز والتحدي في هذه الألفاظ، في نظمها وحسن سبكها وترابطها وإيجازها ودلالاتها وبلاغتها وتقديم ما يجب التقديم، وتأخير ما حقه التأخير...، لذا القرآن الكريم حينما دعا المكذبين إن كانوا صادقين في دعواهم أن يستجمعوا طاقاتهم وقدراتهم وملكاتهم، ويجمعوا شركاءهم ومعبوداتهم، ليأتوا بمثل هذا القرآن...، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة من مثله، فالتحدي والإعجاز في القرآن هنا، هو في استعمال مصطلح "المثل"، وذلك لأسرار كثيرة، وحكم بالغة، لا يعلم بعضها إلا البلغاء، ولا يدركها إلا الفصحاء، الذين يعرفون أسرار البلاغة التي بلغت الذروة في هذا القرآن الكريم، ففي التشبيهات والمقارنات هناك عدة مصطلحات، لكل منها معنى محدد، يختلف عن غيره.

من هذه المصطلحات:

- مصطلح "الند"، وهو يعني المشاركة في الجوهر فقط.
- مصطلح "الشبه"، وهو يعني المشاركة في الكيفية فقط.
- مصطلح "الشكل"، وهو يعني المشاركة في القدر والمساحة فقط.

1- ينظر، الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءات الحداثية، ص41، 40.

2- سورة الواقعة، الآية: 77-80.

3- سورة النساء، الآية: 82.

لكن مصطلح "المثل"، كما يقول الراغب الأصفهاني (502هـ)، (1108م)، في كتابه "المفردات في غريب القرآن": عام في جميع ذلك... أي معناه المشاركة في الجوهر... والكيفية... والكمية... والقدر... والمساحة...¹.

فالقرآن الكريم، قرآن عربي، لا تخرج كلماته وآياته وسوره عن حروف العربية ومفرداتها... ومع ذلك فإن أرباب البلاغة والبيان والفصاحة قد اكتشفوا- ولا يزالون يكتشفون- أن الإبداع والتركيب والصنعة في هذا القرآن الكريم، قد تميزت وفاقت كل ما اعتاده البشر وأفوهه، رغم أنهم استخدموا نفس المفردات والألفاظ والعبارات، فأسلوب القرآن وصنعتة تختلف عن كل الصناعات والأساليب البشرية، فمثلا: القرآن الكريم، يوظف كلمة "المطر"، في العذاب والأذى والانتقام، أما في السراء فيستخدم كلمة "الغيث"، ويستخدم مصطلح "التغيير"، للسليبي بينما في الإيجابي يستخدم مصطلح "الإصلاح"، وكلمة "المرضع"، في القرآن الكريم هي للمرأة التي تكون في فترة الرضاعة، أما لفظ "المرضعة"، فهي للمرأة في حال الإرضاع، وكلمة "الجسم"، في القرآن الكريم تأتي للحى، أما الميت فهو "جسد"، ومصطلح "السنة"، يأتي للسنة الشمسية، بينما لفظ "العام"، فيأتي للقمرية، و"القسم"، يأتي لمطلق اليمين، بينما "الحلف"، فهو للحنث في اليمين، وهناك فارق بين "المجيء"، وبين "الإتيان"، في القرآن الكريم، فالجيء يكون من مكان أو زمان قريب، بينما الإتيان يستخدم في حالة المكان أو الزمان البعيد، وكلمة "العباد"، تغلب في المؤمنين المطيعين، بينما كلمة "العبيد"، تغلب في الكفار العصاة، وجاءت "السماء"، في القرآن الكريم مفردا وجمعا، بينما جاءت "الأرض"، مفردة فقط ودائما، جاء "البصر"، مفردا وجمعا، بينما جاء "السمع"، مفردا فقط، ولفظ "النهار" جاء مفردا، وإذا جمع استخدم لفظ "الأيام" لا نهر، ولا أنهر، ولفظ "الصراط"، جاء مفردا، وإذا أريد الجمع استخدم لفظ "سبل"، وجاء "النور"، مفردا لا جمعا، بينما جاءت "الظلمات"، جمعا لا مفردا، وكان التزام الجمع في "الألباب"، و"الأكواب"، و"الأصفاد"، و"الأباريق"، و"السراويل"، و"الأساطير"، و"الأرائك"، و"العالمين"، ولم ير أي منها مفردا، ففازت الصنعة في القرآن الكريم كل صناعات الأساليب البشرية، بما في ذلك الحديث النبوي الشريف.

1- محمد عمارة، القرآن يتحدى، ص: 16.

في القرآن الكريم من أوجه التناسب ما يعلو به على أية هندسة بشرية في أي أسلوب من الإبداعات الإنسانية، فمثلاً: الحروف المقطعة أو النورانية الإعجازية التي افتتحت بها بعض السور القرآنية مثل: "الم"، و "حم"، و "الر"، قد اشتملت على نصف حروف الأبجدية العربية _ أربعة عشر حرفاً_ وفي هذه الحروف الأربعة عشر، حرفاً منقوطين هما "ق، ن" واثنان عشر حرفاً غير منقوطة، وفي أحرف الأبجدية الأخرى الأربعة عشر حرفاً غير منقوطين هما "و، د"، والاثنان عشر الأخرى الباقية منقوطة.

وفي هذه الحروف التي بدأت بها بعض السور، نصف الحروف المهموسة في الأبجدية العربية، ونصف الحروف المقلقة ونصف الحروف المهموزة، وفيها من مخارج الحروف النصف، من حروف كل مخرج.

وإذا كان القرآن الكريم قد بدأ بـ "الحمد لله رب العالمين"، في سورة الفاتحة فإن كل أرباع القرآن الكريم الأربعة، قد بدأت بـ "الحمد لله"، فالربع الثاني يبدأ بـ "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض"، سورة الأنعام، والربع الثالث، يبدأ بالكهف "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب..."، والربع الرابع يبدأ بفاطر "الحمد لله فاطر السموات والأرض".

وهذا دليل وبرهان على أن أساليب القرآن الكريم مفارقة لكل ألوان هندسات الألوان البشرية، وهي قطرة من بحر تشير إلى كنوز الإعجاز المودعة في القرآن الكريم، الذي لا تنتهي عجائبه¹.

1- محمد عمارة، القرآن يتحدى، ص: 18.

المبحث الرابع: الإشكالات المثارة حول القرآن الكريم

لمعرفة الأسباب الحقيقية التي دعت إلى تطبيق مناهج النقد المختلفة على الخطاب القرآني لا بد أن نبين "الإشكالات العلمية" المزعومة المتعلقة بالقرآن الكريم، وقد ذكرنا بعضها آنفاً غير أن هناك إشكالات أخرى يدعيها هؤلاء، هي في الحقيقة إشكالات علمية خاصة بالكتاب المقدس لا يمكن اسقاطها على القرآن الكريم.

وأولى هذه الإشكالات، هي تلك المرتبطة بالوحي عمومًا، ووحى القرآن على وجه الخصوص، فمنذ اللحظة الأولى لنزول القرآن الكريم -بمكة المكرمة- وعلى امتداد سنوات نزوله -بالمدينة المنورة- كان الإعلان بأنه "معجز ومتحدي"، لا للعرب وحدهم، ولا لأهل الجزيرة العربية، ولا للبشر المعاصرين فقط، بل كان التحدي والإعجاز للإنس والجن قاطبة، عبر مراحل الزمان والمكان إلى يوم القيامة.

لقد تحداهم أن يأتوا بمثله، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بحديث مثله، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة مثله، وأن يستعينوا على ذلك بكل من وما دون الله - سبحانه وتعالى - وقطع قطعًا جازمًا ومتحديًا بعجزهم عن ذلك عبر الزمان والمكان، قال جل جلاله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾¹. وقال جل وعلا: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۗ﴾².

وقال سبحانه وتعالى في سورة هود: "أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَبَهُ^ص قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَبَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ ۱۳ قَالُوا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ بَعْلَمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۗ ۱۴" ³، وفي سورة الطور قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلَهُ^ب بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثِ ۗ ۳۳ مَثَلًا إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۗ ۳۴﴾⁴ وقال عز من قائل في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

1- سورة البقرة، الآية: 24.

2- سورة الإسراء، الآية: 88.

3- سورة هود، الآية: 13-14.

4- سورة الطور، الآية: 33-34.

عَبَدْنَا فَنَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِمْ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤ ﴿١﴾.

فهذه الآيات وغيرها رد الله بها سبحانه وتعالى عن الشبه التي أثارها المشركون وأهل الكتاب فقد اتهموا محمدا صلى الله عليه وسلم، بأنه شاعر وكاهن وساحر، وتعلم هذا القرآن من غيره، وأحيانا جاء به من عند نفسه، ونسبه كذبا إلى الله تعالى، وأحيانا يطلبون منه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن، أو يبدله، فرد الله ادعاءاتهم، وبين كذبهم وافتراءاتهم، فمن الآيات التي تنفي تهمة التبديل في كتاب الله تعالى من قبل النبي صلى الله عليه وسلم قوله _ سبحانه وتعالى _ : ﴿وَإِذَا تَنَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا نَأْتِي بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدَّبَلُهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ١٥ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ ١٦ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ١٧ ﴿٢﴾.

ومن الآيات التي ترد عن تمم الشعر والكهانة والسحر وغيرها من الشبه قوله جل وعلا:

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٤٣ ﴿٣﴾.

ومن الآيات التي ترد شبهة تعلم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن من غيره، قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهَا عَجْمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ١٠٣ ﴿٤﴾، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أُرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ٤٨ ﴿٥﴾.

1-سورة البقرة، الآية: 23-24.

2-سورة يونس، الآية: 15-17.

3-سورة الحاقة، الآية: 38-43.

4-سورة النحل، الآية: 103.

5-سورة العنكبوت، الآية: 48.

والأمر الغريب عند المشركين هنا، هو أنهم يطلبون منه، صلى الله عليه وسلم أن يبدل القرآن الكريم، فهم بهذا يمتحنونه صلى الله عليه وسلم، لأنه لو فعل _وحاشاه أن يفعل_ لكفروا به ولتيقنوا من كذبه، لأن الذي يخبر عن الله، لا يمكنه تغيير كلام الله، أو تبديله، أو تغييره، لأنه ليس كلامه. وهؤلاء الذين تحداهم القرآن ليس عامة الناس، بل تحدى الفصحاء والبلغاء والشعراء، تحدى النخبة بلغة عصرنا، تحدى أساطين البلاغة، وأعلام البيان، وأرباب الأدب، وفحول الشعر، بعد نزول القرآن الكريم، اجتمع الفصحاء والبلغاء من قريش، وانتدبوا أحد زعمائهم، وبلغائهم وقضائهم، والملقب بـ"العدل"، لأنه كان عدل قريش كلها، انتدبوا "أبو شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم"، (95هـ) (530-622م)، لسمع القرآن، وليجيب على التحدي، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمسجد، وسمع منه سورة "غافر"، فما كان من عدل قريش وقاضيه وزعيمها إلا أن شهد _وهو على شركه وزندقته_ فقال لقومه: "والله لقد سمعت من محمد كلاما أنفا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، ووالله ما هو بكاهن، فقد رأينا الكهان، فما هو بزممة الكاهن ولا سجعه، ووالله ما هو بمجنون، فقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، ووالله ما هو بشاعر، فقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بشاعر، ووالله ما هو بساحر، فقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفته ولا عقده..."

والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لمثمر، وإنه يعلو ولا يعلعليه... وما أنتم (يا معشر قريش) -بقائلين فيه، من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل" ¹!!.

- القرآن الكريم والخرافات:

إذا كان نفر من أصحاب أساطين الشرك في الجاهلية، قد شهدوا للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون من كلام الإنس ولا من كلام الجن... ومع ذلك منعتهم عصبيتهم وجاهليتهم من التحول عن الجاهلية إلى الإسلام.

فإذا كان الذين قالوا: إنه سحر... وأن الذي جاء به ساحر... والذين قالوا: إنه أساطير الأولين... والذين قالوا: إنما يعلمه بشر، فهؤلاء جميعا سلموا بعجزهم وأنه فوق ما يستطيعون، وعجزوا عن مجازاة القرآن ومحاكاته والإتيان بأقصر سورة من سورته معلقين سبب العجز على مختلف

1- محمد عمارة: القرآن يتحدى، ص: 20.

الأسباب... اللهم إلا من شذ من هؤلاء ودفعته العصبية لقبيلته "حنيفة" ضد مضر وقريش، فحاول تقليد القرآن فجاءت محاولته نموذجاً خالداً من نماذج السخرية والهزل والإضحاك... ذلكم هو مسيلمة الكذاب [12هـ-633م]، الذي قال لأتباعه: إن «رحماناً» ينزل عليه... وإن له... هو الآخر كتاباً، جاء فيه: «إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر... والفيل وما أدراك ما الفيل، له خرطوم طويل... ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقن أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين... والليل الأطخم، والذئب الأدلم، والجزع الأزلم، ما انتهكت أسيد ممنحرم... ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى»!!.

ولقد ظلت عبارات مسيلمة الكذاب هذه تثير السخرية على امتداد أربعة عشر قرناً.. ولا تزال إلى يوم الناس هذا... حتى جاء أحفاده وأتباعه ليصنعوا شيئاً مثل ذلك ويضعوه على شبكة ((الانترنت)) قائلين: إنه قرآن جديد!!.

وظهرت في الساحة بعض الأصوات التي تطعن صراحة وعلناً في القرآن الكريم وهي أصوات ودعوات ومواقف غريبة، تنوعت اتجاهاتها وتعددت، ولكنها توحدت في محاربتها وتصديها للقرآن الكريم.

- ومن نماذج هذا التيار:

1. (مارثن لوثر) [1483هـ-1546م]

الذي قال عن القرآن الكريم: «أي كتاب بغيض وفضيع وملعون هذا القرآن... مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع- وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن وترف المسيحين عليه».

يعلق: محمد عمارة بعد أن استعرض هذا القول قائلاً: فهو يخاف القرآن... ويسبه... ويترجمه على النحو الذي يحقق هذا السباب¹.

2. النموذج الثاني: الشاعر الألماني (جوته) [1749-1832م]

الذي وصف القرآن الكريم بأنه: «الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي، فيشير اشمئزاً دائماً كلما شرعنا في قراءته».

1- محمد عمارة: القرآن يتحدى، ص: 22-24.

وربما جهل هذا الشاعر باللغة العربية وعلومها، جعله جاهلا بأسرار الجمال والجلال المودعة في القرآن الكريم، والتي رآها أهل البلاغة والفصاحة والبيان - حتى مع كفرهم وعنادهم - سحرا يستحيل مجاراته ومحاكاته وتقليده.

3. النموذج الثالث: (توماس كارليل) [1795-1881م]

ونظرا لجهله أيضا بلغة القرآن وأسرار البلاغة وإعجازه، يقول: «إن محمدا شيء... والقرآن شيء آخر... فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش... جاف... وغليظ... باختصار، هو غباء لا يحتمل»¹.

• القرآن الكريم والكتب المقدسة:

منذ قرون عديدة والبحث مستمر ومتواصل من إيجاد مصادر توراتية أو شبه توراتية، في القرآن وهي (التلمود فيما يتعلق باليهودية والأنجيل فيما يتعلق بالمسيحية)، ولكن بداية من القرن التاسع عشر أصبح لهذا البحث سمات تبدو علمية وخصصت منشورات وكتب لهذا الموضوع، منها ما هو محدود الانتشار، ومنها ما هو واسع الانتشار، وتنقسم هذه الدراسات إلى قسمين:

-أولا: كتب أو دراسات ذات اتجاه يهودي أو متعلقة باليهودية.

-ثانيا: كتب أو دراسات ذات اتجاه مسيحي أو متعلقة بالمسيحية.

• كتب ذات نزعة يهودية نذكر منها:

1- ابراهام جيجر: «ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟»

بون سنة (1833م)، ط2، لبيزج سنة (1902م) إعادة طبع (1969م).

2- هيرشفيلد: 1. العناصر اليهودية في القرآن - برلين (1878م).

-مقالة في شرح القرآن - لبيزج سنة (1886 م).

-أبحاث جديدة في فهم وتفسير القرآن - لندن سنة (1902م).

3- سيدرسكي: أصل الأساطير الإسلامية في القرآن - باريس سنة (1933م).

4- هاينريشسبرنجر: (قصص الإنجيل في القرآن) - باريس، ط5، برلين وليبزج (1929م).

5- هورفيتز: (بحوث قرآنية) - برلين وليبزج سنة (1926).

1- محمد عمارة، المرجع نفسه، ص: 23-24.

-الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن- حوليات الكلية العبرية، المجلد الحادي عشر سنة (1925)، صفحة (145-227).

6- إسرائيل شايبو: الحكايات التوراتية في أجزاء القرآن- برلين (1907م).

• الكتب ذات التوجه المسيحي نذكر منها:

1- ريتشارد بيل: أصل الإسلام في بيئته المسيحية- لندن، سنة (1926)، وأعيد طبعه سنة (1968م).

-مقدمة في القرآن- أندنبرج سنة (1953).

2- ثور أندريا: أصل الإسلام والمسيحية- أوسلو سنة (1926)¹.

وغير ذلك من الكتب والمجلات والمقالات التي تنشر دورياً، واكتفينا بذكر هذه الكتب لأن منهج أصحابها يغني عن ذكر غيرها، فكل هؤلاء الكتاب يؤكدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم، مؤلفاً للقرآن الكريم، أو اقتبس أغلب قصصه وأمثاله وحكمه وصوره البيانية وحسن نظمه من الكتب المقدسة أو شبه المقدسة، وهو ادعاء قديم جديد، فمنذ نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم ظهرت جماعات وأفراد حاولت التصدي للقرآن بشتى الطرق، بقولهم مرة أساطير الأولين، ومرة بأن هذا القرآن يتعلمه محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ومرة تقوله من عند نفسه... أو عن طريق السحر والجن... وكانت حربهم ازدواجية: على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى القرآن الكريم... واستمرت هذه الحرب التي حاولت ولا تزال تحاول التشكيك في هذا الخطاب الإلهي وبعد تطور الزمن، تطورت معه أشكال الحرب وتنوعت واختلقت ولكي نفرض صحة هذا الزعم، فلا بد إذن من أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعرف عديد اللغات كالعبرية والسريانية واليونانية وغيرها من اللغات، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة متنوعة تشتمل على مختلف نصوص التلمود والأنجيل ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجامع الكنائسية، وكذلك ما كتبه أدباء اليونان، فلا شك أن هذا الكلام شاذ وبعيد وكذب صريح، فلا يعقل أن يصدق، فهو كلام لا برهان عليه ولا دليل ولا حجة دامغة ولا إقناع فيه.

ولم تكن محاولات النيل من القرآن الكريم قاصرة على مجال الدعاية التلقائية وردود الأفعال العفوية، وإنما أصبح ممتداً إلى دوائر البحث العلمي، وامتسرباً إلى الموسوعات ودوائر المعارف الواسعة الانتشار

1- عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، ص: 23.

بين المسلمين، وقد كانت "دائرة المعارف الإسلامية" التي تطبع في "دار بريل" في مدينة "لايدن" الهولندية، وهي واسعة الانتشار في الأوساط العلمية الإسلامية وغير الإسلامية، في مقدمة الموسوعات والمراجع التي تحمل من الغمز في القرآن والتشويه لصورته والتحريف لحقيقته شيئاً كثيراً، سواء في طبعاتها القديمة أو الجديدة.

ومهما يكن فإن القرآن محفوظ بالوعد الإلهي من أن تناله أيدي المحرفين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾¹

- أهم الدراسات التي تناولت القرآن الكريم:

بعد أن تسلل إلى فكرنا ومعتقداتنا وأخلاقياتنا، غزو فكري غربي مصحوب بزحف سياسي وعسكري أوروبي، منذ غزو نابليون لمصر في نهاية القرن الثامن عشر إلى نهاية الإمبراطورية العثمانية في بدايات القرن العشرين.

من هنا بدأت الحقبة التاريخية المعروفة بالنهضة العربية، وهي الحركة التي عمت البلاد العربية بين سنة 1820م -1914م.

وقد تأثرت النهضة العربية تأثراً شديداً بالحضارة الأوروبية، وولع روادها بطرق عيش الأوروبيين وحياتهم ومعاملاتهم، مع كراهيتهم لكل مظاهر التدين واحتقارهم لها، يقول طه حسين²: "سنظل دائماً جزءاً من أوروبا في كل ما يتعلق بالحياة الثقافية والعقلية على اختلاف فروعها وألوانها"³، ويقول في موضع آخر: "دعونا نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أندادا، ونكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها أو يكره، وما يحمد أو يعاب"⁴.

1- سورة الحجر، الآية، 9.

2- طه حسين بن علي بن سلامة، دكتور في الأدب، وأصيب بالجذري في الثانية من عمره، ففقد بصره، وبدأ حياته في الأزهر (1902م)، ثم الجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها سنة 1914، وسافر في بعثة إلى باريس، فتنجح بالسربون (1918) وعاد إلى مصر، وعمل بالصحافة، وعين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم صار عميداً لتلك الكلية، فوزيراً للمعارف بمصر، (ت. 1393هـ/1917م، ينظر: الأعلام (3/231-232).

3- طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، مصر 1973، ص: 278

4- المرجع نفسه، ص: 39.

ويقول سلامة موسى¹: "لا أستطيع أن أتصور نهضة عصرية لأمة شرقية ما لم تقم على

المبادئ الأوروبية للحرية والمساواة والدستور، مع النظرة العلمية الموضوعية للكون"². والملاحظ أن هذا الولع الكبير بالحضارة الأوروبية وبكل تداعياتها وما تحمله في ثناياها وما تدعوا إليه وما تريد أن تفرضه في حياة الناس، ما هو في الحقيقة إلا هروب ونفور من مظاهر التدين، ومن الحياة التي تتخذ الدين أسلوبا لها، وهذا ما يوضحه سلامة موسى بقوله: "وإذا كانت الرابطة سخافة؛ لأنها تقوم على أصل كاذب، فإن الرابطة الدينية وقاحة، فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا، نحن في حاجة إلى ثقافة أبعد ما تكون عن الأديان، وحكومة ديمقراطية برلمانية كما هي في أوروبا، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد والمأمون أوتوقراطية دينية، يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقني بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها، وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرا، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب"³.

كما عرف عن الكثير من رواد النهضة العربية⁴، عداؤهم الكبير للخلافة العثمانية تحت اسم القومية، وحبهم المطلق وعلاقتهم الكبيرة بالمستعمر الأوروبي، يظهر ذلك من خلال رحلاتهم

1- سلامة موسى القبطي المصري: كاتب مضطرب الاتجاه والتفكير، تعلم بمصر وباريس ولندن، ودعا إلى الفرعونية، وشارك في تأسيس حزب اشتراكي، ووجد الديانات في شبابه، وعاد إلى الكنيسة في سن الأربعين، وأصدر مجلة (المستقبل) عمل في التدريس ثم ترأس مجلة الهلال، كان كثير التجني على كتب التراث العربي، يدعوا إلى الكتابة بالحرف اللاتيني، (ت. 1378هـ/1958م) ينظر: الأعلام: (107/3).

2- سلامة موسى، ماهي النهضة، مؤسسة الهداوي، ط3، 2000م، ص: 90.

3- ينظر: اليوم والغد، سلامة موسى، المطبعة العصرية، القاهرة، 1927، ص: 41.

4- عند التدقيق والتحقيق نجد أن تقسيم حضارتنا العربية وتاريخنا إلى فترات: عصر النشأة، عصر الترجمة، عصر الإبداع الفكر، عصر الجمود والانحطاط، ثم عصر النهضة هو تقسيم استشراقي يستلهم دورة الحضارة الغربية، وينطلق من تأسيس مركزيتها، ويعمم حالة العصور الوسطى في الحضارة الغربية التي كانت عصور جمود وانحطاط وتخلف، ويعممها على العصور الوسطى عندنا التي يجب أن تكون أيضا عصور جمود وانحطاط حسب زعمهم، ولكن النظرة الفاحصة المدققة المتبصرة تلقي مثل هذا الحكم، فليس عصر النهضة المصطلح عليه نهضة على حقيقتها، كما لم تكن عصور الانحطاط التي وصمت بذلك انحطاطا شاملا للأمة، بل ما زالت الشريعة قائمة والفتوحات مستمرة.

وتنقلاتهم الدائمة للغرب، طلبا للمساعدة ورغبة في الحصول على الدعم المادي والمعنوي، وأملا في نيل مكانة لدى الأوروبيين.

وقد بدأت تظهر تلك الرغبات والأمانى والآمال من خلال تأسيسهم لجمعيات تدافع عنهم، وتعبّر عن أفكارهم، والبداية كانت من العاصمة الفرنسية "باريس" حيث كانت مؤتمراتهم تعقد أمام مرأى ومسمع الدولة الفرنسية، فقد قاموا بعقد وتنظيم وإقامة "المؤتمر العربي الأول في باريس 1913م"، وهو أول مؤتمر عربي جرى تنظيمه في التاريخ الحديث والمعاصر، وقد شارك فيه مجموعة كبرى من البيارة واللبنانيين والعرب، وانتهى المؤتمر إلى المطالبة باللامركزية، وبتنفيذ الإصلاحات في جميع الولايات العربية¹.

وبهذا تغلغل الفكر القومي، وكان بمثابة المدخل الذي تسلسل منه رواد النهضة للوعي العربي وأثاروا المظلومية والمطالبة بالحكم، والعجيب هو اتفاقهم مع الحركة الطورانية التي تعظم القومية التركية، والتي أسقطت الخلافة الإسلامية، ومع اختلافهم في القوميات إلا أن ثقافتهم وغاياتهم ووسائلهم كانت واحدة، يجمعهم الإعجاب بالمستعمر وتقليده، وإبعاد الدين عن مناحي الحياة².

وأصبح الفكر القومي قائدا للمنطقة العربية بعد الحرب العالمية الأولى، وهو الذي حكم منطقة بلاد الشام والعراق بعد هذه الحرب، وتبنى هذا الفكر القومي كثير من القيادات النافذة والفاعلة في عدد من الأقطار العربية، وهو الذي قاد السياسة الإعلامية في المنطقة، وهو الذي رسم البرامج التربوية، وهو الذي خطط للبناء الاقتصادي، وهو الذي بنى المناهج العسكرية القتالية، والركيزة الأولى للفكر القومي هي إبعاد الدين تماما عن أي رابط للأمة العربية، بل يرون أن مكوناتها اللغة والتاريخ فقط.

1- ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، علي حسون، المكتب الإسلامي، بيروت، ص 249.

2- دلال بنت كويران السلمي، التجديد في التفسير في العصر الحديث، -مفهومه وضوابطه واتجاهاته-، رسالة دكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، 1435هـ/2014م، ص 102.

وتبنيهم للفكر القومي يبرز في أعمالهم وكتابتهم يقول أمين الريحاني¹: "لقد كانت العرب قبل الإسلام والمسيحية وستبقى العرب بعد الإسلام والمسيحية، ليدرك ذلك المسلمون، وليدركه المسيحيون، العروبة قبل كل شيء وفوق كل شيء"².

وكانوا يرون أن أكبر عائق يقف في وجه التقدم والتطور والتحرر هو الثقافة الدينية، فسعوا جاهدين لتقزيمها وتحجيمها وتخفيف منابعها، وتقليص المواد الدينية، وإبدالها بثقافة غربية مادية، والعجيب أنهم مع ذلك ومع تقليدهم المطلق للغرب، لم يصلوا إلى تقدم أو حضارة أو نهضة علمية حقيقية، لأن الظروف التي نشأت فيها النهضة الأوروبية تختلف كل الاختلاف عن الحياة العربية، ثقافة ودينا وعادات وتقاليد... فهي مختلفة سياسيا وفكريا واجتماعيا واقتصاديا... فلا يمكن استجلابها، كما أن أوروبا في الحقيقة لم تنتكر لتاريخها، بل حاولت إصلاحه مستلهمة من العلم التجريبي العربي كثيرا، مع إدراكها بوعيتها بذاتها، والدليل أنهم إبان استعمارهم للمسلمين مازالوا ناشرين للتصوير محاربين للدين، فالغرب وإن كانت تطغى عليه ثقافة إلحادية إلا مع المسلمين فثقافتهم حينئذ تكون صليبية تتحالف فيها الدولة العلمانية مع الكنيسة، ويقوم فيها الرجل بدور القائد والراهب والمبشر والمستشرق والجناسوس المحترف في آن واحد أحيانا³.

ومن الأوائل الذين دعموا هذا الفكر، هم مسيحيو المشرق ومن تأثر بهم أمثال قسطنطين رزيق⁴ وأحمد فارس الشدياق⁵.

وبطرس البستاني¹ وناصيف اليازجي² وسليم تقلا³ وجورجي زيدان⁴.

1- أمين فارس بن أنطوان بن يوسف، المعروف بالريحاني، كاتب خطيب، يعد من المؤرخين ولد ببلبنان، وتردد بين بلاد الشام وأميركا، واختاره معهد الدراسات العربية في المغرب الإسباني رئيس شرف، كما انتخبه الجمع العلمي العربي عضوا مراسلا، (ت. 1359هـ/1940م)، ينظر: الأعلام (18/2).

2- أمين الريحاني، القوميات، دار الجبل، بيروت، ط7، 1987، ص: 374.

3- ينظر: حاضر العالم الإسلامي، (52).

4- مؤرخ سوري أبرز دعاء القومية العربية، أطلق عليه، داعية العقلانية في الفكر العربي الحديث، ولد في دمشق في 1909م، وكان ينتمي إلى طائفة الأرثوذكسية، وفي مدارسها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، ثم التحق بالجامعة الأمريكية وحصل على الماجستير ثم الدكتوراه عام 1930م، من جامعة برنستون (ت. 2002م).

5- أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، عالم باللغة والأدب، بلبنان، رحل إلى مصر فتلقى الأدب عن علمائها، ورحل إلى مالطا، فأدار فيها أعمال المطبعة الأمريكية، وتنقل في أوروبا، ثم سافر إلى تونس فاعتنق فيها الدين الإسلامي، وتسمى: أحمد فارس، (ت. 1304هـ، 1887م)، ينظر: الأعلام: (193/1).

وأمين الريحاني⁵... وغير هؤلاء كثير اختلفت دعواتهم وتنوعت، فتارة باسم التجديد، وتارة باسم المدنية، ومرة باسم المساواة وتحرير المرأة، وأخرى باسم حقوق الإنسان، وبعد انهيار التيار القومي الماركسي بعد هزيمة 1968، واندثار المشروع الثقافي التحرري المرتبط به، صاحب ذلك صحوة إسلامية وظهور حركات تدعو إلى الوعي الديني وتحديد الخطاب الأصلي.

1- بطرس بن بولس بن عبد البستاني، صاحب "دائرة المعارف" العربية، عالم واسع الاطلاع، ولد ونشأ في قرى لبنان وتعلم بها وبيروت، آداب العربية، واللغات السريانية، والإيطالية، واللاتينية، ثم العبرية واليونانية ت. 1300هـ/1883م، ينظر الأعلام: (58/2).

2- ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، الشهير باليازجي؛ شاعر من كبار الأدباء في عصره، أصله من حمص بسوريا، وولد في "كفر شيما" بلبنان وتوفي في بيروت (1287هـ/1871م)، ينظر: الأعلام: (350/7).

3- سليم بن خليل بن إبراهيم، مؤسس جريدة "الأهرام" المصرية، ولد بلبنان؛ ونكب في أيام الثورة العرابية، لامتناعه عن مناصرتها، وأحرق العرابيون مطبعته، فانتقل إلى سورية ثم عاد إلى القاهرة فاستأنف إصدار الأهرام، فمرض عاد إلى لبنان، مات بها سنة (1310هـ/1892م)، ينظر الأعلام: (117/3).

4- جورجي بن حبيب بن زيدان، مؤسس مجلة "الهلال" بمصر، وصاحب تصانيف كثيرة، تجنى فيها على التاريخ الإسلامي، ولد وتعلم ببيروت، ورحل إلى مصر، فأصدر مجلة الهلال (خلال اثنين وعشرين عاما) وتوفي بالقاهرة، سنة (1332هـ/1914م)، ينظر الأعلام: (117/2).

5- أمين بن فارس بن أنطوان بن يوسف، المعروف بالريحاني، كاتب خطيب، يعد من المؤرخين، ولد بلبنان، وتردد بين بلاد الشام وأمريكا، واختاره معهد الدراسات الغربية في المغرب الإسباني رئيس شرف، كما انتخبه المجمع العلمي العربي عضوا مراسلا، (ت. 1359هـ/1940م) ينظر الأعلام: (18/2).

المبحث الخامس: أسماء القرآن الكريم ودلالاتها عند أركون :

القرآن الكريم له أسماء كثيرة منها: الكتاب، القرآن، الفرقان، الذكر، التنزيل... إلخ، ولكل اسم من هذه الأسماء معانٍ اختص وتفرد بها عن غيره، والقرآن هو جماع تلك المعاني، غير أن اللافت للانتباه في كتابات محمد أركون هو عدوله عن استخدام تلك الأسماء جميعها، التي وردت في القرآن الكريم وتتبعها العلماء، وعوضها بمجموعة من أسماء أخرى لها معاني ودلالات تعد بتعددتها، وتنوع بتنوعها، غير أنها تقصر عن أسماء القرآن الكريم في أسمائها وحمولاتها الدلالية، وإيجائها، وإشاراتها، وأبعادها المعرفية، إن لم تكن تقزيم وتشويه وتقليل من قداسة القرآن الكريم عامة وأسمائه خاصة، ومن هذه الأسماء والأوصاف اسم: "خطاب نبوي"، و"المدونة الرسمية المغلقة"، و"الظاهرة القرآنية"، و"الحدث القرآني".

فهذه الأسماء شبيهة إلى حد ما بالشبهات التي لفقها المشركون لمحمد (صلى الله عليه وسلم)، واعترضوا بها على القرآن الكريم، ونفوا صلته بالسماء وأنه من عند الله، فادعوا بشرية القرآن، وجعلوه ضرباً من الشعر أو الجنون، أو نصاً من تأليفه (صلى الله عليه وسلم)، أو علمه إياه غيره ممن له دراية بالكتب السماوية السابقة، أو هو انتحال من الأساطير السائدة في شبه الجزيرة، وقد أورد القرآن الكريم هذه الشبهات في عدد من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۚ وَقَالُوا الْأَسْطِيرُ الْأُولِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا¹، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ²﴾.

فهذه الآيات تلقاها المستشرقون بالترحيب، وحاولوا تأويلها والتشكيك في نسبة القرآن إلى الله تعالى، ولكن المؤمنين زادتهم رسوخاً وإيماناً ويقيناً بأن القرآن من عند الله تعالى، كما فعل الصحابة الكرام عليهم من الله تعالى الرضى والرضوان، لما أراد المشركون أن يطعنوا في القرآن ويصفوه بأوصاف لا تليق به، وقد تطرق "عبد الرحمان بدوي" لشبهات المستشرقين في كتابه "الدفاع عن القرآن ضد منتقديه" وصنف كتب المستشرقين إلى صنفين اثنين:

1- سورة الفرقان، الآية: 4-5.

2- سورة النحل، الآية: 103.

- الصنف الأول: يضم كتباً ذات نزعة يهودية، مثل كتاب: "ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟"، لصاحبه ابراهام جيجر، وكتاب "العناصر اليهودية في القرآن"، و"إسهامات في شرح القرآن"، و"بحوث جديدة في فهم وتفسير القرآن"، للمستشرق الألماني هارتنفيخهيرشفيلد، وكتاب "أصلاًساطير الإسلامية في القرآن"، لصاحبه، سيدرسكي D.sidersky، وغير ذلك من الكتب.

- أما الصنف الثاني: فيضم الكتب ذات التوجه المسيحي، وذكر منها: "أصل الإسلام في بيئته المسيحية"، و "مدخل إلى القرآن"، للمستشرق ريشارد بيل Richard bell، وكتاب "أصل الإسلام والمسيحية"، للمستشرق تور أندريه Tor Andrea، وبعد ذكره لعدد كبير من الكتب مع ذكر سنة تأليفها ولغتها، في أربع صفحات، ذكر بعد ذلك المنهج المتبع من لدن أصحابها وتتبعه بالدراسة النقدية، ومن أهم النتائج التي توصل إليها هي قوله أن: "هؤلاء المستشرقون اتبعوا منهجاً عاماً مفاده أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) الذي يتهمونه بتأليف القرآن قد استقى واستعار من الكتب المقدسة وشبه المقدسة المسيحية واليهودية أكثر القصص والصور المجازية والأمثال والحكم"¹.

ومن الأسماء التي استعملها أركون للقرآن الكريم اسم: "المدونة الرسمية المغلقة"، وهذا الاسم يتحدث عن مرحلة متأخرة من مراحل القرآن الكريم، وهي مرحلة تتعلق بما بعد التدوين، لأن القرآن في نظره لم يدون إلا بعد عشرين سنة من وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وظل مفتوحاً مدة تناهز أربعة قرون، والمرحلة التي كانت قبل التدوين سماها ب: "الخطاب النبوي"، أي مرحلة التداول الشفهي قبل "أن يتحول بعد عمليات طويلة ومعقدة إلى نص مكتوب"²، أي إلى مصحف، فما يقابل المدونة الرسمية المغلقة هو "المصحف"، وليس "القرآن"، لأنه يفرق بينهما، فانتبه لهذا، ومن ذلك قوله في "كتابه الفكر الأصولي": "ماندعوه بطريقة اختزالية المصحف، أي المدونة الرسمية المغلقة"³.

1- بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، الطبعة الأولى، 1984، ص: 26-27.

2- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل- نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ترجمة، هاشم صالح، ص: 127-128.

3- المرجع نفسه، ص: 128.

وإذا كانت المدونة الرسمية المغلقة عنده هي المصحف وهما غير القرآن، فإننا لا نقره على ذلك، ونقول بأن القرآن هو المصحف والعكس، وجملة "المدونة الرسمية المغلقة"، لا تليق به، ولا تصلح له، ولا تدل عليه، لأنها من المصطلحات الجافة والخالية من أدنى شحنة إيمانية، وهي ذات دلالات وإشارات شاسعة، تدخل في القرآن الكريم مالميس منه، ويمكن أن يندرج تحتها عدد كبير من الكتب، سواء كانت مقدسة أم غير مقدسة، لأن اسمها يشير إلى أسس ثلاثة تأسست عليها، وعناصر ثلاثة تكونت منها وهي:

أ- أن تكون مدونة: أي أنها قد عرفت الانتقال من الحالة الشفهية إلى الحالة الكتابية.

ب- أن تكون رسمية: إشارة منه إلى ضرورة الانسجام بينها وبين الموقف الرسمي العام، المتبنى من الدولة أو الأمة عموماً.

ج- أن تكون مغلقة: أي تامة لا تقبل الزيادة ولا النقصان.

إن تركيز أركان على صفة "الرسمية"، فيه إيجاز وإشارة بأن هذا المصحف غير مصدق من جمهور الأمة، ولا يمثل إلا الجهاز الرسمي للدولة التي اعتمده بعد خلافات بين المسلمين، حيث يقول: "إن غياب صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) والنقاشات التي تفاقمت بين المسلمين الأوائل دفعت الخليفة عثمان إلى جمع كلي للتنزيل في مدونة واحدة تدعى المصحف، وأعلن أن الجمع قد انتهى، وأن النص الذي أثبت لا يناله التغيير، وأتلفت المدونات الجزئية، لكي لا تؤجج الخلافات فيصححة التبليغ المحفوظ، وهذا يسوغ مصطلح المدونة الرسمية المغلقة"¹.

هذا الكلام يحتوي على كثير من التجاوز بتحريف بعض الحقائق المنصوص عليها في المصنفات الحديثة، ومصنفات علوم القرآن، والتفاسير، وكتب السيرة وغيرها، ومنها حقيقة تدوين القرآن الكريم في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وجمعه في المصحف، في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق، وجمع الناس على القراءة، إبان خلافة عثمان بن عفان، وهو "ما يجعل تسمية القرآن بالمدونة الرسمية المغلقة غير مؤسسة على أساس علمي متين، ومفتقرة إلى الأدلة الداعمة لمقتضياته"².

1-Ouvertures sur l'islam, P : 62.

2-الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءات الحديثة، ص: 77.

ومن الأسماء التي يوظفها أركون للقرآن الكريم، اسم: "الظاهرة القرآنية"، أو "الحدث القرآني"، فماذا يقصد أركون بالظاهرة القرآنية؟ يجب عن ذلك بقوله: "أقصد بالقرآن حدثاً يحصل لأول مرة في التاريخ، وعلى نحو أدق أقصد ما يلي: التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماماً، الزمان هو بدايات التبشير، والمكان هو البيئة الاجتماعية والثقافية التي ظهر فيها، وهي الجزيرة العربية"¹.

فهذا الكلام يوحي أن الخطاب القرآني في نظر أركون هو خطاب شفهي فقط، أنتجت أحوال معينة وظروف خاصة، وكان يحمل في طياته إجابات متعددة عن تساؤلات أهل ذلك الزمان، ويحل مشاكلهم، ويعالج قضاياهم وانشغالاتهم، منسجماً مع مستواهم الفكري والثقافي البسيط، إذا ما قورن بما وصل إليه الفكر الإنساني، مع التركيز على أنه خطاب شفهي فقط، للدلالة على أن إجاباته ظرفية وعابرة، وصالحة لتلك الفترة الزمنية فقط، التي أنزل فيها ولا ينساح إلى غيرها، ولا يتعدى فضاءها الزماني والمكاني.

وهناك نتائج مستنبطة من هذا النص، ومصرح بها في نصوص أخرى، تعني أن القرآن الكريم لا يتماشى مع عصرنا، ولا يمكنه أن يجيب عن تساؤلاتنا وانشغالاتنا نحن أبناء القرن الواحد والعشرين لأن الجيل الذي نزل فيه، غير الجيل، والثقافة غير الثقافة، اختلاف في الأحوال والمخاطبين به، لذلك يقول في موضع آخر: "فالخطاب الشفهي تلفظ به النبي طوال عشرين سنة وفي أحاول متغيرة ومختلفة، وأمام جمهور محدد من البشر، ونحن لا يمكن أن نتوصل إلى معرفة هذه الحالة الأولية والطارئة للخطاب مهما حاولنا، فقد انتهت بوفاة أصحابها، لقد ضاعت إلى الأبد"².

1- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، 2000، ترجمة هاشم صالح، ص: 185.

2- المرجع نفسه، ص: 187.

هكذا يتضح أن لنا أن نعت القرآن ووصفه بالظاهرة¹، هو من باب الإصرار على وجود قطيعة بين مرحلتي التنزيل والتدوين، لتقييده بقيد "التاريخية" فيصبح شأنه كشأن أي نص بشري كان، إفرازا لأحوال وحيثيات معينة، لا يتعدها إلى غيرها، ومصطلح "القرآن" إذا ما استعمل من دون أي نعت، فلن يؤدي إلى هذه النتيجة بل العكس تماما.

ويسوغ أركون اختياره لهذه التركيبة اللغوية بقوله: "استخدمت هنا مصطلح الظاهرة القرآنية، ولم أستخدم مصطلح القرآن قصدا، لماذا؟ لأن كلمة "قرآن" مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية، ومن ثم فلا يمكن استخدامها مصطلحا فعلا من أجل القيام بمراجعة نقدية جذرية لكل التراث الإسلامي، وإعادة تجديده أو فهمه بطريقة مستقبلية استكشافية، فأنا أتحدث هنا عن الظاهرة القرآنية، كما يتحدث علماء البيولوجيا عن الظاهرة البيولوجية أو التاريخية"².

إنها عملية إقصاء لكل المصطلحات العريقة والأصيلة داخل التراث الإسلامي، مع محاولة تعويضها بمصطلحات حديثة، هي نتاج صراعات قوية داخل حقول معرفية تختلف كثيرا عما هو متداول فيه، وسبب الاستبعاد ما يتركه استعمال تلك المصطلحات العريقة من أثر عميق في متلقيها فالتلفظ فقط بكلمة "قرآن" مثلا، يجعل المتلقي يستحضر أنه وحي من عند الله عز وجل، أوحى به إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ويستحضر مصدره الرباني، وشرفه وعزته وقداسته وتبجيله وأنه كتاب هدى ورحمة، حق وصدق، أنزل للعالمين، فيه أوامر ونواه، مواعظ وحكم، عبر وعظات، قصص وأمثال....، هذه الأمور وغيرها هي ما يسميها أركون بالشحنات والمضامين اللاهوتية، ويريد الهروب منها باستخدام مصطلحات جافة مثل "الظاهرة القرآنية، الحدث القرآني، المدونة الرسمية المغلقة، الخطاب النبوي.... لأن استعمال مصطلح "القرآن الكريم"، أو كلام الله تعالى.... يجعل

1- مصطلح "الظاهرة القرآنية" جعله مالك بن النبي عنوانا لأحد كتبه، وهو من أهم أعماله ومؤلفاته، إضافة إلى كتاب "شروط النهضة"، وتناول هذا المصطلح بين الرجلين مختلف، ويقع على طرفي نقيض، فمالك بن نبي يتسامى بهذا المصطلح إلى مستوى يجعله حدثا معجزا بكل المقاييس، بينما ينزل أركون بالظاهرة إلى المستوى المادي المحض، ليدرس القرآن كما تدرس الظواهر الطبيعية مثل الزلازل، أو الظواهر الاجتماعية كالفقر، وقد ساء فهم الكثير، خاصة من قراء أركون عند استخدامه هذا اللفظ، حيث ظنوا أنه اتخذ موقفا إيمانيا تقليديا بحسب قوله، لكي يحافظ على العقيدة القائلة إن لا علاقة للقرآن بالكلام البشري، وإنه يتعالى على التاريخ كليا، وهو الذي حدا به إلى تبرئة نفسه من ذلك في كتابه "فضايا في نقد العقل الديني، وقال: "إنهم فهموا الأمور على عكس ما هي عليه" ص185، فذلك الفهم ينطبق على مالك بن نبي عند تناوله للمصطلح وتبنيه إياه، ومحتوى الكتاب يدل على التسامي والتعالي، أما تناول أركون فهو عكسه تماما.

2- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص: 199-200.

إخضاع القرآن للدراسة النقدية أمراً مستحيلاً، ومستبعداً على الأقل في الساحة المعرفية الإسلامية، مع مصدريته الربانية، والعملية النقدية العلمية يفترض فيها أن تنصب على الفكر البشري، لأنه إنتاج مؤطر بحدود الزمان والمكان، وإفراز لواقع يتقاطع فيه الثقافي بالسياسي والاجتماعي، من دون إغفاله لأبعاد أخرى، تشكل جميعها مجموعة من الروافد المساهمة في تركيب النفس المبدعة، فإذا طرح السؤال عن خضوع "الكتاب المقدس" بعهديه القديم والجديد للدراسة النقدية، فكيف لا يخضع القرآن الكريم لنفس الدراسة النقدية، مع أن مصدر هذه الكتب رباني، أوجب عن ذلك بعدة إجابات منها أن "الكتاب المقدس" بعهديه، تعرضت مرحلة تدوينه إلى أكثر من احتمال، وثبت بما لا يدع مجالاً للشك عند من تصدوا لتلك الدراسات النقدية اختراق متنه، حينها فقط أصبح حمى "الكتاب المقدس"، مستباحاً للدارسين، ولكنها الاستباحة المؤدى عنها، فقد واجه الكثير من هؤلاء الاضطهاد، كما حصل لـ "سبينوزا"، الذي طرد من الطائفة اليهودية عقب تأليفه لكتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة"¹، كما خضع لكثير من المضايقات جعلته يفضل الاغتراب عن الوطن على الاغتراب عن قناعاته وأفكاره وآرائه.

إذا فشرط الاستباحة هو إثبات اختراق المتن، ولأن أركون وغيره ممن يطمحون إلى جعل القرآن مجالاً للدراسات النقدية، فقد أخفقوا في إثباته، فلا يمكنهم البتة سحب حكم الخاص بالكتاب المقدس على القرآن، لأن "الشرط" كما يقول علماء الأصول: "هو ما يلزم من عدمه عدم الحكم، ولا يلزم من وجوده وجود الحكم ولا عدمه غياب الشرط دليل على غياب المشروط"².

والغالب على فكر أركون في التعامل مع الخطاب القرآني هو تطبيقه للمنهج اللساني البنيوي، وإن كان في جميع كتاباته لا يلتزم بمنهج معين، فعلاقته بالهرمنوطيقا هي علاقة فوضوية، إذ يأخذ من أمسها ويومها وغدها، ويخلط ذلك فيما يسميه بالمنهج المتعدد الاختصاصات، ويفعل ذلك خدمة للدفاع عن آرائه وأفكاره، لذا نجده يحاول استبدال المصطلحات التي لها علاقة بتقديس النص القرآني، بمصطلحات توحى باعتباره مجرد نص كسائر النصوص³.

1-Dictionnaire Hachette ,P: 1505/magazine Littéraire n°370 Novembre 1998,P23-24(jaclinlargrée),dictionnaire encyclopédique de larausse, P: 1328.

2- الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءات الحداثية، ص: 80.

3- وهذا ما يسميه طه عبد الرحمن ب: خطة التأسيس في القراءات الحداثية المقلدة، حيث تحذف عبارات التعظيم المتعلقة بالنص القرآني، ويتم استبدالها بمصطلحات جديدة أخرى مقررّة، ويسوي بين الكلام الإلهي والكلام البشري في رتبة الاستشهاد وغيرها من العمليات المنهجية، انظر: "روح الحداثة، ص: 178 وما بعدها.

فيقول: "باللغة السيميائية يمكننا القول: إن كل وحدة نصية من وحدات الخطاب القرآني مبنية على أساس سلسلة متسلسلة من الأحداث المركبة على هيئة بنية دراماتيكية أو مسرحية مثيرة"¹.

فهو يقصد بعبارة "الوحدات النصية للخطاب القرآني"، وعبارة "الوحدات السردية"، في قوله: "إن هذا المخطط البياني يتيح لنا أن نقرأ الآية الخامسة من سورة التوبة بصفتها وحدة سردية صغيرة...."²، يقصد بهاتين العبارتين: الآيات القرآنية، مع العلم أن تسمية مكونات السورة بالآيات، ليس اجتهداداً من اصطلاح العلماء، بل هو أمر توقيفي من عند الله عز وجل، فهو سبحانه جل وعلا، سمى عناصر السور بالآيات، قال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِنَّ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٧﴾³.

وكل سور القرآن الكريم تتكون من آيات، فأقصر سورة فيها ثلاث آيات "سورة الكوثر"، وأطول سورة فيها 286 آية، هي سورة البقرة، وفي كل سور القرآن الكريم الـ 114 سورة، 6236 آية، على اختلاف يسير بين العد المكّي والمدني الأول والثاني. وهكذا فسور القرآن الكريم تتكون من آيات قرآنية، ولا تتركب من وحدات نصية، أو وحدات سردية.

كما أخضع أركون القرآن الكريم لمفهوم التناس⁴، فيما سماه بـ "التداخلية النصانية بين القرآن والنصوص الأخرى التي سبقته"، وقد أضاف عناصر أخرى تساهم في مفهوم التناس-حسب رأيه_ هي القصص والروايات والأساطير القديمة، حيث قال: "...هذه المدة الطويلة جدا سوف تشمل ليس فقط التوراة والإنجيل وهما المجموعتان النصيتان الكبيرتان اللتان تتمتعان بحضور

1- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص: 62.

2- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص: 63.

3- سورة آل عمران، الآية: 07.

4- يمثل النص حسب مفهوم التناس: عملية استبدال من نصوص أخرى، أي عملية تناس، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، انظر: "مناهج النقد المعاصرة، صلاح فضل، ص: 128، ومصطلح التناس إنما هو عائد إلى جوليا كريستيفا التي كتبت سنة 1969 (أبحاث من أجل تحليل سيميائي) أن التناس هو تقاطع عبارات مأخوذة من نصوص أخرى "عالم النص" لسليمان كاصد، ص: 241.

كثيف في القرآن، وإنما ينبغي أن تشمل كذلك الذاكرات الجماعية الدينية الثقافية للشرق الأوسط القديم"¹.

ومفهوم التناسخ، كما في البنيوية يدل على سمة النقص في الطبيعة البشرية، لأن الإنسان لا يستطيع إنشاء أي شيء من العدم، بما في ذلك النصوص، لذلك فمفهوم التناسخ صحيح بالنسبة للنصوص الأدبية والإنسانية عموماً، أما بالنسبة لنص مصدره الله جل وعلا، ونؤمن إيماناً يقينياً بأنه إله متصف بالعلم المطلق، وبكل صفات الكمال والجلال، فمحال محال، كما أنه من الطبيعي أن يرد في القرآن الكريم ما يتفق مع بعض ما جاء في الكتب السماوية السابقة، لأن القرآن جاء مصححاً ومقوماً ومستدركا ومهيئاً عليها، وحتى بالنسبة للأشياء التي نقضها كان لا بد أن يشير إليها، قال جل جلاله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾².

وخلاصة القول أن أركون أصابه هوس القراءة التاريخية للقرآن الكريم، انبهر بما حققه النقد التاريخي على مستوى الدراسات التوراتية والإنجيلية، فنادى بأعلى صوته، أن لا مخرج للدراسات القرآنية من مأزق التخلف والجمود والتأخر إلا بتبني مناهج متعددة، ومن بينها المنهج التاريخي، يقول: "الدراسات القرآنية تعاني تأخراً كبيراً قياساً بالدراسات التوراتية والإنجيلية التي ينبغي أن نقارنها به باستمرار، وهذا التأخر يظهر التفاوت التاريخي بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الأوروبية أو الغربية"³.

1- وقد ساق سورة الكهف كمثال على حضور قصص الشرق الأوسط القديم في القرآن الكريم فقال: "هي ثلاث قصص: أهل الكتاب وأسطورة غلغاميش ورواية الإسكندر الأكبر وهو هنا لم يقتصر على ذكر القصص والروايات بل إن الأساطير أيضاً تساهم في تشكيل هذه التداخلية النصانية، وموضوع القرآن والأساطير عند أركون موضوع واسع، يحتاج إلى تفصيل كبير، انظر: "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص40.

2- سورة المائدة، الآية: 50.

3- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة: هشام صالح، دار الساقى، لبنان، بيروت، ط1، 1999م، ص22، 23.

من خلال ما سبق ذكره، وما ذهب إليه أصحاب القراءات الحدائرية، وما أكده كل من " عبد المجيد الشرفي"، و"محمد أركون"، وغيرهما من المهتمين والمشتغلين بالخطاب القرآني يتضح لنا أن أهم الإشكالات المتعلقة بالقرآن الكريم والتي يدعيها أصحاب القراءات الحدائرية هي:

- **أولاً:** دعوى بشرية القرآن، وأن الوحي الذي نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يكن وحياً بل مجرد سيكولوجية كانت تنتابه من وقت لآخر، إذ يغيب فيها عن الوعي، وتتعلل الملكات المكتسبة لديه، ليتدقق المخزون في اللاوعي.
- **ثانياً:** دعوى تأخر تدوين القرآن عن عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) بسنوات، وأن المتلو غير المدون، وأن القرآن غير المصحف.
- **ثالثاً:** دعوى أن القرآن مدونة بشرية تحكمت فيها القوى السياسية الحاكمة.
- **رابعاً:** دعوى أهمية تطبيق مناهج نقد الكتاب المقدس لفهم النص القرآني¹.

1- يوسف الكلام، القراءات الحدائرية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، دراسة تحليلية نقدية، ط1، الرياض 1434هـ، ص: 15.

الفصل الثاني

القراءة المعاصرة والخطاب القرآني

وفيه أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: القراءة المعاصرة، مفهومها، منطلقاتها.

المبحث الثاني: إشكالات القراءة المعاصرة للخطاب القرآني.

المبحث الثالث: منهج دعاة القراءة المعاصرة للخطاب القرآني.

المبحث الرابع: شروط وضوابط القراءة المعاصرة للخطاب

القرآني.

المبحث الأول: القراءة المعاصرة، مفهومها، منطلقاتها:

القراءة عموماً لها فوائد عظيمة من بينها :

- أنها من أقوى الأسباب لمعرفة الله عز وجل، وعبادته، وطاعته، وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.
- هي من أهم الأسباب لعمارة الأرض، والوصول إلى العلوم المؤدية إلى ذلك.
- سبب لمعرفة أحوال الأمم الغابرة، والاستفادة من تجاربها وعلومها وإيجابياتها وسلبياتها، والنظر في أسباب هلاكها ودمارها وفنائها.
- تعرف الإنسان على ما ينفعه وما يضره في هذه الحياة، من مختلف العلوم.
- سبب لرفعة الإنسان في هذه الحياة وفي الآخرة، وتمييزه عن الحيوانات والعجماءات.
- تحدث في النفس الترويح والأنس.
- في القراءة متعة للنفس، وغذاء للعقل والروح.
- فيها إزالة لفوارق الزمان والمكان، فيعيش القارئ مع الناس جميعاً أينما كانوا، وحيثما وجدوا.
- في القراءة ينابيع صافية لخبرة كل مجرب، يفيض بالهدى والرشاد والنصح والتوجيه والمعرفة.
- في القراءة سياحة للعقل البشري بين رياض الحاضر، وآثار الماضي وبقايه، وآمال المستقبل.
- القراءة تنقلنا من عالم ضيق، محدود الأفق، إلى عالم آخر، أوسع أفقاً، وأبعد غاية، وأسمى هدف.
- القراءة تجعلك تعيش في كل العصور، وتستحلب الماضي الغابر، أو تنتقل إليه وأنت في مكانك، كما تنتقل في الحاضر دون الحاجة إلى وسائل نقل، بل وتعيش المستقبل الذي لم تدركه بعد، من خلال القراءات الاستشرافية، والاستباقية...
- القراءة تجعلنا نرحل إلى قمم الجبال، وأعماق البحار، ونقطع الصحراء الجذباء، فلا يمنعنا بعد المكان، ولاطول الزمان، واقرؤوا إن شئتم رحلات مكتشفي العالم، مثل رحلة "ابن بطوطة في مجلدين"، وغيرها من الرحلات.
- القراءة تجعلك تكون علاقة صداقة قوية ومتمينة مع الكتاب والعلماء والأدباء والنقاد والفلاسفة والمفكرين والمؤرخين...، لأن القارئ يأخذ من صديقه المؤلف أحسن الجمل، وأرقى العبارات، وأجزل الألفاظ، وألطف الكلمات، وأعذب المعاني...، لأن المؤلف لا يكتب في كتابه إلا ما فيه فائدة، أوخبرة، أو نفع، أو توجيه، أو نصح وإرشاد، ويختار أحسن الكلمات، وأرقى العبارات...

- بالقراءة يسير الإنسان بفكره وعلمه وإحساسه وشعوره، في أنحاء المعمورة، وهو جالس في بيته أو في مكتبه...
- بالقراءة تعرف علوم الأولين والآخرين، وأحوال السابقين واللاحقين.
- والقراءة سبب قوي لمعرفة مكائد أعداء الإسلام والمسلمين، من الكفرة والملحدين، والفرق الضالة ودحضها والحذر منها.
- بالقراءة يفهم كلام الله تعالى، ويعلم حلاله وحرامه، محكمه ومتشابهه، أمثاله وبشاراته وإنذاره وعظاته وقصصه..
- بالقراءة تعرف سنة المصطفى -صلى الله عليه سلم-، التي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي شارحة للقرآن الكريم، مبينة لمجمله، مقيدة لمطلقه، مخصصة لعامه، موضحة لمشكله، مفصلة لأحكامه..
- بالقراءة يعرف الفرق بين الحلال والحرام، والمستحب والمكروه..
- هذه باختصار هي أهم فوائد القراءة عموماً، ثم أن هذه القراءة تطورت مع التطور العلمي والتكنولوجي، وتنوعت، فأصبحت هناك القراءة التحليلية والنقدية والتأويلية والتفسيرية والتفكيكية، وقراءة ما بين السطور، أو البياض، ..، والقراءة العامة، والمتخصصة، ودخلت عليها آليات فهم معرفية، وتعددت مصطلحاتها ومفاهيمها، فهناك القراءة القديمة أو الكلاسيكية، والقراءة الحديثة، أو الحداثية والجديدة، والقراءة العصرية أو العصرانية أو المعاصرة، وهذا المصطلح الأخير للقراءة، أي "القراءة المعاصرة"، هو الذي يهمننا لارتباطه بهذا البحث، فما مفهوم القراءة المعاصرة؟ وماهي منطلقاتها؟ وما هي شروطها وضوابطها عند تطبيقها على الخطاب القرآني؟.
- هذا ما نتطرق إليه من خلال هذا البحث الموجز.
- **القراءة المعاصرة:**

ي طرح مصطلح القراءة في الأدبيات المعاصرة كبديل عن مصطلحات التفسير والتأويل والتدبر والشرح والتعبير... ونحو ذلك، ومصطلح القراءة هو أثر لنتيجة التلقي التي أعطت القارئ سلطة مطلقة في تأويل النص وفهمه بناء على ما ترسب لديه من ثقافة وفكر ومنطلق.

ونظرية التلقي هذه هي آخر النظريات، بعد أن مر النقد الأدبي في الغرب بعدة مراحل، بدأت بمراجعة دور المؤلف ورؤيته، ونقد النص وقراءته، ثم انتقلت السلطة للنص بعيداً عن سلطة

منتجه، فيما يعرف بنظرية "موت المؤلف"، ثم انتقلت أخيراً للقارئ المتلقي وأتيح له أن يفهم النص كيفما أراد دونما قيود، ومن هنا صيغ مصطلح القراءة، انطلاقاً من سلطة القارئ في فهم النص، وتأويله، وتفكيكه، وتحليله، وإعادة إنتاجه من جديد.

- مفهوم القراءة المعاصرة :

أ- القراءة لغة :

مصدر قرأ، يقال قرأ الكتاب قراءة، إذا جمع الحروف والكلمات، وضم بعضها إلى بعض فكون كلاماً مفهوماً، ومنه قرأت القرآن: بمعنى لفظت به مجموعاً¹، ومنه فعل الأمر "اقرأ" وقد ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾² وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾³.

وجاء في السنة قوله-صلى الله عليه وسلم- لأبي كعب رضي الله عنه⁴: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾"⁵.

والجمع والضم أظهر المعاني اللغوية لمفردة القراءة، وهو معنى ظاهر في القاف والراء مع الألف أو الياء، من ذلك سميت القرية قرية؛ لاجتماع الناس فيها، وتقول قريت الماء في المقرأة، إذا جمعت فيها، والمقرأة الجفنة؛ سميت مقرأة لاجتماع الضيوف عليها، أو لما جمع فيها من طعام. وسمي كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم- والمتعبد بتلاوته والمجموع بين دفتي المصحف... سمي قرآناً، لأنه جمع السور فضمها، وقيل: لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور⁶.

ب- القراءة في الاصطلاح:

1- ينظر: مقاييس اللغة، 79/5، تاج العروس، 371/1.

2- سورة العلق، الآية: 01.

3- سورة الإسراء، الآية: 14.

4- أبي بن كعب بن قيس: الأنصاري، الخزرجي، أبو الطفيل، كناه النبي عليه وسلم بأبي المنذر، أحد كتاب الوحي، وأقرأ الصحابة للقرآن الكريم، شهد العقبة وبدرا، رجع ابن عبد البران، وفاته كانت في خلافة عمر رضي الله عنه.

ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، 65/1، أسد الغابة، ابن الأثير، 168/1؛ الإصابة، ابن حجر 180/1،

5- سورة البينة، الآية: 01.

6- صحيح البخاري (واللفظ له) 63 كتاب مناقب الأنصار، 16، باب المناقب أبي بن كعب (رضي الله عنه) برقم (3809).

القراءة في الاصطلاح لها معنيان أو مفهومان:

-الأول: عام مستعمل في كل الدراسات الفقهية والأصولية والفلسفية والتاريخية وغيرها، مفاده أن القراءة هي استنطاق المكتوب، ومعرفة معانيه ومرادات صاحبه.

-الثاني: خاص اهتم واضعوه بدور القارئ في انتاج المعنى، ثم خدم هذا المفهوم بنظريات اشتغلت بالنص دراسة وتحليلاً وتأويلاً وتفكيكاً ونقداً، وذلك ما تشغل القراءات المعاصرة بالتعريف به وتطبيق لوازمه على النص الشرعي كتاباً وسنة، ويمكن الوقوف على المعنى الاصطلاحي للقراءة بمفهوميه من خلال عرض استعماله في لغة الفقهاء والأصوليين والمحدثين وغيرهم؛ ففي مصنفات الفقه يرد مصطلح القراءة معبراً عن أحكام تتعلق بالمقروء، سواء كان قرآناً أو حديثاً نبوياً أو غير ذلك، فالفقيه يبحث -مثلاً- أحكام قراءة القرآن خارج الصلاة، كقراءته من محدث حدثاً أصغر أو أكبر، وقراءته على الميت، وقراءته عند القبر، وأخذ الأجرة على قراءته أو تعليمه، والمكان الذي يقرأ فيه، وحكم قراءة الكتب السماوية، وقراءة كتب السحر، وفضل قراءة كتب الحديث، وما يتعلق بها من الثواب، وما أشبه ذلك من الفروع والمسائل.

ويبحث الأصولي مسائل القراءة عند الحديث عن القراءة الشاذة للقرآن، في مقابل المتواترة، ويناقش حكم الاستدلال بالأولى، في حين تدرس هذه المسائل في علم القراءات من جهة التحمل والثبوت.

والقراءة على الشيخ عند علماء مصطلح الحديث إحدى وسائل نقل الحديث، ويطلقون عليها طرق التحمل¹.

والقراءات في علم القرآن الكريم، هي: "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كفيئتها من تحقيق وتنقيح وغيرهما"².

وفي عموم المعارف تعرف القراءة بتعاريف تدور حول "فعل التسبع البصري لما هو مكتوب للتعرف على محتوياته ومضامينه"¹ والقراءة تعبير عن استنطاق المكتوب والمحفوظ، وكلاهما شيء واحد يطلق عليه المقروء، فمن قرأ من حافظته فهو قارئ.

1- قال ابن كثير متحدثاً عن طرق تحمل الحديث: "...الثاني: القراءة على الشيخ، حفظاً أو من كتاب، وهو العرض عند الجمهور، والرواية بها سائغة عند العلماء، إلا عند شذاذ لا يعتد بخلافهم، الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، ابن كثير، ج1/ص:729.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 465/1.

أما القراءة بالمفهوم الثاني في هذه الدراسة، فمعلوم من حيث دلالاته على الفهم وإنتاج المعنى لكنه لم يستخدم كمصطلح يحمل نفس دلالة مصطلح الفقه، إلا في الغرب حيث ولد مفهوم القراءة المشاركة في بناء النص في محاضن الدراسات الأدبية والنقدية الغربية، وتمدد خارجها، ثم نقل المصطلح إلى المدارس العربية الأدبية والتاريخية، وتضخم في الكتابة الصحفية والنقدية، وتدافع الكتاب لاستخدامه بمعنى التأمل العميق في النص، أو في ما يكون بمعنى النص، كالوقائع والأحداث والتصرفات وأصبح مألوفاً قولهم في العنوان قراءة في كذا، أو قراءة لهذا... وهم يريدون بذلك النظرة المتعمقة في الدلالات والمعاني.

ثم بدأ النشاط الكبير في القراءات المعاصرة التي دعت لنفسها في أروقة الدراسات الإسلامية وفي مقدمتها فقه الأحكام الشرعية، وتم ذلك بأقلام القراء المعاصرين وراج استعمال مصطلح القراءة بمعنى الفقه رواجاً ظاهراً، واحتفى القراء المعاصرون بمصطلح القراءة؛ فهو إلى جانب حضوره الكثيف في ما يكتبون، وسمت به الكثير من مؤلفاتهم، فلأصحاب المشروعات منهم على سبيل المثال:

"الفكر الإسلامي قراءة علمية"، لأركون، "إشكالية القراءة وآليات التأويل"، لنصر حامد أبو زيد، "نحن والتراث قراءات معاصرة في فكرنا الفلسفي"، الجابري، "النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة"، للطيب تيزيني... الخ.

ونظرة في قائمة مصادر الدراسات في الموضوع تغني عن تعدادها، فكثرتها لافتة للنظر، ولم تجد الدراسات المختلفة معها حرجاً في استعمال مصطلح القراءة بنفس الدلالة نذكر منها، مثلاً:

- البحوث التي قدمت لمجمع الفقه الإسلامي الدولي في الدورة (16) وكلها استخدمت مصطلح القراءة في عناوينها، كما استعملته كثير من البحوث والرسائل العلمية والمقالات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات العلمية .

واستحسن طوائف من الكتاب، تأثروا بعوامل خارجية أبرزها استلهاهم تجربة الغرب مع نصوصه الدينية، إلى إقحام مصطلح القراءة بمدلولاتها الجديدة وأحماها الإيديولوجية في ميدان النصوص

1- محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى، ص: 46، وهو ناقل بدوره عن: محمد حمود، تدريس الأدب استراتيجية القراءة والإقراء، ص: 13.

الشرعية قرآنا وسنة بمساعدة عوامل عديدة نورد بعضها عند شرحنا لتاريخ نشأة القراءات المعاصرة، وفصول أصولها ومبانيها الفكرية.

والمهم في هذا السياق أن علماء الشريعة باختلاف فروع العلم التي أتقنوها لم يفرّدوا للقراءة معنى اصطلاحيا له دلالات تختلف عن معنى جمع حروف المقروء وضمها لتكون كلاما مفهوما، أما الفهم العميق للنص وكذا الأذهان، وبذل الجهد الواسع في فهمه واستنباط معانيه، وكشف مراميّه فهذا هو الفقه.

ولا يعني ذلك أن القراءة بمفهومها العام الذي أشرنا إليه مجردة عن الفهم، فالقراءة في كل مجالاتها يلازمها فهم المقروء، مهما تفاوت هذا الفهم، فمن هذا الحروف بغير فهم لا يقال هو قارئ، ولا فعله هذا قراءة، ومن نطق الحروف بأي لغة كانت وركبها فأخرج صوتا لا يفهم المعنى لا يقال له إنه قرأ نصا، إذ لا حصيلة لنطقه ولا ثمرة له، يؤيد ذلك تفسير مفردة القراءة بمعنى الفهم، قول عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)¹ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِمْ لَهُمْ لِقَاءَهُمْ وَأَنْتَ بِمَعْلَمِهِمْ سَعِدٌ﴾ قال رضي الله عنه: «فإذا بيناه فاعمل بما بيناه»³ فهذه الآية الكريمة وشرحها من طرف حبر الأمة، فيها إشارة واضحة، ودلالة بينة على قيام التلازم بين القراءة والفهم، ومع ذلك لم تستخدم مفردة القراءة كمصطلح يدل على فقه المقروء، وعلى تعدد الفهم، بنفس الدلالة التي تقدمها المدارس الغريبة المعاصرة أدبية كانت أو فلسفية لمفهوم مفردة القراءة.

والملاحظ أن التقارب بين الدالتين حاصل مع التأكيد على أن هذه المفردة لم تكسب معنى اصطلاحيا يرادف الفقه والاجتهاد، إلا في مفهوم المدارس والاتجاهات التي تحاول استثمار النظريات الغربية الحديثة في مجالات متعددة من فروع هذه العلوم الإنسانية والتجريبية لتفسير نصوص الوحي

1- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم حبر الأمة، وترجمان القرآن، ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له كان صبيح الوجه، فصيح اللسان، غزير العلم، توفي بالطائف سنة 68هـ.

ينظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم، ج3، ص: 1699، والاستيعاب، ج3، ص: 933، وأسد الغابة، ج3، ص: 291.

2- سورة القيامة، الآية: 18.

3- ينظر تخريج الحديث في: جامع البيان، ج1، ص: 90، والنكت والعيون للماوردي، ج6، ص: 156، وزاد المعاد لابن القيم، ج5، ص: 564.

بمعزل عن المنهج الفقهي المؤسس على قواعد علمية محكمة تنتمي إلى الفكر الفقهي الإسلامي وتستمد قوانينها من نصوص القرآن والسنة ومستخرجات العقل¹.

- مداخل المعاصرة:

يمكننا أن نحدد ثلاث مجموعات من المنطلقات الرئيسية التي تؤلف ضرورات المعاصرة القرآنية، هي:

أ- المنطلقات الكلامية: وهي التي صاغها علم الكلام وانتهى فيها إلى أن القرآن معجزة دائمة، وحجة قائمة أبد الدهر، وهو كتاب آخر الأديان ومعجزة خاتم النبيين، ومن ثم وجب أن يكون خالداً على مر العصور والدهور، وصالحاً لكل مكان وزمان وإنسان.

ب- المنطلقات النصية: بين أيدينا ثروة نصية هائلة تفيد، في مدلولها الأخير، أن القرآن الكريم حي أبد الدهر، له رسالته التي يؤديها في كل عصر، منها ما في القرآن نفسه، ما يدل على أن هذا الكتاب تبيان لكل شيء، قال عليه وسلم: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشيع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن قالوا: «إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمننا به»، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»²، فالقرآن الكريم ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، فمن رام علم الأولين والآخرين فعليها أن يثور القرآن، فسور القرآن وآياته حية لا تموت، «فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضيين» وكذلك: «إن القرآن حي لم يمت وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا»³، فأيات القرآن خزائن، فهي دائمة العطاء،

1- عبد الوالي بن عبد الواحد الشلفي، القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلامي، مقدمات في الخطاب والمنهج، ط1، بيروت 2013، ص: 18، 19.

3- هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، طبعة مؤسسة الوفاء، ج2، ص15، ص: 281.

3- هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، طبعة مؤسسة الوفاء، ج2، ص15، ص: 281.

لكل قارئ فكتاب الله على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فكتاب آياته بهذه المكانة، وبهذا الوصف، حري أن يكون كتابا دائما خالدا، لا ينضب عطاؤه على مر الدهور والعصور.

فإذا كانت المعاصرة روحها وقوامها ولبها هو المواكبة الحثيثة للزمن والقدرة على الديمومة والعطاء في كل عصر، فإن هذه صفات من صفة القرآن الكريم، وخاصية من خواصه، فهو كتاب لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليلا وحجة وبرهانا على كل إنسان.

ج- منطلقات الثقافة الحديثة وتحدياتها:

ما مر بنا في المجموعتين الأولى والثانية، يمثل بواعث ذاتية أو داخلية للمعاصرة القرآنية، بيد أن اللوحة لا تكتمل من دون أن نضيف إليها مكونا آخر يتمثل هذه المرة بما بات يعرف بصدمة الوعي الأوروبي، وما راح يبلوره الفكر الآخر وما تقرره تياراته ومن تأثر بها، من أبناء المسلمين من نظريات وأفكار ونظريات حيال عصرية القرآن ومعاصرته، يختلط فيها الغث بالسمين والخطأ بالصحيح والسطحي بالعميق والدخيل بالأصيل، ما يستوجب ويستدعي الجواب عليها بتحديد موقف نقدي من تلك النتاجات والاستنتاجات والتأويلات، يقوم على معرفة واعية وتحليل عميق، ومن ثم صياغة نظرية أو نظريات في مفهوم المعاصرة القرآنية تلي حاجة الساحة إلى ذلك مع عدم احتمالها لأي تأخير أو إهمال¹.

- القراءة الحداثية للقرآن الكريم²:

والقراءات الحداثية أو العصرية أو المعاصرة للقرآن الكريم لم تتوقف في أي عصر من العصور، منذ عصر الصحابة -رضوان الله عليهم- وحتى يومنا هذا، ولا يحدها زمان ولا مكان، فإذا كانت بدايتها في الجزيرة العربية فإن نهايتها ممدودة باتساع البلاد عبر القارات في الأرض، لا يخفى على الدارسين والباحثين أن هناك خصائص زمانية ومكانية في الدراسات القرآنية تتسم بها، بحسب طبيعة كل وقت، وكل بلد، فالدراسات القرآنية في زمن التابعين وتابعيهم هي غير الدراسات في العصر

1- جواد على كسار، المعاصرة القرآنية، رؤية على ضوء المدرسة الوجودية، مقال مطبوع في كتاب قراءات معاصرة في النص القرآني، مجموعة من المؤلفين، ط1، 2008، بيروت، ص: 54-56.

2- قاسم شعيب، فتنة الحداثة، ص: ورة الإسلام لدى الوضعيين العرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2013، الدار البيضاء، المغرب، ص: 82 وما بعدها.

الحديث من ناحية المنهج والعرض والتحليل والتعاطي والاهتمام، وكذلك فإن الدراسات القرآنية في البلاد العربية تختلف عن الدراسات القرآنية في الغرب وهكذا.

والدراسات الحداثية للقرآن الكريم في هذا العصر لم تتوقف، بل بقيت مستمرة بعطائها العلمي والمعرفي، وهذا دليل على تفاعل الدراسات القرآنية مع المستجدات الزمانية والمكانية مما يدل على حيوية هذه الدراسات وروحها العلمية النشيطة التي تواكب الظروف، حيث رأينا دراسات غربية وشرقية تناولت الدرس القرآني بأطروحات لم يسبق إليها، ولا سيما في التعامل مع النص القرآني، وإجراء المناهج الحديثة عليه، وهذه الدراسات يقابلها مؤيدون ومعارضون ورافضون ومتحفظون وهو ما يعد تطوراً فكرياً في الدرس القرآني، بغض النظر عن مافيه وماله وما عليه من حيث التعامل مع النص الإلهي المقدس.

والقراءات الحداثية التي تشيع في العالم الإسلامي اليوم، هي قراءات يحاول أصحابها نسبتها إلى الحداثة، من أجل القطع مع القراءات التراثية، التي أورثت المسلمين التخلف والجمود والركود والانحطاط - حسب زعمهم -، وافتتاح مرحلة تفسيرية جديدة تؤسس لإبداع كل جديد.

وإذا كانت القراءات التراثية قراءات اعتقادية، تسلم منذ البداية بإلهية النص القرآني وعصمته، فإن القراءات الحداثية تدعى لنفسها أنها قراءات انتقادية، تريد أن تمارس نقدها على آيات القرآن الكريم، كلها أو بعضها، كما نجد ذلك عند رموزها مثل محمد أركون، وعبد المجيد الشرفي، ويوسف صديق، ونصر حامد أبو زيد، وطيب تيزيني...

ويميز طه عبدالرحمن بين القراءة الحداثية والقراءة العصرية، فالأولى تلتزم بالسياق الثقافي والحضاري للحداثة الغربية، أما الثانية فيجعل الكاتب قراءة محمد شحورر مثلاً عنها، فإنها تفيد من مختلف منجزات العصر دون الاشتغال بإعادة إنتاج الأسباب التاريخية الخاصة بهذه المنجزات.

والقراءات الحداثية في نظر الكاتب هي قراءات مقلدة اتبعت في تحقيق مشروعها النقدي خططا مختلفة لها أهداف وآليات ومناهج، والهدف الأساس هو إزالة العوائق الاعتقادية من خلال هذه الخطط.

ومن هذه الخطط خطة التأسيس التي تريد نزع القداسة عن النص القرآني ونقل آياته من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري من خلال عبارات التعظيم في وصف القرآن، مثل: القرآن الكريم، أو الكتاب العزيز، أو كتاب الله... واستبدال ذلك بمصطلحات جديدة بدل المصطلحات المقررة والمتعارف

عليها، مثل: الخطاب النبوي، مكان الخطاب الإلهي، كما يفعل أركون أو مصطلح الظاهرة القرآنية مكان نزول القرآن...

وهذا ما يؤدي إلى المماثلة بين النص القرآني والنصوص الأخرى ليكون القرآن مجرد نتاج لسياق ثقافي معين، مفتوح على احتمالات متعددة، ويقبل بتأويلات غير متناهية لا تفاضل بينها، بحيث لا يمكن الادعاء بصحة قراءة معينة دون القراءات الأخرى¹، وهذا يعني فصل النص القرآني عن مصدره المتعالي وربطه كلياً بالإنسان القارئ بدعوى تقريب القرآن من الإنسان، إذ لا سبيل لإدراك المقاصد الحقيقية للمتكلم المتعالي، ويعني أيضاً عدم اكتمال النص القرآني بسبب احتمال وجود حذف أو زيادة فيه خدمة لمصالح فئوية معينة.

والدارس المهتم اليوم يلاحظ أن موضوع القراءات الحدائية للقرآن الكريم يحتل الصدارة منذ بدايات النهضة في الفكر العربي، وكثرت التساؤلات حول كيفية التعامل مع النص الشرعي عامة، والخطاب القرآني على وجه الخصوص، من حيث تحديد المفاهيم وضبط المصطلحات. والقرآن الكريم قادر على أن يتفاعل مع كل مناهج المعرفة والثقافات البشرية، وقابل للاستجابة للمتغيرات الاجتماعية عندما يتم التعامل معه بطريقة منهجية وعلمية.

- جذور ومنطلقات القراءات المعاصرة للقرآن الكريم:

ترتبط الأرضية التي نشأت فيها القراءات الحدائية للقرآن الكريم، بعوامل مختلفة يمكن القول أنها بمثابة أسباب ومنطلقات للحدائثة التي حال التعامل الكلاسيكي مع النص القرآني دون بلوغها - في نظر روادها - وهي:

- بقاء العرب والمسلمين في وضع يطغى عليه التخلف والانحطاط في شتى الميادين، بفعل عوامل مختلفة أهمها بل ومحورها هيمنة القراءة الكلاسيكية للنص القرآني المقدمة من طرف علماء الدين على الساحة العربية، وذلك لأنها حسب نقاد الخطاب الديني الكلاسيكي تعبر عن قراءات مؤدلجة مؤطرة برؤى وقواعد تحول دون الحدائثة والتقدم الذي بلغه الأوروبيون، هي ما أرقّت مفكري وفلاسفة العرب ففكروا في تجاوزها كشرط جوهري لركب قطار الحدائثة عن طريق بناء قراءة علمية موضوعية للقرآن الكريم كنص محوري لحضارتنا.

1- طه عبد الرحمن، روح الحدائثة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، الدار البيضاء، بيروت، ص: 180.

-مركزية النص القرآني في بناء الحضارة العربية الإسلامية، ماضيا وراهننا ومستقبلا، وهو ما ترتب عنه وجود دعوات هنا وهناك تدعوا إلى تأسيس قراءات جديدة له، وذلك لأنه أهم النصوص التي تأسست عليها ثقافتنا أو حضارتنا العربية الإسلامية التي هي حضارة النص بتعبير "أبو زيد" وذلك لأننا نعيش « في ثقافة احتل النص الديني فيها -ولا يزال- مركز الدائرة»¹، وتلك المركزية أو المكانة التي يحتلها القرآن الكريم في حضارتنا هي من دون شك تجعل حدثنا مرهونة ببناء فهم جديد له يتناسب ومستجدات العصر، ويتجاوز الرؤى المؤدلجة التي يلحقها بها علماء الدين والتي تكون في نظر رواد القراءات الحداثية سببا للتخلف والانحطاط الذي نعانيه.

-تبلور إشكالية القراءة للنص القرآني في مختلف العصور، وتتجسد في التأويل الذي ألحق به طيلة العصور والذي يحتاج دائما إلى إعادة النظر والدراسة والتمحيص والتحقيق، فالحضارة العربية الإسلامية « لم تقم على النص فقط بل أيضا قامت على التأويل أي إنتاج نص آخر مؤول في ظاهره يحافظ على النص الأصلي الذي لحقه التأويل ولكن في عمقه الباطني متحرر منه، يحاول التجاوز أو الخروج أو حتى الهدم بما تتيحه لغة هذا النص من إمكانيات لغوية التي تسمح بالتعدد في الفهم وبالتجدد في المعنى تلحقه الذات المؤولة»².

-قصور الآليات الكلاسيكية في تقديم فهم معاصر للنص القرآني ومواكب لمعطيات الحداثة ولا سيما في فترة العولمة التي عرفت تغيرا جذريا على شتى الأصعدة، والذي ترتب عنه حاجة النص القرآني إلى فهم جديد يتماشى ومعطيات العولمة كالإسلاموفوبيا والإرهاب والثورة المعلوماتية...نتج عنه ظهور جملة من المشتغلين بالنص القرآني، استفادوا من تكوين خارج البيئة العربية.

- الاستمداد التراثي للقراءات المعاصرة:

يمكننا أن نتعرف على استمداد القراءات المعاصرة من التراث الإسلامي، حسب ما يذكره القراء المعاصرون، والخوض في هذا الموضوع يرتبط بإشكالية المنهج، التي قد يظن البعض أن هذه القراءات الناشئة اليوم بمؤشرات قادمة من الغرب وموجهة بفكره، وخاضعة لخلفياته وبيئته الثقافية والاجتماعية، يظن الكثير أن التاريخ الإسلامي لم يعرفها ولم يشهد لها مثيل، والواقع غير ذلك فقد

1- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، ص: 28.

2- بومدين بوزيد، الفهم والنص، دراسة في المنهج التأويلي عند شلير ماخر وديلتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008، ص: 31.

شهدت ميادين الفكر الإسلامي، انحرافات عبر القرون مع اختلاف في التفاصيل والدوافع والأسباب.

وتحدث عن هذا كثير من العلماء القدامى، منهم الشاطبي الذي عاصر انحرافات في الاستدلال فقال: «ولا يأتي زمان إلا وغريبة من غرائب الاستنباط تحدث إلى زماننا هذا»¹.

ومن أبرز الانحرافات القديمة منهج المعتزلة الذي سلكوا ببحوثهم في العقيدة مسالك تخالف وتناقض المنهج المستوحى من نصوص القرآن والسنة، وسموا معتزلة لأنهم اعتزلوا مذهب الأمة في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين، فقالوا هو في منزلة بين المنزلتين، فلا هو من أهل الجنة ولا هو من أهل النار.²

وقيل أن سبب تسميتهم بالمعتزلة، أن واصل بن عطاء³، اختلف مع الحسن البصري في تلك المسألة، فاعتزل واصل ابن عطاء مجلس الحسن البصري وانحاز إلى أسطوانة في مسجد البصرة، فقال الحسن البصري: اعتزلنا واصل، فسمي ومن معه بالمعتزلة.⁴

وقيل إن قتادة بن دعامة⁵ سماهم المعتزلة، لما دخل مسجد البصرة فوجدهم قد انفردوا بحلقة مستقلة عن حلقة الحسن البصري.⁶

ولا ريب في وجود تشابه بين فكر المعتزلة قديما والاتجاهات المعاصرة والخطاب العلماني حديثا، والحديث عن جذور ذلك التشابه ليس حديثا عن مواقع الاتفاق فحسب، ولكن حديث عن اتفاق كامل، وفكر واحد، وتأثير مطلق، ولا يقصد بهذا التشابه أن أصحاب القراءات المعاصرة يريدون إحياء منهج المعتزلة وفكرهم، لأن المعتزلة منهم أصوليون وفقهاء ومفسرون، قال الإمام الذهبي في الجبائي شيخ المعتزلة: «وكان أبو علي -علي بدعته- متوسعا في العلم، سيال الذهن، وهو الذي ذلل الكلام وسهله، ويسر ما صعب منه»، وقال عن اسماعيل بن علي السمان: «الإمام

1- الشاطبي، الاعتصام، دار اشرفية، دت، دط، ج2، ص: 12.

2- ينظر: الخطيب البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: -94-98.

3- واصل بن عطاء، أبو حذيفة المخزومي، كان بليغا، من رؤوس المعتزلة، توفي سنة 131هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، ج5، ص464، ووفيات الأعيان، ج6، ص: 7.

4- ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 48.

5- قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، البصري، تابعي، حافظ، عالم بالتفسير واللغة والأنساب، توفي سنة 118هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ، ج1، ص: 92، ووفيات الأعيان، ج4، ص: 85.

6- ينظر: الوافي بالوفيات، ج27، ص: 245.

الحافظ العلامة البارع المتقن»، وقال عن الزمخشري: «العلامة، كبير المعتزلة... كان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان» وقال عن القاضي عبد الجبار: «العلامة المتكلم شيخ المعتزلة... صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية»¹... الخ.

كما أن المعتزلة يشترطون على من تصدر للفقهِ والفتوى أن يكون محيطا بأصول الدين، وهو شرط مشدد ضمه المعتزلة إلى بقية الشروط التي وضعها جمهور العلماء، زيادة على أن المعتزلة لم ينكروا اللغة العربية كأساس لفهم النص وفق مراد الله، وهذا ما جعلهم يحتالون على اللغة باللغة، كتحريرهم إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَلَوُّنًا﴾². فهذه الآية صريحة ومؤكدة لصفة كلام الله عز وجل، على كيفية لا نعلمها، ونعجز عن تصويرها، ولا نبحت فيها أصلا، وإنما ثبتها كما جاءت، وهذا ما يتعارض مع مذهب المعتزلة في نفي الصفات، فجنحوا لقلب شكل الكلمة لتوافق قواعد اللسان العربي، ولا تشذ عليه، فقرؤوها بنصب لفظ الجلالة على أنه نصب بالفعل، وعدوا موسى مرفوعا لأنه فاعل³.

وأهم الفوارق أن المعتزلة لم يشككوا في النص القرآني كما يفعل بعض القراء الجدد، فمنهم من يغمز النص القرآني ويضطرب في موقفه منه، في حين أن المعتزلة يقولون بقطيعته وسلامته من التحريف والتبديل، قال الزمخشري مفسرا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁴، «فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة و نقصان وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المقدسة، فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا، فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه»⁵.

وبالمقارنة بين دلالات هذه المواقف والآراء من جانب المعتزلة، وبين آراء ومواقف بعض دعاة القراءة المعاصرة للخطاب الديني، نرى الفرق واضحا والبون شاسعا، فهؤلاء ينتقون من الفكر

1- ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص: 183، ج18، ص: 55، ج20، ص: 151، ج17، ص: 244.

2- سورة النساء، الآية: 164.

3- ابن عبد العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج1، ص: 177.

4- سورة الحجر، الآية: 09.

5- الزمخشري، تفسير الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، دار المصحف، ط2، 1988/1398، ج2، ص: 536.

الاعتزالي ما يتلاءم ويتوافق مع طموحاتهم وميولاتهم ورغباتهم، فما يتناسب مع طرحهم يعدونه استمدادا من فكر المعتزلة، وأهم ما يجتمعون ويتوافقون عليه مع المعتزلة هو تحكيم العقل على النصوص الدينية، وكذا الغلو في تأويل النصوص لكي تدعن وتخضع للعقل، ولا يتعاملون مع الأمور الغيبية إلا بموازين المحسوسات.

ثم إن القراءات المعاصرة أو المحدثة ضمت ما أخذته عن المعتزلة إلى جانب ما جلبته من الغرب وأخرجته للناس باسم البحث العلمي والمنهجية المتطورة، والموضوعية المتجردة¹.

-القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين:

من أبرز سمات القراءة المعاصرة للخطاب الديني أنها تحاول:

1-عزل المنهج الفقهي: فالقراءات المعاصرة تسعى إلى عزل المنهج الفقهي والأصولي وإقصائهما، فالخطاب القرآني الذي تلقاه الصحابة -رضوان الله عليهم - عن النبي صلى الله عليه وسلم، وطبقوه ومشوا على نهجه وطريقه، وترسخ ذلك بأقلام الفقهاء والأصوليين، وأجمعت الأمة على ضرورة الانقياد له، حاولت القراءة المعاصرة أن تلغي كل ذلك، فمعركتها أولا وأخيرا مع المنهج، فهي ترفضه بقوة، وتدرك أنها لو قبلت به أو ببعضه لعجزت عن نشر شيء من مشروعها.

ومع ذلك فهي تدرك أيضا أن عزل واستبعاد منهج علمي مكين ومؤسس لا يعني إلا مجافاة مسلمة المنهج في أي علم، وأن اتهام الإمام الشافعي بأنه ألف كتاب الرسالة لغرض سياسي لا يصدقه نابه، لأن الأمة تعرف من هو الشافعي، فسيرته كالشمس وضوحا، ولا يخفى على العقلاء عدالته وفضله، وذكاؤه وحذقه، وبيانه وسعة علمه، وقوة مداركه، والعقلاء يردون تنقص الشافعي بمثل رفضهم لمن يتهم آينشتاين بقلة فهمه لقوانين الفيزياء.

وإنكارهم أو محاولة تصغير اسم الشافعي لأنه من الماضي رغم اشتغالهم به يوقعهم في حرج كبير، فلازم ذلك أن ينكروا عظماء الغرب، لأنهم من الماضي أيضا، وهذا ما لا يقدر على الحقيقة¹.

1 -الموضوعية (objectivity) مصطلح وضع للدلالة على البعد عن الذاتية وضرورة الالتزام بالحقائق العلمية مجردة عن ميول الفكرية، لتصبح المسائل خاضعة للملاحظة والاختيار مجردة عن قائلها، وبصياغة أخرى الموضوعية هي النظر إلى الواقع كما يبدو بمعزل عن أفكار الإنسان ومشاعره.

ومع ذلك فغمر الشافعي مقدمة ضرورية للسخرية من المنهج ورفضه، ومن ثم عزله كلياً عن العمل، وهيمته البيئة الفكرية والثقافية لاستقبال البديل، وعلى المتلقي أن يتحرر من كل ما يسمى منهجاً لقراءة الخطاب القرآني، وإلا فكيف يكون ناقداً ومفككا يفكك ليشرع لنفسه ولا يرضى بإرادة تتحكم في رأيه لأن التفكير النقدي الفعال والحيوي يتكرر ويتجدد بالتححرر من الضوابط التي يتقيد بها حراس العقائد وحماة الهوية، أو بخرق القواعد والمعايير التي يلتزم بها أصحاب المدارس وبناء النماذج وهواة التأصيل والتأسيس².

2- فرضية التعدد :

إن إنكار وجود المنهج الفقهي من أعسر الخيارات أمام القراءات المعاصرة، وهذا لحرصها على إقناع المتلقي الذي لا يتصور ولا يقبل ولا يتقبل أن تكون أحكام الشريعة منذ العهد النبوي إلى اليوم تميم على وجهها بلا منهج حتى ظهرت مناهج القراءات المعاصرة لأجل ذلك فتحت مسارا آخر تؤكد فيه على أهمية المنهج لكنها ترى أن الوعي بالمنهج يجب أن يكون مصاحباً بالإقرار بتعددية المنهج في معالجة النص الديني وعدم التسليم بمنهج بعينه دون آخر³.

- القراءات المعاصرة وحرية الرأي:

تنطلق القراءات المعاصرة على اختلافها من مسلمة وهي أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في مآزق تاريخي لا يمكن إخراجها منه إلا بجرية الرأي والبحث والحوار العقلاني المفتوح⁴.
فحرية الرأي التي تدعوا إليها القراءات المعاصرة، هي حرية مطلقة تؤول إلى شر مطلق، هي حرية مطلقة في اعتناق ما شاءوا من الأديان، والخروج منها متى ما أرادوا، وتفسير نصوص الدين كما يظهر لهم، وأداء الشعائر كما يريدون وبأي كيفية يرغبون، وفي سبيل هذه الحرية دعا روادها ودعاتها وطلبوا

1- ينظر: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي، د. عبد الفتاح العيسوي، ود. عبد الرحمن العيسوي، ص: 10، معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص: 359.

2- عبدالوالي بن عبد الواحد الشلبي، القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت، 2013، ص: 20-36.

3- محمد حمزة، إسلام المجددين، ضمن سلسلة، الإسلام واحداً ومتعدداً، دار الطليعة للطباعة والنشر، ورابطة العقلايين العرب، بيروت، ط، 1، 2007، ص: 62.

4- عبد المجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2009، ص: 08.

من الأنظمة السياسية في العالم إلى حماية حركة النقد الموجهة للنصوص، وتقديم كامل الضمانات لحرية الفكر والكتابة والنشر والتوزيع والتدريس¹.

ويرى أحد القراء الجدد أن العالم الإسلامي لا بد أن يحدو حذو الغرب في الانتصار لحرية التعبير، وعلى المسلمين أن يطبقوا ما جاء في المادة (18) من لائحة حقوق الإنسان التي تعطي لكل إنسان الحق في حرية التعبير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر واعتناق الآراء واستقاء الأبناء والأفكار وإذاعتها بأي وسيلة².

فهذا القول ومثله كثير، له أنصاره ومؤيدوه والداعون إليه، فهو واضح في أهدافه ومضامينه ووسائله ومراميه، أما حرية الرأي والتعبير في الإسلام فلا ينكرها إلا ناكراً ولا يجحدّها إلا جاحداً حقوقاً، فقد دعا إليها الإسلام، وجاء بها، ولكنها لا يمكن أن تقرّ العدوان على الفطرة السليمة، ولا ترضى برذائل العربي ولا تدعوا إلى هتك أستار العفاف والحياء والحشمة والفضيلة، ولا يمكن أن ترضى باغتيال مفاهيم الإيمان باسم حرية الاعتقاد، ولا تعطل فريضة النهي عن المنكر باسم الحريات الشخصية، ولا تقبل بإزالة نصوص القرآن الكريم لتحل محلها طرائق وآليات ومناهج دخيلة ومتنافرة بمجرد أنها سميت علم وعصرية وعصرانية وجديدة.

1- محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقى، ط5، 2009، ص: 103.

2- نضال عبد القادر الصالح، المأزق في الفكر الديني بين النص والواقع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2006، ص: 125، 126.

المبحث الثاني: إشكالات القراءة المعاصرة للخطاب القرآني

إشكالات القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، ليست جديدة كلها، بل بعضها ظهر مع بداية نزول الوحي، و بمرور الوقت، وظهر حركة التدوين، كانت هناك عوامل كثيرة تكاثفت فيما بينها وساعدت على بروز هذه الإشكالات.

وبحثنا هذا ليعني طرح حلول لهذه الإشكالات، ولا إضافة أشياء جديدة في هذا الباب، ولا إلى حصر وعد كل ما كتب حول هذا الموضوع، بقدر ما يسعى هذا البحث إلى إثارة الموضوع من جديد، ومناقشته، وعرض أفكاره، وجعله في الواجهة دائما، لأنه موضوع وثيق الصلة بأدبنا ومنطلقات مفكرينا ونقادنا، كما أنه يهدف إلى خلق فضاء جديد للحوار بين هذه القراءات المعاصرة المختلفة، خاصة أن غلب الذين طرحوها في العصر الحديث، تأثروا بمنهج غربية، حاولوا تطبيقها بآلياتها وتصوراتها على الخطاب القرآني، مما أفقدنا ذاكرتنا وهويتنا وذاتنا العربية، لأن مختلف الاتجاهات في نقدنا العربي الحديث والمعاصر - عامة -، هي أصدااء لتيارات نقدية أوروبية، وبالتالي فهي أصدااء كذلك لما وراء هذه التيارات من مفاهيم ابستمولوجية وايدولوجيات.

- مفهوم الإشكالات:

استعملنا لفظة "إشكالات" بدلا من استخدام لفظ "مشكلة" والفرق بين اللفظين ظاهر وواضح وجلي فالمشكلة تتميز بكونها يمكن الوصول بشأنها إلى حل يلغيها، فالمشاكل دائما ما تنتهي إلى حل، إلا بعض الاستثناءات فالناظر إلى المشاكل التي يصادفها الباحثون في العلوم الطبيعية بمختلف أنواعها، فهي غالبا ما تنتهي إلى نوع من الحلول آجلا أو عاجلا، لذلك قيل "إن الإنسانية لا تطرح من المشاكل إلا التي تقدر على حلها".

أما لفظ "الإشكالات" جمع "إشكالية" فهي من الكلمات المولدة في اللغة العربية، وهي ترجمة لكلمة "Problématique" فجزرها العربي يحمل جانبا أساسيا من معناها الاصطلاحي، يقال: أشكل عليه الأمر، بمعنى التبس واختلط، وهذا مظهر من مظاهر المعنى الاصطلاحي للكلمة، لأن الإشكالية في الاصطلاح العلمي المعاصر هي: النظرية التي لم تتوفر إمكانية صياغتها، أو هي منظومة من العلاقات التي تنسج داخل فكر معين فردي أو جماعي، فهي مشاكل لا يمكن حلها منفردة، ولا تقبل الحل نظريا إلا في إطار عام يشملها جميعا.

لذا فالنقد الأدبي العربي الحديث والمعاصر يعيش توترا انتهى إلى أزمة بسبب التهافت على هذه المناهج الغربية دون تثبت أو تريث وتروؤ، وتلقّ معقول ومقبول، فهذا التهافت اللامضبوط ولد أزمة أو إشكالية أو إشكالات تعددت مظاهرها، وتفرقت مفاهيمها، وتشبعت مناحيها، واختلفت طريقة تناولها، فأصبح حلها منفردة مستحيل، بل لا بد أن تحل هذه الإشكالات في إطار عام يشمل كل المظاهر والنواحي، وهذا ما دعا إليه كثير من النقاد والمفكرين، فالباحث في هذا الموضوع يجده متداول بكثرة في كتابات كتابنا ونقادنا وباحثينا، فقد تطرق إليه سعيد سمير حجازي في كتابه "إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر"، و"المناهج المعاصرة في دراسة الأدب"، وتناوله خلدون الشمعة في كتابه "المنهج والمصطلح"، وكتب عنه عباس الجراري كتابا بعنوان "خطاب المنهج"، وغير ذلك من الكتب، والكثير من المقالات التي تناولت إشكالات المناهج النقدية على غرار الكاتب حسن المنيعي الذي كتب مقالين، الأول بعنوان: "أزمة المنهج في النقد العربي، والثاني "إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث"، وكذلك "اللغة الثانية"، لفاضل ثامر، وغير ذلك من المقالات، ناهيك عن ما عقد عن هذا الموضوع من ملتقيات وندوات ومؤتمرات وأيام دراسية...

ورغم هذا التراكم العددي في الموضوعات المنجزة حول الإشكالية المنهجية في النقد الحديث والمعاصر، وما كتب وألف وما بذل من جهود، إلا أن هذا الموضوع لا يزال يثير النقاد، وهم في أمس الحاجة للمزيد من الدراسة والتمحيص والإثراء أكثر من أي وقت مضى، فسؤال المنهج في سياقنا الثقافي الراهن، لا يزال مفتوحا ومطروحا، لم يستفرغ حمولته بعد، ولم ينته إلى قرار.

ويثير أصحاب القراءات الحداثية مجموعة من الإشكالات بشأن القرآن الكريم ويعتبرونها إشكالات علمية حقيقية لا بد للباحث المسلم أن يقف معها، ويبحث فيها، ويحسم الأمر بشأنها وفي الحقيقة هي إشكالات "وهمية" لا علاقة لها بالقرآن الكريم أساسا، بل إنها إشكالات مرتبطة بالكتاب المقدس، يحاول هؤلاء الحداثيون بقراءاتهم هذه، إسقاطها على القرآن الكريم، ويريدون تطبيق المناهج التي طبقت على الكتاب المقدس، وبالتالي الوصول إلى نتيجة مسبقة وهي أن القرآن عرف ما عرفه الكتاب المقدس، من زيادة وتبديل وتحريف وتغيير، وكونه كتب في زمن متأخر فقد نسي بعضه، واختلف في بعضه، وغير ذلك من الأوهام التي سيطرت على فكرهم، وليس لهم استعداد لقبول نتائج أخرى مخالفة، وهذا ما جعل محمد طالبي يصف أصحاب القراءات الحداثية بـ"انسلاخسلايين"

مقتبسا هذا الموصف من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ١٧٥﴾¹، بمعنى أنهم انسلخوا عن الإسلام واتبعوا سبيل بعض المستشرقين الذين يرومون منذ القديم الطعن في أكبر قوة في الإسلام، وهي القرآن الكريم، هذا الكتاب السماوي الوحيد الذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه، ووفر له وسائل حفظ لم تتوفر لغيره من الكتب السماوية السابقة، وجعل محمد طالبي هؤلاء: صنفين: "صريح ومقنع، وكلاهما لا يعتبر الإسلام ديناً...، ويعتبر القرآن عملاً بشرياً يجب أن ترفع عنه القداسة، وتقع مقارنته مقارنة أنطروبولوجية تستخدم كل العلوم الإنسانية، كما وقع ذلك وتم بالنسبة لباقي الكتب التي كانت مقدسة قبل تحريفها، كالتوراة والإنجيل، التي رفع عنها النقد الحديث القداسة، إذ القرآن الكريم في تاريخه لا يختلف عنها في شيء - بزعمهم - فهو أيضاً قد ناله التحريف بمختلف أشكاله، وتعاورته الأيدي طوال أكثر من قرن، قبل أن يضبط ضبطاً نهائياً أو شبه نهائياً، بكتابة لم يستقر وضعها بالنقط والشكل ومختلف القراءات إلا بعد زمن طويل من القتل واللي...².

ويضيف عبد الحميد الشرفي الكثير من الإشكالات حيث يقول: "...المعلومات التي كان يتلقاها محمد من حوله، واطلع عليها في أسفاره عن طريق الأحناف أو أهل الكتاب مما كان يبلغ إلى مسامع معاصريه من دون أن يولوه أدنى أهمية لأنه خارج عن أفهامهم الذهنية ومشاكلهم، ومن نتائج تأمله الطويل عندما كان ينقطع عن الناس ويتحنث في غار حراء كان كل ذلك المادة التي تخمرت في ذهنه ووصل بها اليقين بأن الله اصطفاه لتبليغ رسالته إلى قومه أولاً، وإلى الناس كافة من خلالهم"³.

فالشرفي يرى ظاهرة الوحي عند النبي، لا تختلف عن حالات النبوة التي جاءت في العهد القديم المتمثلة في حالات الصرع والجنون والهذيان التي تعترى المتنبئين، بالإضافة إلى أن معلوماته مقتبسة من نبوءات أهل الكتاب، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أن القرآن المتلو من قبل النبي لم يصلنا وهو غير القرآن المكتوب الذي بين أيدينا، إذ ما يوجد بين أيدينا اليوم هو عمل من جاءوا بعد

1- سورة الأنفال، الآية: 175.

2- الطالبي محمد، لبطنن قلبي، الجزء الأول، قضية الإيمان وتحديات الإنسلاخسلاامية ومسيحية قداسة البابا ينوا 16، من أين أتينا؟ ماذا نحن؟ إلى أين نذهب؟ تونس، دار سراس، للنشر، ص: 35.

3- الشرفي، عبد الحميد، الرسالة والتاريخ، بيروت-دار الطليعة، 2001، ص: 34.

النبي من صحابته الذين تصرفوا في الوحي وفق اختياراتهم السياسية، يقول الشرفي: "فلفظ القرآن لا يصح أن يطلق عليه حقيقة إلى على الرسالة الشفوية التي بلغها إلى الجماعة التي عاصرتة، أما ما جمع بعد وفاته في ترتيب مخصوص ودون "بين دفتين" فمن المعروف أن الصحابة أنفسهم لم يكونوا في البداية متفقين حول مشروعية هذا الجمع الذي لم يقم به النبي ولم يأمر به"¹.

فالقرآن الكريم المتلو، هو غير القرآن المكتوب في المصاحف في نظر الشرفي، بل أن القرآن الذي بين أيدينا الآن، وكتب له المولى جلّ وعلا الحفظ إلى يوم القيامة، هو مجرد "مدونة" في نظر الشرفي، ألفها الصحابة بعد أخذ وردّ، واختلاف وتردد كبيرين، تحكمت فيهم الظروف السياسية بشكل كبير فالصحابة عند الشرفي "ترددوا حتى في الاسم الذي سيطلقونه على هذه الظاهرة قبل أن يستقر الأمر على نعتها بـ "المصحف"، أسوة _ فيما تقول الأخبار _ بما عرفه بعضهم عن الحبشة، ثم كان توحيد رواية هذه المدونة بقرار سياسي في عهد عثمان بن عفان حين جمع الناس على مصحف واحد وأحرق المصاحف الغير رسمية خوفا من أن يختلف المسلمون في كتابهم اختلاف اليهود والنصارى، وفي ولاية مروان ابن الحكم أحرق مصحف حفصة زوجة الرسول"².

فهذه الأمور التي اكتشفها الشرفي ونبه المسلمين إليها الذين جهلوا قرونا طويلة، ولم يكتشفوا بأن القرآن الكريم لم يكن كتابا في عهد النبي، وإنما صار كتابا في زمن متأخر في القرن الثاني الهجري، بعدما اتسعت الدولة الإسلامية وامتدت وبلغت حدود الصين، ودخل الأعاجم في الإسلام، وتوفرت وسائل الكتابة ودخل الكاغد إلى بلاد العرب والمسلمين من الصين، يقول موضعا في هذا الطرح: " يكثر حصول الالتباس في معنى "الكتاب" ويذهب في ظن العديد من الناس إلى أن المقصود به هو الشائع لما رسم بالخط على الصخر أو العظم أو البردي أو الرق أو الكاغد أو نحو ذلك من المرتكزات المادية، لكن القرآن لا يشير البتة إلى هذا المعنى عندما يتحدث عن الكتاب المسطور وكتاب الله والكتاب الذي نزل على محمد، أو على غيره من الأنبياء والرسل، وعن الكتب القيمة التي في "الصحف المطهرة" وعن أهل الكتاب، فهذه الاستعمالات كلها، ليس المقصود بالكتاب شيئا ماديا يستطيع المرء أن يلمسه، وينسخه

1- الشرفي، عبد المجيد، الرسالة والتاريخ، بيروت- دار الطليعة، 2001، ص: 49.

2- المرجع نفسه، ص: 49، 50.

ويفتحه في صفحة ما، ويغلقه ويضعه في خزانة أو على رف، بقدر ما هو المضمون الذي ارتأى الله تكليف الأنبياء بتبليغه إلى البشر... ولا أدل على ذلك من أن الوحي يستعمل هذا المصطلح والنبى لم يتلق القرآن كله، و قد نزل منجما على فترات قد تطول وقد تقصر، كما هو معروف، في غياب مادي ييسر التناول، لم يتوافر إلا في القرن الثاني هجري عندما عرفت صناعة الكاغد أو الورق عن طريق الصين، وشاع الكتاب بمعناه المؤلف¹.

ولا يزال الشرفي وبعض تلامذته مصرين على هذه الأقوال، متبنين هذه الأفكار محاولين نشرها، والدفاع عنها، كلما أتاحت لهم فرصة، وقد شارك الشرفي مع بعض تلامذته في ندوة تلفزيونية على قناة "نسمة التونسية" في برنامج "مغربنا في التحرير والتنوير"، وكان عنوان الحلقة "القرآن بين النص والوحي"، فقد أكد الشرفي على "أن المشكلة تكمن في الانتقال من الشفهي إلى المكتوب، وكل خطاب شفهي ينتقل إلى نص مدون فإنه يحتل مكانة مخالفة نوعيا للخطاب الأول، بينما ذهب زميله "يوسف صديق إلى" أن الله لم ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - كتابا يقرأ².

وهذا التمييز الذي يقيمه الشرفي بين القرآن المتلو، والقرآن المكتوب، سبقه إليه كثير من القراء الحدائين وعلى رأسهم "محمد أركون الذي يقول: "هناك أشياء تضيع أو تتحور أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية"³.

فأركون والشرفي يسلمان بأن النصوص المقدسة عموما هي خطاب شفهي، جرى نقله بعد فترة تقصر أو تطول إلى "كتاب" خلعت عليه أستار التقديس والتبجيل من الذين ساهموا في عملية النقل هذه، ولا يشذ القرآن الكريم في نظرهما عن هذه الحالة، فهو كغيره من النصوص المقدسة لم يكتب له التدوين إلا بعد سنوات من وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، خلال خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وأكثر من ذلك فإنه لم يأخذ صيغته النهائية إلا في القرن الرابع هجري حسب أركون، وبكلامه هذا، فهو يسوي بين كل النصوص الطويلة والقصيرة، الصعبة والسهلة، البسيطة والمركبة، وما

1- الشرفي، عبد المجيد، الرسالة والتاريخ، بيروت-دار الطليعة، 2001، ص: 53، 54.

2- تم نقل هذا الكلام من خلال مشاهدة حلقات البرنامج يوم 16 أفريل 2012 على الرابط:

<http://www.facebook.com/video/video.php?v:199925546738943>.

3- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم ص: الخ، ص: 53.

كان منها محفوظا من فرد واحد أو من فردين أو ثلاث، أو ما كان محفوظا من الجمع الغفير، وفيها تسوية أيضا لما دَوّن مباشرة لما تداولته الشفاه، وما بقي سنوات أو حتى قرونا دون تدوين.

وإذا استسيغ الأمر في النص الطويل، فلن يستساغ في القصير، وإذا قبل في النص الصعب والمركب، فلن يقبل في السهل والبسيط، وإذا جاز في النص المنقول من طرف آحاد، فليس الأمر كذلك في المنقول تواترا، وإذا سلّم به في النص الذي لم يدون إلا بعد قرون من التداول، فلن يسلم به إذا تعلق بنص تزامن فيه التلقي بالتدوين.

فإذا صح هذا في كل كلام عرف الانتقال من التداول الشفهي إلى التدوين، مهما كان مصدره أو مكانته في النفوس، فسيصبح لا محالة إذا تعلق الأمر بالوحي الإلهي المصدر، والمقدس عند المؤمنين به، وإذا صح في الوحي عموما، فهو أصح إذا تعلق بالقرآن، نظرا إلى ما توافر له من شروط العصمة من تسرب الفعل البشري، كما لم يتوافر لغيره من الكتب المنزلة¹.

- المرحلة الشفهية والكتابية للخطابات الدينية:

الكلام حول دعوى وجود مرحلة شفوية وأخرى كتابية، للخطابات الدينية، ونقصد بها الأديان التوحيدية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، فهل مرت هذه الخطابات بالمرحلتين السالفتي الذكر فعلا؟ كما يؤكد ذلك أركون بقوله: "إن الرسائل المنقولة بوساطة أنبياء بني إسرائيل، وبوساطة يسوع المسيح، ثم بوساطة محمد، كانت في البداية عبارات شفوية، سمعت وحفظت عن ظهر قلب من الحواريين الذين مارسوا دورهم بعد ذلك شهودا ناقلين لما سمعوه ورأوه"²، ويقول: "أيا تكن المكانة اللاهوتية للتلفظ الأولي بالرسالة، فإنه قد حصل مرور من الحالة الشفهية إلى حالة النص المكتوب"³.

ينطلق أركون في هذين النصين من مسلمة أساسية، مفادها أن الرسائل السماوية الثلاث، كانت في أصلها رسائل شفوية، بلغها الأنبياء والرسل، فحفظها من تلقاها عنهم من التلاميذ الذين قاموا بعد ذلك بنقلها من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية، وكان ذلك حتما في

1-الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءة الحداثية، دراسة تحليلية لإشكالية النص عند محمد أركون، دار صفحات للدراسات، سورية، دمشق، الإصدار الأول 2009، ص: 67.

2-OUVERTURES SUR L'ISLAM.PP/57-58.

3-وقد اعتمدنا ترجمة هاشم صالح في كتاب "الفكر الإسلامي -نقد واجتهاد-ص81.

أحوال تاريخية معينة، دعت إليها مصلحة الفئة المشرفة على عملية النقل، إلى تدوين محتوى هذه الرسائل¹.

والخوض في هذا الموضوع، يحتم علينا معرفة كاملة للفترة التاريخية التي زامت تنزل هذه الرسائل، كما أن اكتشاف الإنسان الكتابة كان له أثر كبير في مسار تاريخه على وجه الأرض، وشكل ذلك نقلة نوعية جعلت العلماء يعدون ما قبل اكتشاف الكتابة جزءاً من مرحلة ما قبل التاريخ، كما أن الاعتماد على قوة الحفظ قبل اكتشاف الكتابة أكبر منه بعدها، فباكتشاف الكتابة قد طرأ على الفكر وطرق اشتغاله بعض الاختلاف، بدليل قوة الذاكرة عند الأمي، مقارنة بالمتعلم على مر العصور، وإن كان لهذه القاعدة بعض الاستثناءات.

فالدراصة المتأنيّة والدقيقة لتاريخ الأديان الثلاثة المستشهد بها، خاصة في مراحل نشأتها، لا بد وأن تبني على حجج وأدلة مقنعة، وإلا كيف نصدق هذه الدعوات ونسلم بأن رسالة موسى عليه السلام كانت شفهيّة، وأن تلاميذه قاموا بتدوينها؟!، مع أن سفر الخروج ينفي ذلك، حيث جاء فيه: "فجاء موسى وبلغ الشعب بكل كلام الرب وأحكامه، فأجاب الشعب بصوت واحد: (كل ما أمرنا به الرب نفعل) ، فكتب موسى جميع أقوال الرب، ثم بكر في الصباح، وشيّد مذبحاً على سفح الجبل"²، فلا شك في أن هذا النص صريح في نسبة فعل الكتابة إلى موسى _ عليه السلام _ وليس إلى أحد من تلاميذه أو أتباعه، كما جرت عملية الكتابة فيه مباشرة بعد تلقي الوحي وتبليغه للشعب، بدلالة قوله: "فكتب موسى جميع أقوال الرب"، وقد صدق القرآن الكريم خبر كتابة الوحي في زمن موسى عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَشْجَارًا تَوَدُّعًا﴾³، إلا أن هناك اختلاف بين ما جاء في القرآن الكريم، وما جاء به النص الوارد في سفر الخروج بشأن عملية الكتابة، فهما متفقان في كتابة الوحي، ومختلفان في نسبة الكتابة، فالقرآن الكريم ينسب الكتابة إلى الله عز وجل، "وكتبنا له في الألواح من كل شيء"، بينما نسبها سفر الخروج إلى موسى عليه السلام حيث جاء فيه: "فكتب موسى جميع أقوال الرب".

1- محمد أركون، نافذة على الإسلام، دار عطية، بيروت، الطبعة الثانية، 1997، ترجمة: صباح الجهيم ص: 57، 58.

2- الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءات الحداثيّة، ص: 68.

3- سورة الأعراف، الآية: 145.

ولكن لماذا يصر أركون والشرفي وغيرهما على وجود مرحلة شفوية في النصوص المقدسة، ويسلمون بها ويدافعون عنها، كل ذلك من أجل الوصول إلى نتيجة مفادها اختراق متن هذه النصوص، وهو ما صرح به أركون في كتابه "قضايا في نقد العقل الديني" حيث قال: "في أثناء عملية الانتقال من التراث الشفهي إلى التراث الكتابي تضيع أشياء، أو تتحور أشياء، أو تضاف بعض الأشياء، لأن كل ذلك يعتمد على الذاكرة البشرية، وهي ليست معصومة إلا في نظر المؤمنين التقليديين الذين يصدقون كل شيء"¹.

وهم بهذا مقتنعون بوجود مرحلة التداول الشفهي للنصوص المقدسة، سبقت مرحلة الكتابة، وهذا ما يؤدي بهم إلى القول بإثبات اختراق النصوص المقدسة، والمقصد الأساسي من وراء ذلك هو القرآن الكريم الذي تولى الله عز وجل حفظه، ولم يكل حفظ هذا الكتاب إلى نبي مرسل ولا إلى ملك مقرب، بل حفظه الله عز وجل من التحريف والتبديل والتغيير على مر الأزمنة والعصور، إلى قيام الساعة وهياً لذلك أسباباً كثيرة، والذي يدقق النظر يجد أن وسائل حفظ كتاب الله "القرآن الكريم"، تزداد يوماً بعد يوم، وتتعدد أنواعها، ومن ذلك التسجيل الصوتي له بأصوات آلاف المقرئين الجودين الحفاظ المنتشرين في أرجاء الأرض من مختلف شعوب العالم.

ولا يقارن القرآن الكريم بالكتب المقدسة الأخرى فقد حرفت وغيرت وبدلت بدلالة أنها خضعت للدراسات النقدية منذ قرون، ودراسة الكتب المقدسة ونقدها وبيان زيفها وبطلانها وأنها محرفة، كان سبباً قويا في إخراج الشعوب الأوروبية من أغلال الكنيسة، وهي العملية ذاتها يريدونها أن تنطبق على القرآن الكريم يقول أركون: "ما أريده فعلا هو أن أثير في داخل الفكر الإسلامي تساؤلات مألوفة عما يخص الفكر المسيحي منذ وقت طويل، بعملنا هذا نخضع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن، وللتحليل الألسني التفكيكي، وللتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى وتوسعاته وتحولاته وانهدامه"².

1- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، ص: 232.

2- Pour une critique de la raison islamique , Maisonneuve et Larose, 1984, p: 52.

2- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثالثة 1998م، ترجمة: هاشم صالح، ص: 58.

وما دام المقصود باختراق متن النصوص الدينية هو القرآن الكريم، فعلياً أن نتساءل ونقول: هل عرف القرآن مرحلة للتداول الشفهي وأخرى للتدوين، وهل هذا القرآن المكتوب في المصحف هو نفسه القرآن الذي كان محفوظاً في الصدور قبل تدوينه.

ولكي نجيب على ذلك لا بد أن ننطلق من المقاربة المعجمية لمصطلح "القرآن"، جاء في لسان العرب لابن منظور، أن مادة "ق ر أ" تعني: القرآن التنزيل العزيز، يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه (صلى الله عليه وسلم) كتاباً وقرآناً وقرآناً، ومعنى القرآن الجمع، وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها... ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل... وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سمي القرآن"¹.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن للقرآن معنيين: معنى مادياً، يستشف من القراءة في الكتاب التي جعلت علة للتسمية بـ"القرآن" أي أنه كتاب مقروء، ومعنى آخر معنوي، يستشف من دلالة الكلمة على الجمع، وسحب على ذلك جمعه لعدد كثير من السور المتضمنة للقصص والأمر والنهي والوعد والوعيد وغير ذلك².

وهذا يدل على أن دلالة كلمة "قرآن" على نص مكتوب وقابل للقراءة، إمكان حقيقي، ولا يقل شأناً عن الإمكان الثاني الذي يربطها بالجمع لمضامين متعددة، كما يحيل الرجوع إلى أصل الكلمة، على أكثر من احتمال، القراءة واحدة منها، وإيجاء القراءة بوجود نص مقروء أقوى من إيجائها بتلاوة نص محفوظ عن ظهر قلب، أو بتعبير أدق إن دلالة القراءة على النص المكتوب خطأ أقوى من دلالتها على خطاب شفهي³.

ولكن أركون يريد أن يميز بين القرآن والمصحف، فالقرآن عنده هو الخطاب المنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم)، أما المصحف فهو المدون في عهد الخليفة عثمان، وهدفه هو تسوية المصحف بالكتاب المقدس، يقول أركون: "قلت المصحف ولم أقل القرآن؛ لأنه يدل على الشيء المادي الذي نمسكه بين أيدينا يومياً ولأنه يقابل التوراة والإنجيل بالضبط"⁴.

1- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 128-129.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 129.

3- الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءات الحديثة، ص: 71.

4- أركون محمد، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم ص: الح، دار الساقى، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1995م، ص: 189.

ويدعي أركون مثل الشرفي أن القرآن تقرر بإيعاز السلطة السياسية، ويسمي القرآن الموجود بين أيدينا الآن "مدونة رسمية" ويوضح معنى الرسمية فيقول: "رسمية لأنها ناتجة عن جملة من القرارات المتخذة من قبل سلطات روحية تعترف بها جماعة"¹

ويذهب أركون في أثناء بحثه عن معنى كلمة "قرآن" إلى التركيز على ارتباطها بالتلاوة من دون أي وجود لنص مكتوب، سواء في الاستعمال اللغوي أم القرآني، ومن ذلك قوله: "وفي القرآن نفسه نجد أن جذر المادة "قرأ" يدل على معنى التلاوة، وذلك لأنه لا يفترض من قبل وجود نص مكتوب في أثناء التلفظ به أول مرة من محمد"²، إلا أن الرجوع إلى القرآن الكريم يفند هذا الرأي، إذ يربط القراءة بالكتاب في أكثر من آية، منها قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ فَبَنَى فِيسَكَ الْيَوْمَ مَعْلَيْكَ حَسْبِيَاءُ﴾³، وجه الشاهد في هذه الآية، هو ارتباط فعل القراءة بوجود كتاب، وقوله سبحانه وتعالى على لسان مشركي قريش: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا نَبَأًا مِّنْ قُرْآنِهِ﴾⁴، وقوله جل وعلا في سورة يونس: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾⁵.

إضافة إلى أن القرآن الكريم يحمل أسماء متعددة، أبرزها "الكتاب" وهذا وحده يرفع الإشكال، ويزيل اللبس، ويجسم الأمر، ويدفع شبهة الادعاء بأن القرآن المتداول شفها غير المصحف المدون، لأن مصطلح الكتاب لا يحمل إلا معنى واحداً، هو أنه نص مكتوب قابل للتلاوة، والآيات الدالة على هذا الاسم كثيرة جداً، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْمَ الَّذِي كُتِبَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁶، وقوله جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾⁷، وقوله: ﴿ءَامِنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْنَا سُلَيْمًا وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ قَبْلُ﴾⁸، والآيات التي ورد فيها اسم الكتاب تناهز المتئين

1- أركون محمد، نافذة على الإسلام، ص: 57-58.

-Ouvertures sur l'islam, p :52.

2- أركون محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص: 77.

3- سورة الإسراء، الآية: 14.

4- سورة يونس، الآية: 93.

5- سورة يونس، الآية: 94.

6- سورة البقرة، الآية: 01.

7- سورة آل عمران، الآية: 07.

8- سورة النساء، الآية: 136.

والخمسين آية، تدل العشرات منها على القرآن الكريم، ولعل هذه الآية الأخيرة المقتطفة من سورة النساء فيها إشارة بليغة إلى أن القرآن كان منذ البدء كتابا، كما هو شأن التوراة التي أنزلت في الألواح، وإنما يكمن الفرق بينهما في كون التوراة أنزلت جملة واحدة، فكتبت مباشرة في الألواح، أو أنزلت مكتوبة فيها، بينما استمر نزول القرآن قرابة ثلاث وعشرين سنة، وظلت الكتابة ملازمة له طوال تلك المدة.

هكذا تتلشى معجميا محاولة الفصل بين القرآن والمصحف، يعدّ الأول خطابا شفهيًا غاب واندثر مباشرة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وعدّ الثاني نصا مكتوبا منقطعا عن الأول شكلا ومضمونا¹، ولكن هذا الطرح يرفضه أركون جملة وتفصيلا، ويصر على أن " التبليغ الأول ضاع إلى الأبد، ولا يمكن المؤرخ الحديث أن يصل إليه أو يعرفه، مهما فعل ومهما أجرى من بحوث"².

من خلال كلام أركون هذا تتضح دعواه، وتظهر أحد أهم النتائج التي يريد أن يصل إليها، وهي القول بضياع الخطاب القرآني ذي المصدر الرباني، لأنه لا ينطبق إلى على التبليغ الأول، تبليغ النبي (صلى الله عليه وسلم) للوحي إلى الصحابة رضوان الله عليهم، أما ما جاء بعد ذلك من تلاوة للقرآن أو استشهاد بآياته فإن " هذين النمطين من الاستخدام الشفهي يختلفان لغويا عن المرة الأولى، حين نطق محمد بن عبد الله بالآيات القرآنية، أو بالمقاطع والسور على هيئة سلسلة متتابعة، أو وحدات متميزة ومنفصلة مدة عشرين عاما"³.

ولن يمكننا أن نتساءل ونقول، أين يتجلى ويظهر الاختلاف اللغوي لسور القرآن الكريم وآياته بين تبليغ النبي (صلى الله عليه وسلم) لها، أو تبليغ غيره، بغض النظر عن كون هذا الكلام فيه اتهام للصحابة بعدم حفظ الأمانة وتبليغها وهم الثقات العدول فتلاوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لسورة الفاتحة، أو الإخلاص أو البقرة... أو غيرها من السور والآيات بين الصحابة لا تختلف في شيء عن تلاوة أبي بكر وعمر وابن مسعود وابن عباس... رضي الله عن الصحابة أجمعين، فلو كان

1-الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءات الحديثة، ص: 72.

2-محمد أركون، القرآن الكريم من تفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، ص: 38.

3-المرجع نفسه، ص: 38.

المقصود بالاختلاف هي الظروف والأحوال والمعطيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لقبول هذا الادعاء، أما أن يوجد اختلاف لغوي فذاك أمر مستبعد جدًا وغير مستساغ ومرفوض ومردود. وحتى اختلاف الصحابة في القراءات القرآنية وتعددتها، فهذا لا يعني اختلاف لغوي، لأن كل قراءة من هذه القراءات تمثل وجهًا من الوجوه التي قرأ بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتلقاها عنه الصحابة الكرام بهذه الكيفية، ومن ثم فالتبليغ واحد، لأن النص المبلغ واحد.

المبحث الثالث: منهج دعاة القراءة المعاصرة في التعامل مع الخطاب القرآني

في العصر الراهن، ظهرت مناهج غريبة، وآليات فهم معرفية معاصرة، اختلف بشأنها النقاد والمفكرون، بين مؤيدين وداعمين لها، ومنكرين إياها بشدة، ومتحفظين بشأنها، خاصة في مجال تطبيقها على النصوص الدينية عموماً، والخطاب القرآني بخاصة، فما هو المنهج إذن؟ وماهي إشكالات تطبيقه على الخطاب القرآني؟

• مفهوم المنهج:

• المنهج هو ترجمة للكلمة الفرنسية "La méthode" أو الإنجليزية "The method" وهما مشتقتان من كلمة يونانية هي "methodos" وتعني عند أفلاطون "البحث، النظر، المعرفة، كما أنها غالباً ما تعني عند أرسطو "البحث".

وإذا تصفحنا المعاجم اللغوية فإننا نجد مجموعة من الدلالات اللغوية كلها تحيل على الخطة أو الطريقة، والهدف والسير الواضح، وهذا يعني أن المنهج هو خطة واضحة ومضبوطة بمقاييس وقواعد، تؤطرها خلفية فكرية وفلسفية.

• **المنهج لغة:** كلمة مشتقة من الفعل "نَهَج" وقد ورد هذا اللفظ في العديد من المعاجم العربية القديمة والحديثة، ومن بينها معجم "لسان العرب" لابن منظور، والذي جاء فيه:

"نَهَجَ" (بتسكين العين) طريق بين واضح، والجمع نَهَجَاتٌ، و"نَهَجَ"، ونُهُوجٌ... وفي التنزيل قال الله عزَّ وجل: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً"¹، وروى العباس (رضي الله عنه) أنه قال: "لم يمت رسول الله حتى ترككم على طريقة ناهجة واضحة بينة"². وفي معجم المصطلحات العلمية والفنية، وردت كلمة "المنهج" بالطريق الواضح في التعبير عن شيء أوفي تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة،

1- سورة المائدة، الآية: 50.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة نَهَجَ، دارالجيل، بيروت، دط، 1988، ص 277.

وبنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة¹، وجاءت كلمة "المنهج" في معجم مصطلحات الأدب على النحو التالي "طريقة الفحص أو البحث عن المعرفة... وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"².

هذه بعض التعاريف اللغوية المأخوذة من بعض المعاجم القديمة والحديثة، توحى في مجملها إلى دلالات وإشارات تتعلق بالمفهوم الاصطلاحي لكلمة "منهج" التي تعني إجمالاً "طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم، أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية"³، أو هو "مجموع الطرق التي يتبعها العقل من أجل اكتشاف الحقيقة والبرهنة عليها"⁴.

ونظراً لكثرة المفاهيم والتعاريف لمصطلح "المنهج"، اكتفينا بما ذكرنا، وننتقل إلى أهمية هذه المناهج في الدراسات الحديثة.

- أهمية المناهج في الدراسات اللسانية الحديثة :

تظهر أهمية هذه المناهج وتتجلى في أن المنهج يشكل "حاجزاً بين الذات والموضوع، أي بين ذات الدارس أو الباحث غير المجردة من الخلفيات والأفكار والميولات والتأثيرات المتعددة... وبين الموضوع المطروح الذي يقول أشياء بعيدة عن دلالاته، فالمنهج بهذا المنظور يعتبر:

- وسيطاً بين الدارس والموضوع المدروس.

- كما أنه يحظى ويتميز بخاصية الاستقلال عنهما معاً، فهو باعتبار هذه الخاصية بمثابة الآلة في العلم المعاصر⁵.

وخلاصة الكلام أن المنهج هو "الطريقة التي تضمن للباحث أن يصل إلى الحق فيركن إليه ظاناً أنه الحق الذي يبحث عنه ويسعى إليه، سواء كان هذا الحق الذي يبحث عنه خبراً يريد أن

1- يوسف الخياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، عربي/الإنجليزي/فرنسي/لاتيني، دارلسان العرب، بيروت، دط، 1994، ص569.

2- مجدي وهبة، مصطلحات الأدب، الإنجليزي/فرنسي/عربي، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1994، ص569.

3- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1977، ج1، ص36.

4- عبدالرزاق هرماس، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب، كلية الآداب، جامعة القاضي عياض، بني ملال، المغرب، دط، دت، ص16.

5- عبد الغامدي، تشريع النص، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987، ص: 72، 73.

يتبين صحته، أو أن يعلم مضمونه، أم أطروحة علمية يريد أن يعرف دلائل صحتها أو بطلانها¹، ومن هذه المعطيات وبهذه المفاهيم، لا تخلو أمة من الأمم لها تاريخ وثقافة وحضارة وفكر... من هذه المناهج، ولكن التفاوت يكون بين هذه الأمم من حيث نظرتها لهذه المناهج ودورها في تطوير الفكر وإعماله والاستفادة من إيجابياتها ورفض ما يضر... وفق الثوابت العقدية والدينية.

- إشكالات المناهج المعاصرة:

استعملنا لفظة "إشكالات" بدلا من استخدام لفظ "مشكلة" والفرق بين اللفظين ظاهر وواضح وجلي فالمشكلة تتميز بكونها يمكن الوصول بشأنها إلى حل يلغيها، فالمشاكل دائما ما تنتهي إلى حل، إلا بعض الاستثناءات فالناظر إلى المشاكل التي يصادفها الباحثون في العلوم الطبيعية بمختلف أنواعها، فهي غالبا ما تنتهي إلى نوع من الحلول آجلا أو عاجلا، لذلك قيل "إن الإنسانية لا تطرح من المشاكل إلا التي تقدر على حلها.

أما لفظ "الإشكالات" جمع "إشكالية" فهي من الكلمات المولدة في اللغة العربية، وهي ترجمة لكلمة «*Problématique*» فجزرها العربي يحمل جانبا أساسيا من معناها الاصطلاحي، يقال: أشكل عليه الأمر، بمعنى التبس واختلط، وهذا مظهر من مظاهر المعنى الاصطلاحي للكلمة، لأن الإشكالية في الاصطلاح العلمي المعاصر هي: "النظرية التي لم تتوفر إمكانية صياغتها، أو هي منظومة من العلاقات التي تنسج داخل فكر معين فردي أو جماعي، فهي مشاكل لا يمكن حلها منفردة، ولا تقبل الحل نظريا إلا في إطار عام يشملها جميعا.

لذا فالنقد الأدبي العربي الحديث والمعاصر يعيش توترا انتهى إلى أزمة بسبب التهافت على هذه المناهج الغربية دون تثبيت أو تريث وتروؤ، وتلقّ معقول ومقبول، فهذا التهافت اللامضبوط ولد أزمة أو إشكالية أو إشكالات تعددت مظاهرها، وتفرقت مفاهيمها، وتشبعت مناحيها، واختلفت طريقة تناولها، فأصبح حلها منفردة مستحيل، بل لا بد أن تحل هذه الإشكالات في إطار عام يشمل كل المظاهر والنواحي، وهذا ما دعا إليه كثير من النقاد والمفكرين، فالباحث في هذا الموضوع يجده متداول

1- محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ، ص: 60.

بكثرة في كتابات كتابنا ونقادنا وباحثينا، فقد تطرق إليه سعيد سمير حجازي في كتابه "إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر" و "المناهج المعاصرة في دراسة الأدب"، وتناوله خلدون الشمعة في كتابه "المنهج والمصطلح" وكتب عنه عباس الجراري كتابا بعنوان "خطاب المنهج" وغير ذلك من الكتب، والكثير من المقالات التي تناولت إشكالات المناهج النقدية على غرار الكاتب حسن المنيعي الذي كتب مقالين، الأول بعنوان: "أزمة المنهج في النقد العربي" والثاني "إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث" وكذلك "اللغة الثانية" لفاضل ثامر، وغير ذلك من المقالات، ناهيك عن ما عقد عن هذا الموضوع من ملتقيات وندوات ومؤتمرات وأيام دراسية... ورغم هذا التراكم العددي في الموضوعات المنجزة حول الإشكالية المنهجية في النقد الحديث والمعاصر، وما كتب وألف وما بذل من جهود، إلا أن هذا الموضوع لا يزال يشير النقاد، وهم في أمس الحاجة للمزيد من الدراسة والتمحيص والإثراء أكثر من أي وقت مضى، فسؤال المنهج في سياقنا الثقافي الراهن، لا يزال مفتوحا ومطروحا، لم يستفرغ حمولته بعد، ولم ينته إلى قرار¹.

وهذه الإشكالية لم تكن جديدة، بل هناك عوامل عديدة تكاثفت فيما بينها وساعدت على ظهورها، لتكون عقبة في طريق نمو وتطور الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر الذي ذاب في هذه المناهج الغربية الجديدة، وطبقها بآلياتها وتصوراتها مما أفقدنا ذاكرتنا وهويتنا وذاتنا العربية "مختلف الاتجاهات في نقدنا العربي الحديث والمعاصر-عامة- هي أصداء لتيارات نقدية أوروبية وبالتالي فهي أصداء كذلك لما وراء هذه التيارات من مفاهيم إبستمولوجية وإيديولوجيات².

1 عبد العالي بوطين، إشكالية المنهج في الخطاب العربي الحديث، مجلة عالم الفكر، ع2، 1، مجلد، 32، 1994، ص: 455.

2 عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، (تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة) المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص: 56.

- أسباب ظهور إشكالات المناهج:

هناك أسباب كثيرة، وعوامل متعددة ساهمت في إنتاج هذه الإشكالية وعملت على استفحالتها، ومن بين هذه الأسباب:

- الطريقة التي يتعامل بها النقاد مع الرؤى التي أنتجها الغرب وكيفية تطبيقها على النص الأدبي.
- إعطاء السلطة المطلقة للمنهج النقدي ليقول الشيء الذي يريده بدل النص الأدبي الذي غيَّب، رغم أن السبب عائد إلى طبيعته المعقدة "فهو بنية لغوية فنية منغلقة بالنظر إلى الشكل المجسد للعناصر اللغوية، ومنفتحة بحسب قدرات التأويل وعمق دلالات النص، ومرجعياته، ويصبح خطابا إذا انسلخ عن أصله وتجاوز حدوده فيستقبله قراء كثيرون، يفجرون طاقاته الكامنة كل بحسب محصله المعرفي وانتماءاته"¹.
- رغم الإفادة من هذه المناهج وتطبيقها على القصيدة العربية المعاصرة، إلا أنها زادت النص الأدبي غموضا، فبدل أن تكشف لنا عن خباياه وأسراره، زادت من انغلاقه من خلال اللجوء إلى المنحنيات البيانية، والأشكال الهندسية والإحصاءات وغيرها من الأدوات والآليات التي تستعمل مؤخرا في قراءة النصوص الأدبية، فكيف بالخطاب القرآني.
- كذلك اختلاف الثقافتين، العربية والغربية، وتباين المجتمعين، وكذا الفارق الزمني بين الحضارتين، فقد ظهرت هذه المناهج في أوروبا واستغرق ظهورها واكتماها قرابة ثلاثة قرون، وعند انتقالها إلى العالم العربي لم يتجاوز وجودها والعمل بها ربع قرن، والدليل أن بعض هذه المناهج في أوروبا تجاوزها الزمن، كالبنوية مثلا، ولم يعد لها أدنى اهتمام، بينما في العالم العربي لم تزل تدار حولها الدراسات والأبحاث وتحلل بها النصوص الأدبية.
- إضافة إلى ما يتعلق بذهنية القارئ العربي المتواضعة التي لا تمتلك كفاءة أدبية كافية، ولا أرضية نقدية قادرة على استقبال ما يفد إليها من الخارج، وفهمه والعمل به في تحليل النصوص الأدبية.

1- عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983، ص: 55.

• كما أن كثيرا من الأسباب يعود إلى طبيعة الخطاب النقدي الذي صمم لدراسة النص الأدبي الغربي أولا وموجه ثانيا إلى القارئ الغربي الذي توفرت له الأرضية النقدية المتمثلة في المصطلحات المستنبطة من ثقافته وواقعه وبيئته ومجتمعه، فإذا تلقف القارئ العربي هذه المناهج دخل في حالة "اغتراب" وعزلة وكل ذلك بسبب اندفاع غالبية النقاد في الثمانينيات إلى محاكاة نموذج الثقافة الغربية، دون تحديد للمدلول في بنية اللغة والثقافة العربية¹.

أضف إلى ذلك عدم تحديد وضبط المصطلحات النقدية المترجمة، فهي تختلف في مدلولاتها ومعانيها من لغة إلى أخرى وهذا راجع لاختلاف الترجمة.

ومن الصعب جدا ضبط وتحديد المنهج العلمي المتبع في التعامل مع الخطاب القرآني، وليس من اليسير في بحث كهذا أن نتقصى كل مسائل الخلاف التي تثيرها كتابات هؤلاء من مستشرقين ومفكرين وفلاسفة وعلمانيين..، فإذا كان الواحد منهم يغير أفكاره وأراءه ويوظف أكثر من منهج وآلية، فكيف هؤلاء على اختلاف منطلقاتهم وخلفياتهم الفكرية والعقدية والفلسفية، لذا اقتصرنا على أهم القضايا الأساسية (التي نصل معها إلى الإجابة على بعض الأسئلة) التي طرقتها وأثاروها وحاولنا الإجابة عليها من خلال الحكم على التزام هؤلاء بأسس البحث العلمي، ومدى صدق وموضوعية النتائج التي توصلوا إليها، وهل التزموا بالمنهج الذي رسموه، وهل انطبقت على كتاباتهم شروط البحث العلمي، وهل اعتمدوا على المصادر المتخصصة أم انتقوا المصادر التي توافق نتائجهم وتخدم توجهاتهم، وهل بنوا نتائجهم على أسس علمية، وأدلة قطعية أم بنوها على ضرب من الخيال والفرضيات والمغالطات؟ وهل قرؤوا التفاسير التقليدية في سياقها العام، أم اقتطعوا منها ما يريدون من دلالات، هل جمعوا المعلومات من مظاهرها، أم أخذوا من كل مصدر ما يخدم نتائجهم، وهل تحليلاتهم ونقدتهم مبني على أدلة وبراهين علمية وتاريخية وحجج، هل تعاملوا مع النصوص بموضوعية؟ أم تعسفوا في فهمها لإثبات فرضياتهم ومقدماتهم، هل عاجلوا وفحصوا الأدلة المضادة أم أنهم أهملوها وتجاهلوها؟ ومهما يكن فإن بعض ما يوجه للقرآن الكريم من المطاعن يصدر عن دسياسة مغرضة أو عن جهل أو عن خلل في المقتضيات المنهجية للبحث العلمي، فإنه يكون من الواجب التصدي لهذه الأمور والمغالطات، والكشف عن زيفها، وتصحيح أخطائها وهفواتها، إظهارا للحقيقة، وحيلولة دون

1- سمير سعيد، مشكلات الحداثة في النقد العربي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط1، 2002، ص: 41، 42.

أن يهون القرآن في النفوس، فلا يكون له فيها تأثير كبير، وهذا الواجب الذي قام به كثير من العلماء، وقامت به المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» حيث نشرت سلسلة كتب بالعربية والإنجليزية والفرنسية، منها كتاب "القرآن الكريم: دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن" هذا الكتاب الذي يتبع بالتصحيح ماورد في دائرة المعارف الإسلامية من الأخطاء المتعلقة بالقرآن الكريم، وهو الكتاب الثاني في سلسلة "تصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة.

وظهرت بعد ذلك موسوعة أوروبية جديدة متخصصة في الطعن في القرآن الكريم ونشر الأباطيل والشبهات عنه، هي موسوعة «موسوعة القرآن Encyclopedia of Quran» الصادرة عن دار النسر الهولندية (إ.ج.بريل E.J BRILL) بإشراف المستشرقة الكندية (جين ماك أوليف JANE MCAILIFFE) وتقع في ستة أجزاء، وقد جمعت هذه الموسوعة بين دفتيها من الافتراءات والأباطيل على القرآن الكريم مما فاضت به كتابات المستشرقين المتقدمين والمحدثين من الطعون والشبه¹.

-تعدد القراءة المعاصرة للخطاب القرآني:

القراءة المعاصرة للخطاب القرآني ليست صيغة واحدة منتظمة في مضمونها ومحتواها على الدوام، كما ليس لها شكل ثابت يعبر عنها في كل وقت، فهي تطرح تارة من خلال إشكالية الثابت والمتغير، ليقال: إن النص القرآني ثابت والحياة متغيرة، فكيف له أن يجاري الحياة المتغيرة؟ وتثار قضية أخرى عبر إشكالية فهم النص، لتكتسب صيغا متعددة منها ما هو كلامي يتمركز في السؤال الآتي: كيف نقرأ القرآن بوصفه نصا مقدسا؟ ومنها ما هو منهجي يعبر عنه بأشكال متعددة، منها: كيف نقرأ النص؟ هل نقرأه بفصله عن واقعه مطلقا أم بوصله مع واقعه تماما؟

لقد تعاطى السابقون مع النص القرآني من خلال مركباتهم الذهنية ومكوناتهم الثقافية وميراث عصرهم، فلماذا لا يجوز لنا أن نفعل الأمر نفسه؟ هذا ما يريد بعضهم أن يخلص إليه، عبر هذه المداخل للمعاصرة، فالقرآن الكريم وإن كان بحد ذاته نصا ثابتا إلا أن فهمه سيال متغير يتجدد على الدوام، ومن ثم فإن من حق كل عصر أن ينتج فهمه القرآني الخاص به، بعيدا عن الزامات بقية

1-رسالة القرآن، نخبة من الباحثين، إعداد إدارة البحوث والدراسات الإسلامية قطر، ط1، 1431هـ/2010م، ص: 22-

العصور، بما في ذلك عصر الصحابة والتابعين وميراث السلف، من دون أن يعني ذلك بالضرورة تجاوز الدلالات الوضعية المباشرة لعصر النص ذات الصلة بقواعد اللغة وقيود النزول والقطعي الثابت... وغيره مما نفتحته علوم القرآن على مر العصور.

على مستوى آخر، تطرح مقولة المعاصرة، ويراد منها ضرورة التوفر على أسلوب تفسيري جديد يراعي الذهنية الموجودة ومستوى الثقافة العامة في مجتمعاتنا، ويأخذ قضايا الواقع بنظر الاعتبار.

كما يلقي الفكر الآخر بظلاله على المسألة حين يجعل المعاصرة ضدًا للنص القرآني بوصفه نصًا تاريخيًا، لينتهي إلى القول: صحيح أن القرآن لبي حاجات عصره واستجاب لها في نزوله، لكن لماذا نتنظر منه الاستجابة لحاجات عصرنا؟ بمعنى أن القرآن، نص تاريخي يرتبط ببنيات عصره الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحالة الناس الحضارية في ذلك الوقت.

ثم إلى جوار ذلك صيغ كثيرة أخرى تعيد إنتاج مفهوم المعاصرة القرآنية على الدوام، وهي تخرج به من أحشاء بواعث كلامية وتاريخية ومنهجية، فضلًا عن إسقاطات الثقافة الحديثة، ما يسمح بتعدد معنى المعاصرة، لا فرق بين ما ينبثق من داخل فضاءات الفكر القرآني أو الإسلامي عامة وبينما ينطلق من فضاءات الفكر الآخر¹.

- آليات توحيد اختلاف الاتجاهات في فهم الخطاب القرآني :

لقد كان فهم السلف للقرآن الكريم موحدًا في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك نظراً لامتلاكه سلطة روحية جعلت المسلمين يجمعون على شرعيتها، وبعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - ، اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في فهم القرآن الكريم، واختلف المسلمون من بعدهم، نظراً لعوامل عدة، سياسية واجتماعية مرت بها الدولة الإسلامية آنذاك، خصوصاً مع نهاية الخلافة الراشدة وبداية الدولة الأموية، حيث برزت إشكالية فهم القرآن الكريم بحدة مع ظهور اتجاهات مثلتها الفرق الإسلامية من سنة وشيعة وخوارج ومعتزلة وحتى صوفية، ومازال هذا الاختلاف في الفهم، يؤثر في وقتنا الحالي المتميز بظهور ظواهر جديدة وأحداث معاصرة، تلزم على المسلمين التوحد في فهم القرآن، الذي لا مفر منه اليوم لمواجهة المشاكل التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية وضمان توحيدها مستقبلاً، لكن مع هذه الظواهر المستجدة - وأمام هذه الفرقة في الفهم - جعلت المسلمين يقعون في جدلية يصعب الخروج منها وهي جدلية النص والواقع، أو بعبارة أكثر وضوحاً جدلية الخطاب

1- جواد على كسار، المعاصرة القرآنية، ص: 58.

والممارسة، فهل من الممكن أن نؤسس لآليات تجمع المسلمين - على اختلاف اتجاهاتهم - على أرضية مشتركة لفهم القرآن؟ وإذا كان كذلك فما هي الآليات أو الضوابط التي تقرب بين فهم الاتجاهات المختلفة؟

في هذا الإطار جاء يأتي المبحث المواليين شروط وضوابط القراءة المعاصرة للخطاب القرآني.

المبحث الرابع: شروط وضوابط القراءة المعاصرة للخطاب القرآني:

الدارس لمجموع مشاريع الدراسات الحديثة، والقراءات المعاصرة للنصوص الدينية عامة والخطاب القرآني بخاصة، يلاحظ أن أغلب هذه الدراسات على اختلافها وتنوعها وتعدد مناهجها وآلياتها، إلا أنها تنطلق من منطلق الإساءة لهذه النصوص، واعتبارها المعوق الوحيد في طريق تطور الأمة ونهضتها، وأغلب هذه الدراسات والقراءات والمشاريع نظرت إلى القرآن كأنه خطاب بشري تجاوزه الزمن، أولاً يصلح إلا للزمن الذي نزل فيه، وبعض الدراسات اعتبرته نصاً تاريخياً أو نصاً فنيقياً، أو هو خليط ومزيج من الكتب المقدسة - التوراة والإنجيل - أو هو مجرد أساطير، أو هو خطاباً تراثياً، بل أن كثيراً من القراءات أنكرت كونه وحياً إلهياً، وطبعا هذه النظريات والقراءات والأفكار التي يروج لها أصحابها، هدفها الوصول إلى نتيجة يسيل لها لعاب أصحاب هذه القراءة الحديثة، لأن هذه المعطيات تنتج حتماً أن الخطاب القرآني تصبح له قابلية لأن يحلل ويفكك ويشرح ويشرح ويقبل منه ما يقبل، أي يصبح قابلاً للنقد والتعليق والتشكيك، فغاية هذه المشاريع هو إبعاد القرآن الكريم كلياً من حياة الناس وانشغالهم وحصره في القرون الأولى، واعتبار كل من فسره وشرحه وفق ضوابط التفسير، وقواعد الاجتهاد، وقبود اللغة، وشروط المفسر، وكل من نظر إليه وتعامل معه على أساس أنه نصاً إلهياً مقدساً متعالياً منزلاً، يختلف عن باقي النصوص، فهو لم يفقه الغاية منه، ولم يحسن التعامل معه، ولم يفهم قراءته بدءاً من الصحابي الجليل عبد ابن عباس (رضي الله عنه) مروراً بكبار الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين والعلماء وكبار المفسرين وانتهاءً بالطاهر ابن عاشور وابن باديس وغيرهم.

وعلى اعتبار ما سبق فنحن لسنا ضد الدراسات الجديدة أو المعاصرة للخطاب القرآني بل على العكس من ذلك فنحن بحاجة إليها، فتطور المجتمع والأمة، وظهور نوازل جديدة، وتغير معطيات ومتطلبات الحياة، ومواكبة العصر، كل ذلك يتطلب قراءات جديدة للنصوص الدينية، وفق ضوابطها المعهودة من علمائنا ومفسرينا، لا من سفهائنا من أصحاب اللهو و العبثية، لأن هذا الخطاب إلهي مقدس منزّه متعال يجب أن تتوفر شروط في كل من يتقدم لتفسيره وقراءته، خاصة من أراد أن يقرأ القرآن قراءة جديدة وعصرية و عصرائية فعليه أن يتحمل حملاً ثقيلاً، وأمانة عظيمة ومسؤولية كبيرة، لأنه يحمل هم أمة لا هم أفراد، كيف لا وهو يتعامل مع خطاب رب العباد، لذا يجب أن يكون المتقدم لقراءة النص القرآني مستوفياً لجميع الشروط العلمية الحاكمة لقواعد النظر في

القرآن الكريم، لأن تفسير القرآن الكريم وشرحه ودراسته وقراءته تعتبر عملاً كاملاً ومتكاملاً، له أسسه وضوابطه وقواعده ومتطلباته، ولا يقتصر فقط على التفسير وإبداء الرأي، وإنما يتطلب توفر علوم عديدة بالإضافة، إلى أخلاق رصينة، وعقيدة سليمة، وأفكار سديدة، و انشراح صدر، وسعة فهم، وغزارة علم، فلا يتصور أن يتقدم لقراءة الخطاب القرآني رجل لا يصلي ولا يعرف أين القبلة وصاحب خمر وحشيش وهو وعبث، ويطلب بقراءة النص القرآني قراءة جديدة، فهذا لم يتوفر فيه شرط الأخلاق والانضباط الإسلامي، ناهيك عن التقوى والإيمان والاستقامة .

لذلك فهناك ضوابط وشروط وقواعد يجب مراعاتها أثناء قراءة القرآن الكريم، بعضها يتعلق بالقارئ المقدم على قراءة النص القرآني، والبعض الآخر يتعلق بالخطاب القرآني نفسه¹.

القسم الأول:

1- ما يتعلق بالقارئ:

أ- العلم:

– العلم باللغة العربية: ولا بد لقارئ النص القرآني أن يكون عالماً باللغة العربية وعلومها معرفة تيسر له فهم خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز به بين صريح الكلام وغامضه، وظاهره ومجمله، وحقيقته ومجازه، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، ونصه وفحواه، ولحنه ومفهومه، قال الغزالي: « والتخفيف فيه أنه لا يشترط فيه أن يبلغ درجة الخليل والمبرد وأن يعرف جميع اللغة وأن يتعمق في النحو بل القدر الذي يتعلق بالكتاب والسنة ويستولي به على مواقع الخطاب ودرك حقائق المقاصد منه»². ويقول الشوكاني: « ولا يشترط أن يكون حافظاً لها عن ظهر القلب بل المعتبر أن يكون متمكناً من استخراجها من مؤلفات الأئمة المشتغلين في ذلك وقد قربوها أحسن تقريب وهذبوها أبلغ تهذيب ورتبوها على حروف المعجم ترتيباً لا يصعب الكشف عنه.

ولا يبعد الاطلاع عليه وإنما يتمكن من معرفة معانيها وخواص تركيبها وما اشتملت عليه من لطائف المزايا من كان عالماً بعلم النحو والصرف والمعاني والبيان حتى يثبت له في كل فن

1- ينظر: محمد ابن عبد الكريم رحمانى، قضية قراءة النص القرآني، د ط، 1430هـ/2009م، ص: 108 وما بعدها.

2- أبو حامد الغزالي، المستصفي من علم الأصول، تحقيق: حمزة ابن زهير حافظ: طبع شركة المدينة المنورة للطباعة، ج1، ص: 351، 352.

من هذا الملكة يستحضر بها كل ما يحتاج إليه عند وروده عليه فإنه عند ذلك ينظر في الدليل نظراً صحيحاً ويستخرج من الأحكام استخراجاً قوياً ومن جعل المقدار المحتاج إليه من هذه الفنون هو معرفة مختصراتها أو كتاب متوسط من المؤلفات الموضوعية فيها فقد أبعده، بل الاستكثار من الممارسة لها والتوسع في الاطلاع على مطولاتها مما يزيد المجتهد قوة في البحث وبصراً في الاستخراج وبصيرة في حصول مطلوبه والحاصل أنه لا بد أن تثبت له الملكة القوية في هذه العلوم وإنما تثبت هذه الملكة بطول الممارسة وكثرة الملازمة لشيخ هذا الفن، قال الإمام الشافعي: " يجب على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده في أداء فرضه " قال الماوردي: " ومعرفة لسان العرب فرض على كل مسلم من مجتهد وغيره"¹.

- العلم بالقرآن الكريم:

ومعرفة القرآن الكريم بل وحفظه أمر ضروري لقارئ النص قصد الاستدلال والاستنباط وإدراك الفهم الصحيح السليم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ عَوْدُورَ حَمَاقٍ بَشَرِيٍّ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾²، فلا بد من معرفته، لأن من لا يعرف القرآن لا يعرف شريعة الإسلام، قال الشاطبي: « إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، ونبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاته بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه، لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها واللاحق بأهلها، أن يتخذها سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي، نظراً وعملاً لا اقتصاراً على أحدهما فيوشك أن يفوز بالبغيه، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين وفي الرعيل الأول»³ وقد خفف العلماء في ذلك على المجتهد بقدر خمسمائة آية مما يتعلق بالأحكام، وقد حكى الماوردي عن بعض أهل العلم أن اقتصار المفسرين على العدد المذكور

1- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: بن العربي الأثوي، الطبعة الأولى، دار الفضيلة 1421هـ، 2001م، ج1، ص: 251، 252.

2- سورة النحل، الآية: 89.

3- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تخريج: أحمد السيد علي، وشرح عبد الله درار، المكتبة التوفيقية القاهرة، ج3، 346.

إنما هو لأنهم رأوا مقاتل بن سليمان أفرد آيات الأحكام في تصنيفه فجعلها خمسمائة آية،¹ والذي رآه أن يكون المتقدم للنص القرآني عارفاً معرفة تامة وكاملة بالقرآن الكريم، وبكل موضع منه، بل يجب أن يكون حافظاً له، وإلا لما كان مرشحاً لقراءة النص القرآني لأنه قل أن يوجد في القرآن آية لا يستنبط منها شيء من الأحكام، وأن تمييز آيات الأحكام من غيرها متوقف على معرفة الجميع بالضرورة، ثم إن الذي لا يستطيع حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب لا يستطيع أن يأتي بشيء في اجتهاده وقراءته.

- العلم بالسنة النبوية: ويشترط في ذلك معرفة كلما صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان فعلاً أو قولاً أو تقريراً، لكون السنة هي المصدر الثاني من المصادر التشريعية وهي الأصل الثاني من أصول الأحكام الشرعية ولن يتسنى للمفسر فهم النص القرآني إلا من خلالها.

لذلك كل من تقدم للقرآن من غير زاد من السنة كان مصير تفسيره مجانبة الصواب.

وقد بين القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة مكانة السنة ودعا إلى الأخذ بها، وقارن بين طاعة الله وطاعة رسوله وطالب المسلمين بالاحتكام إلى رسول الله فيما شجر بينهم من خلاف، قال جل جلاله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧﴾² وقال عز من قائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥﴾³ وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾⁴ وقال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ٣٦﴾⁵، فالسنة هي المصدر التفسيري والتوضيحي المكمل للمصدر الأول وهو القرآن الكريم، فلا يتصور دارس للقرآن من غير سنة.

1- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ج1، ص: 250.

2- سورة الحشر، الآية: 07.

3- سورة النساء، الآية: 65.

4- سورة النساء، الآية: 59.

5- سورة الأحزاب، الآية: 36.

-**العلم بأحوال الصحابة وأقوالهم:** ومعرفة أحوال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوالهم شرط أساسي في قراءة النص القرآني بعد معرفة السنة النبوية المطهرة إذ أن الصحابة رضوان الله عليهم بلغوا في الأمة الإسلامية درجة التفوق فهم:

- تميزوا بمشاهدة الوحي ومعاينة نزوله ومعرفة القرائن والأحوال.

- تميزوا بالريانية، فقد كانوا موصلين للعلاقة بالله عزّ وجل متعلقة قلوبهم به.

- تميزوا باختيار الله لهم ليكونوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فهم خير القرون على

الاطلاق.

- تميزوا بالتطبيق الحرفي للإسلام والفهم العميق لما يتضمنه من مبادئ وأسس وأحكام.

- تميزوا بالصدق والتقوى وتعديل الله لهم في محكم كتابه وجليل خطابه.

-**العلم بالسيرة النبوية:** ويشترط في ذلك معرفة السيرة النبوية المطهرة للنبي صلى الله عليه وسلم، والاطلاع على جميع ما كتب فيها بدءاً من سيرة ابن هشام إلى كتاب المباركفوري، فسيرته وأخلاقه وتاريخ جهاده وغزواته ومعالم نبوته ومعجزاته وفضائله لها دور مهم في فهم القرآن الكريم ومعرفة أحكامه وتشريعاته.

-**العلم بعلوم القرآن:** وتعتبر معرفة علوم القرآن أمراً لازماً لمن يتقدم للنص القرآني قصد القراءة والتفسير والاجتهاد لصلة العلوم بالقرآن الكريم وارتباطها الوثيق به، فما نشأت إلا بسببه ولخدمته والعون على فهمه.

ومن يمعن النظر في علوم القرآن يقف على مقدار مدى تأثير القرآن فيها فلا يكاد علم منها من استهداء به واقتباس منه، يقول الزركشي: « وكل علم من العلوم منتزع من القرآن وإلا فليس لهبرهان»¹.

وهي علوم تتعلق بالقرآن وتتناول جوانب مختلفة منه بالشرح والتفصيل والتعريف من مبدأ نزوله وكيفية هذا النزول وأسبابه ومكانته ومدته وجمعه وكتابته ولغته وأسلوبه وإعجازه وقراءته وترتيب سور وآياته وطريقة ترتيله وأدائه وشروط تفسيره وبيان محكمه ومتشابهه ومكيه ومدنه وناسخه ومنسوخه وأقسامه وأمثاله وترجمته وسنده وغريب ألفاظه، فإذا تحقق كل هذا في المجتهد تحقق له بذلك:

- ثقافة عالية واسعة غزيرة تتصل بالقرآن الكريم وعلومه ومعارفه.

1- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 07.

-تعين على فهم القرآن وتفسيره وأخذ الآداب والأحكام منه، وتجعله قوي الاستدلال حسن الاستنباط، قوي الحججة، بعيد النظر، ثاقب الفكر، دقيق الملاحظة.

-**العلم بعلوم السنة:** وعلى رأس ذلك التمييز بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع وإتقان علوم الحديث فإن جاهله لا يعذر، فعليه بعلم طرق تحمل الحديث وأدائه وعلم غريبه ومختلفه ومشكله وناسخه ومنسوخه وعلم الجرح والتعديل ومعرفة الرجال وعلم مصطلح الحديث، فالصحيح وأقسامه والحسن وأصنافه والضعيف وأنواعه والموضوع وعلاماته، كل هذا واجب في حقه.

ثم بعد ذلك الحفظ فمن لا يحفظ ليس من أهله أو كما يقول ابن عدي عن هشيم من جهة النفيلي: « من لم يحفظ الحديث فليس من أصحاب الحديث » ومن لم يكن من أصحاب الحديث فهو بطبيعة الحال ليس من أصحاب القرآن، إذ الحديث والقرآن علمان لا ينفصلان، ولا يفهم القرآن من لم يتقن الحديث، ولا يفهم الحديث من لا يتقن القرآن.

وقد اختلف العلماء في القدر المطلوب حفظه من الحديث في المجتهد قال ابن العربي في المحصول ثلاث آلاف، وقد سأل أبو علي الضرير أحمد ابن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي؟ يكفيه مائة حديث؟ قال أحمد لا، قال: ثلاث مائة ألف؟ قال: لا، قلت ربما أربعمائة ألف؟ قال: لا، قلت خمسمائة ألف؟ قال: أرجو¹.

-**العلم بالمعرفة العامة:** كالعلوم الاجتماعية والعقلية والكونية وما يتصل بالثقافة العامة كالتاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والفلك والمنطق كل هذه العلوم وغيرها مما يساعد على تفسير القرآن الكريم تفسيراً يتصل بحياة الناس، وتمكنه من كشف ما يمكن أن ينطلي على من لم يدرك تلك العلوم أثناء تفسيره للقرآن الكريم.

-**القدرة العقلية:** وهي أن يكون المفسر أو المجتهد موهوباً ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال حسن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة عنده، عارفاً باختلاف الأقوال على حقيقته، إذ كثيراً ما يكون الاختلاف تنوعاً لا اختلاف تضاداً.

-**تحقيق المناط:** وهو امتلاك القدرة على تجريد النص من قيد الزمان والمكان والاجتهاد في تنزيله على واقع الناس ومعالجته لمشاكلهم، ولا يكون ذلك إلا بالفهم العميق لمقاصد الشرع والإمام بالواقع حتى يمكنه الفصل في قضايا ومسائل أثارت جدلاً فقهيًا كبيراً وواسعاً كقضية "نقل الأعضاء"

1- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ج1، ص: 251.

و "ختان الإناث" و "الاستنساخ" و "الرؤية الموحدة للهلال" و "التعامل مع البنوك وشركات التأمين" ومن ثم فعليه ألا يقف عند حدود التشريعات وإنما عليه بالفقه "التربوي" و "الاجتماعي" و "السياسي" و "الاقتصادي" و "المعرفي" بشكل عام ليغطي جميع شعب المعرفة وجوانب الحياة، فإذا تكلم الفلاسفة كان منهم على وعي وإذا تكلم الاجتماعيون والاقتصاديون كان منهم على علم وإذا تكلم العلمانيون والليبراليون و الماركسيون كان منهم على حذر وفطنة. وقد يعبر عن هذا الشرط بـ "البصيرة" أو "الحكمة" أو "الاجتهاد" أو "الملكمة".

-القدرة على الاستنباط: لأن نصوص الشرع تنحصر، والنوازل لا تنحصر، وأحكام الدين وتشريعاته تؤخذ بالاستنباط لا بالالتقاط، فليست القضية في حفظ النصوص، وسرعة استحضارها فقط، وإنما في تنزيل هذه الأحكام وقدرة الاستنباط في استخراج الحكم الذي يرضي الله ورسوله.

-معرفة مقاصد الشريعة: أي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية ولا يكون له ذلك إلا بالإخلاص أولاً، ثم بالغوص في العلوم الشرعية ثانياً، فهما وإدراكا حتى يتمكن من فهم السنن الكونية والدينية.

-فهم الواقع المعاصر: وهو الإمام الواسع بالوقائع الحاصلة والإدراك التام للتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الواقعة، ولا يجوز له بحال من الأحوال تجاهلها لأنه لن يكون موفقاً في قراءة النص لعدم إحاطته بالواقع الذي يعيش فيه.

ب-العقيدة:

-صفة المقصد: واضعاً في نيته أن يتقدم إلى النصوص الدينية قصد طاعة الله وإرضائه أولاً ثم إرشاد الأمة وهدايتها من مزالق الحياة ومشكلاتها حتى يعينه الله تعالى في أمره ذلك ويهديه لأقوم السبل وأحسنها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جُهِدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾¹، فالأعمال بالنيات والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام وإسداء المعروف لصالح الإسلام والتطهر من أغراض الدنيا ليسدد الله خطاه، والانتفاع بالعلم هو ثمرة الإخلاص فيه، ولن يفلح قوم أرادوا هدم الإسلام بقراءة القرآن.

-صحة الاعتقاد: فإن العقيدة له أثرها في نفس صاحبها وكثيراً ما تحمل ذوبها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار كتأويل الآيات المخالفة لعقيدته وتحميلها باطل مذهبه لإلزام الناس بطريقته ومذهبه.

1-سورة العنكبوت، الآية: 69.

وخير مثال في ذلك ما سقطت فيه الشيعة من سوء التفسير لآيات القرآن الكريم وتحريفها وتأويلها إرضاء لعقيدتهم الزائفة المضلة فمثلا يفسرون النور بالأئمة في قوله تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾¹ وبعلي (رضي الله عنه) في قوله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾² وبولاية علي (رضي الله عنه) في قوله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾³ ويفسرون الأنداد بأبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) في قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾⁴ وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾⁵ ويفسرون البقرة بأمناء عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾⁶.

وكل هذا وغيره موجود في تفسير "الكافي" للكيليني، وهو عندهم كصحيح البخاري عندنا، فواجب على المفسر والمجتهد أن يكون سليم العقيدة بينها، محبا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدءا بأبي بكر وانتهاء بأبي الطفيل، شاهدا لهم بالصحة والكرامة والعدول والرضى والرضوان، مقرا لهم بالتوقير والاحترام، ومحبا كذلك للتابعين وتابعيهم وكل من له صلة بالعلم والقرآن والسنة من قريب أو بعيد.

فلا بد أن يكون المجتهد أو المفسر على عقيدة حسنة سليمة صحيحة موفقة ترضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، درأ عن الله التشبيه والتعطيل، وتكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المحبة والتوقير، وتحارب ما يمكن أن يتسرب إليها من شبهات الطوائف الفاسدة والبدع الفكرية، وتحارب كل الانحرافات العقديّة والسلوكية والأخلاقية، فالعقيدة الإسلامية الصحيحة توافق الفطرة، وتحترم العقل، وتعطي للإنسان كرامته ومكانته، وتجعل منه موثق الصلة بربه سبحانه وتعالى، فلا

1-سورة التغابن، الآية: 08.

2-سورة الأعراف، الآية: 157.

3-سورة التوبة، الآية: 32.

4-سورة البقرة، الآية: 165.

5-سورة فصلت، الآية: 29.

6-سورة البقرة، الآية: 67.

يقوم بعمل لا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فالمؤمن في حذر ويقظة وفتنة طوال عمره، يحافظ على دينه وعقيدته ومذهبه من كل ما يمكن أن يشكل خطرا عليهما.

ج- الأخلاق: وهذا شرط أساسي كذلك إذ من كمال إسلام المرء حسن أخلاقه، وتعلم الآداب وحسن السمات مطلب شرعي قلّ في الناس في زماننا هذا من يلتفت إليه بل إن البلايا العظام لم تسقط على الأمة إلا من هذا الباب الخطير، حتى أصبحنا نرى أصحاب الخمر والنساء والسافرات وأصحاب المخدرات، واللهاو والمجون والفاشلين يريدون إعادة القرآن الكريم، ولم يستطيعوا هم أن يعيدوا أنفسهم إلى جادة الصواب، لذلك فالآداب والأخلاق والانضباط بالسلوك الإسلامي القويم شرط أساسي لا رجعة فيه، قال النووي رحمه الله: « قالوا: ولا يؤخذ العلم إلا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانتة وسيادته » وقال ابن المبارك: « طلبت العلم فأصبحت منه شيئا وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا»، قال إبراهيم النفعي رحمه الله: « كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته، وإلحاله، ثم يأخذون عنه » وقال أبو عبد الله الهالبي: « أدب العلم أكثر من العلم »، فالأدب شرط لحصول العلم، يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم فلا علم لمن لا أدب له، لذلك أفرد كثير من أهل العلم مصنفات مستقلة في بيان الآداب الشرعية مثل: " الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة " لابن جرير الطبري (ت. 311هـ) و" جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر (ت. 463) و" الآداب الشرعية والمصالح المرعية " لابن مفلح الحنبلي (ت. 763) وغيرها من الكتب النافعة الماتعة¹.

فإذا قيل هذا في العلماء الجبال واشترط فيهم وفي الأخذ منهم، وإلا كان الابتعاد عنهم واجب فما بالك بمن لا يفقهون من العلم شيئا يتقدمون إلى القرآن الكريم نجسة أبدانهم مخمورة عقولهم ننتة أفواههم فهؤلاء الأولى بكتاباتهم ومصنفاتهم سلب النفايات، فإذا كان شرط الطهارة لازم لمن يريد مس المصحف فإنه واجب ومحتم على من يريد قراءته.

ويشترط في الأخلاق:

1- محمد حسين يعقوب، منطلقات طالب العلم، ط2، 1422هـ، 2002م، توزيع المكتبة الإسلامية، القاهرة ص: 169.

-طهارة القلب: لقوله صلى الله عليه وسلم: «.. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»¹، فالقلب المظلم المشحون بالذنوب لا يستطيع استقبال الملائكة ولا يبقى فيه مكان للعلم الذي هو نور يقذفه الله في قلوب من أراد، قال ابن جماعة عليه رحمة الله: « أن يطهر قلبه من كل غش وذنس وغل وحسد وسوء عقيدة وخلق ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه »².

-التواضع للعلم والعلماء: وينبغي أن ينظر لمن سبقه في ذلك بعين الاحترام وقد كان السلف إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: « اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني » وقال الشافعي رحمه الله: « كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك تصفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها ».

-موالاة العلماء ومحبتهم: وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قال: « ليس من أمتي من لم يجعل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه »³، وقال صلى الله عليه وسلم: « إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط »⁴، فإن الأولى بالموالاة والأحق بالحب في الله بعد الأنبياء هم العلماء، قال ابن تيمية: « فيجب على المسلمين بعد موالاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وموالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم » إذ كل أمة قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فعلماءؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء رسول الله في أمته، والمحيون لمهمات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا »⁵.

1- أخرجه البخاري: حديث 52، ومسلم في كتاب المساقات، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

2- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية ط3، 1432هـ، 2009م، ص: 76.

3- رواه أحمد، ج5، ص: 323.

4- رواه أبو داود، 4843.4.

1- أحمد بن تيمية الحراني، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 08.

2- القسم الثاني: فيما يتعلق بالنص:

ويشترط في التعامل مع النص الديني في هذا القسم ما اشترطه علماء الأصول من قواعد ضابطة و شروط لازمة، وما أكده الفقهاء من منهج في التعامل مع القرآن في التفسير كتفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة وجعلها خطوات للتفسير الأمثل للنص القرآني وزيادة على ذلك يشترط فيه أيضا:

-المخاطب (الله): ويعني التعامل مع النص القرآني باعتباره نصا إلهيا من عند الله جل جلاله فيكون بذلك الله عز وجل هو المخاطب وكلامه يستقبل بالقبول والإذعان و الطاعة .

-الخطاب (النص): ويعني التعامل مع النص الإلهي على أنه وحي أراد الله من خلاله هداية البشرية وتوفيقها، لاعتباره نصا بشريا أو تاريخيا مات صاحبه ويحق لنا فيه ما نريد من التضعيف والتغيير.

-المخاطب به (محمد): ويعني بذلك الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلموكمال تبليغه لها، وأنه نقل إلينا القرآن بغير تبديل ولا تحريف أو زيادة أو نقصان، وعدم الإساءة لهذا الرسول العظيم، واحترامه وتويره وطعته معرفة فضله على هذه الأمة والبشرية سواء.

- الدعوة للنزعة القداسة عنالنصالقرآني:

من أهم صفات وسمات أغلب دعاة القراءة المعاصرة، هو افتعال المشاكل من لاشيء، واختلاق الأزمات الفكرية التي لا وجود لها أصلا، فقد كثرت في الآونة الأخيرة الأصوات الداعية إلى التخلي عن ثوابت الدين، والتشكيك فيه، بل وانتقاصه بتوجيه النقد إليه.

يقول محمد أركون:«نحن نريد القرآن المتوسل إليه من كل جهة والمقروء والمشروح منقبل الباحثين الاجتماعيين(المسلمين) مهما يكن مستواهالثقافي وكفاءاتهم العقائدية، أن يصبح موضوعا للتساؤلات النقدية المختلفة بمكانته اللغوية، التاريخية، والأنثروبولوجية و السيولوجية والفلسفية، ونطمع من جراء ذلك إلى إحداث نهضة ثقافية عقلية وحتى إلى ثورة تصاحب الخطابات النضالية العديدة من أجل أن تفسر منشأها ووظائفها ودلالاتها، ومن ثم من أجل السيطرةعليها»¹.

1-محمد أركون، الفكر العربي، قراءة علمية، ط2، 1996، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ص: 246.

ثم يشرح أركون دوره في نقد الخطاب الديني عموماً، والقرآن بخاصة، فيقول: «وهكذا _ أي بعد محاولة خلف الله_ بقي علينا مهمة صعبة ينبغي إنجازها ضمن منظور المساهمة في بلورة: "نظرية لتفسير الحكاية الأسطورية"»، ثم يشرح ويوضح قصده من ذلك فيقول: «إن مجموع هذه النصوص يتطلب معاملة مزدوجة: فأولاً: ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس، وثانياً: ينبغي القيام بتحليل التبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتمل على أساطير قديمة متبعثرة شكلاً ومعنى جديداً»¹.

ويقول أحمد عبد المعطي حجازي: «فلم يحدث أن تقاطعت طرقنا مع طرق الدين كمتقاطع الآن، ولم يحدث من قبل أن بدا لنا هذا الخطاب رثاً مستهلكاً عقيماً لا علاج له إلا بنقد جذري شامل، نتخلص فيه من ثمره الفاسد وأوراقه الصفراء وفروعه الجافة، وتقلب الأرض حولها لتستعيد صلتنا بجذوره»².

أما محمد عابد الجابري فله رأي خاص في موضوع نقد القرآن وهو أنه ضروري لكن لم يكن وقته بعد ، حيث يقول:

« لاالوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهنية، ولا درجة النضوج لدى المثقفين أنفسهم يسمح بهذا النوع من الممارسة الفولتيرية³ للنقد اللاهوتي، ولا السياسة تسمح، وبطبيعة الحال فالإنسان يجب أن يعيش داخل واقعه لا خارجه حتى يستطيع تغييره».

ثم يبين خطته التي رسمها في نقد الخطاب الديني بقوله: «هناك من يرى أنه من الواجب مهاجمة اللاعقلانية⁴ في عقور دارها وهذا خطأ في رأيي، لأن مهاجمة الفكر اللاعقلاني في مسلماته في فروضه في عقور داره يسفر في غالب الأحيان عن

1- محمد أركون، المرجع نفسه، ص: 250.

2- منى الشافعي، التيار العلماني الحديث، ص: 103

3- نسبة إلى فولتير، الفيلسوف المعروف، الذي اشتهر بنقد الفكر الكنسي.

4- يسمى المرجعية للقرآن والسنة باللاعقلانية.

إيقاظ، تنبيه رد فعل، وبالتالي تعميم الحوار ما بين العقل واللاعقل، والسيادة في النهاية ستكون خاضعة حتما للاعقل، لأن الأرضية أَرْضِيَّتُهُ، والميدان ميدانه، والمسألة مسألة تخطيط»¹.
ولا يتعد عن هؤلاء نصر حامد أبو زيد حيث يقول: "إن النص القرآني وإن كان نصا مقدسا إلا أنه لا يخرج عن كونه نصا؛ فلذلك يجب أن يخضع لقواعد النقد الأدبي كغيره من النصوص الأدبية"².

هذه قطرة من بحر كلام دعاة القراءات المعاصرة ونظرتهم للخطاب القرآني، وللمناهج الكلاسيكية القديمة، بل هذه نظرتهم للنص الديني عموما، وإن اختلفت من كاتب إلى آخر، وتباينت في طرق وكيفية إحداث التغيير المنشود والمأمول، من مفكر إلى مفكر، ومن ناقد إلى غيره، إلا أنها تتفق أوتكاد، على ضرورة إعادة النظر في هذا الخطاب القرآني وإخضاعه للدراسة والنقد والتحليل والتفكيك، مثل بقية النصوص الأدبية، والذي يتمعن في هذه الأقوال يرى إقرارهم بأن نقد الدين والوحي والشريعة أمر خطير وشنيع وغير ممكن في مجتمع محافظ متمسك بدينه وقيمه ويعظم الشعائر الدينية ويؤمن بعصمة الشريعة وبأنها من عند الله، لذا فهم يخططون ويقتربون بحذر من هذا الأمر، فهم يعلمون أن إنسان سوي الفطرة سليم العقل، صادق الإيمان، صافي العقيدة، لا يؤمن ولا يعتقد ولا يصدق بأن في كلام الله عز وجل نقضا فيتمم، أو خللا فيقوم، أو تعارضا فيبين، أو تناقضا فيوضح، أو خطأ فيصحح، أو إشكالا فيزال، أو ثغرات فتستدرك، بل هو وحي إلهي منزه متعال مقدس كامل وتام، وعام وشامل لاتنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائب، لا يمله العلماء، ولا يشبع منه الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد.

1- محمد عابد الجابري، الموازنة بين التراث والحداثة، مجموعة من المؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دط، دت، ص 259.

2- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، ط4، 1998، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ص: 24.

الفصل الثالث

الخطاب القرآني ومناهج تحليله

وفيه خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: الخطاب الأدبي.

المبحث الثاني: الخطاب والنص.

المبحث الثالث: الخطاب القرآني عالميته، تجلياته.

المبحث الرابع: مناهج تحليل الخطاب القرآني.

المبحث الخامس: تداعيات تطبيق المناهج المعاصرة في فهم

الخطاب القرآني.

المبحث الأول: الخطاب الأدبي

مما لا شك فيه أن مفاتيح العلوم، مصطلحاتها، فبواسطتها يتوصل الباحث إلى منطق العلم، ويتوغل في مشاربه، وينهل من حياضه... وكلما اتسعت دائرة الحقل المعرفية والعلمية صعبت محاولة ضبطها، وتحديد وظائفها ومعرفة مرجعياتها المختلفة، ولعل من بين المصطلحات التي تداولها الدارسون، وتناولها الباحثون، مصطلح "الخطاب" (Discours)، هذا المصطلح اهتم به القدماء والمعاصرون، فقد أولاه أسلافنا عناية ودراسة واهتماما، وهذا انطلاقا من مرجعياتهم الفكرية والعقدية، خاصة أن هذا المصطلح "الخطاب" وثيق الصلة بحقول معرفية أخرى كالخطاب القرآني وأصول الفقه وعلم الكلام ومصطلح "النص" (TEXTE) مثلا..،

ونسعى من خلال هذا البحث إلى تحديد وإبراز وإظهار وبيان الخلفيات الفكرية، والمنطلقات الإيديولوجية لدى علمائنا العرب -القدامى والحداثيين- في ضوء قراءاتهم وتحليلهم للخطاب عموما والخطاب الديني بوجه خاص، وهذا من خلال ما جادت به قرائحهم، وحوثها كتبهم وجمعتهما رسائلهم ومدوناتهم.

ولكن في هذا البحث نقف عند الخلفيات الفكرية والمذهبية التي انطلق منها علماءنا المسلمون في تحليل الخطاب، على اختلاف انتماءاتهم المذهبية وتنوع مشاربهم سواء أكانوا أشاعرة أم معتزلة، فقهاء أم مفسرون، أم أصحاب مدرسة الحديث، أو مدرسة الرأي، أم فلاسفة أم نحاة... فمن خلال ما كتبوه وجمعوه ودونوه، يظهر أثر انتمائهم الفكري والعقدي في دراساتهم المتنوعة للخطاب.

ويعتبر الحديث عن الخطاب أو الخطابات من الأحاديث المهمة، لأنه يتناول مفاهيم تساعد على بناء التصور الأمثل لطبيعة التواصل البشري ومحاصرة الكم الأوفى من خصائصه وقوانينه التي هي دأب كل باحث في هذا العصر، ومن هذا المنظور تتوجه كل الأبحاث إلى محاولة الإمام بما توفر من مدونات خطابية، حتى صار بالإمكان أن نسمي كل ما يدخل في إطار التواصل البشري نوعا من أنواع الخطابات، سواء كان لذلك أصواتا ملفوظة أو إشارات أو كتابات أو رسوما أو صورا، ويمكننا زيادة على ذلك أن نعتبر السيناريوهات الفيلمية نوعا من أنواع الخطابات، إذن هناك نوع من الهروب من إمكانية التحديد عند أي محاولة للتصنيف، نظرا لتناسل الأنواع في الخطابات، وهذا التنوع والتباين يعود بطبيعة الحال لاختلاف وجهات نظر النقاد والباحثين ومنظري تحليل الخطاب وللولوج

إلى الأبعاد التي هي من حدود الخطاب لا بد لنا أن نمر عبر مفهوم الخطاب حتى تتضح لنا الصورة أكثر.

- مفهوم الخطاب:

شغل مفهوم الخطاب _ ولا زال يشغل _ موقعا محوريا هاما في جميع الأبحاث والدراسات التي تهتم بتحليل النصوص، فالخطاب وسيلة تعبيرية منتجة عن طريق العلامة اللغوية، تتيح للإنسان التعايش والتواصل مع مجتمعه، ومشاركة الآخرين، والاندماج معهم، فهو فعالية اجتماعية قادرة على استيعاب الأنساق الحضارية وتصويبها وتقويمها وتطويرها، وهذا ما يظهر بشكل واضح في مجال التعبير اللغوي والأدبي، أما في غيره فقد ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية، كما هو الحال في التمثيل الصامت، أو الرسم الكاريكاتوري، أو الخطاب الإعلاني التجاري....

وإذا أردنا أن نحدد مفهوم مصطلح "الخطاب" لغويا، نجد أن مدلولاته اللغوية تتزاحم وتتشابه، أو تكاد، لذا يجب علينا أن نستخلص بعض المفاهيم التي من شأنها أن تخدم بحثنا، وحتى لا نقع في الحشو والتكرار علينا أن نعتمد على بعض المفاهيم اللغوية قديما وحديثا.

1-الخطاب لغة: كلمة "خطاب" كما يقول علماء اللغة هي أحد مصدرى "الفعل" خاطب، يخاطب، خطابا، ومخاطبة.

يقول ابن منظور: "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبك بالكلام مخاطبة وخطابا"¹، ويقول الجوهري في معجمه الصحاح: «خطب: الخطب: سبب الأمر، نقول: ماخطبك، وخطبت على المنبر خطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وخطبت المرأة خطبة بالكسر، والخطيب الخطاب...»².

ويقول الفيروز آبادي في القاموس المحيط: "الخطب الشأن والأمر، صغر أو عظم، ج: خطوب، وخطب المرأة خطبا وخطبة وخطيبي بكسرهما، واختطبها خطبه وخطبته، وخطيباه وخطيبته هو خطبها، بالكسر، ج: خطاب...وفصل الخطاب: الحكم بالبينة، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق ب: أما بعد:"³

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة(خ، ط، ب) دار صادر، ط1، ج4، بيروت، د.ت، ص: 135.

2- أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ص: 327.

3- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 478.

وورد لفظ "الخطاب" في المصباح المنير للفيومي بمعناه: "خاطبه مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسماع، ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرهما باختلاف معنيين فيقال في الموعدة خطب القوم... قال خطبة بالضم، وهي فعلة بمعنى مفعولة، نحو نسخة منسوخة وغرفة منماء بمعنى مغروفة، وجمعها خطب مثل: غرفة وغرف، فهو خطيب والجمع خطباء، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم"¹.

والتأمل للدلالة مصطلح الخطاب من خلال هذه التعاريف، يجد أنها لا تخرج عن معنيين اثنين هما: الحدث المجرد من الزمن، أي حدث الخطاب، والدلالة على المسمى، أي ما يخاطب به، وبهذا فالمعنى التواصل يبقى حاضرا في الأمرين معا، لأن اعتبار الكلام خطابا حال انجازه يركز على هدفه التواصلية و الإبلاغي بين الأفراد.

وقد ورد مصطلح الخطاب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۚ﴾²، وكذلك في قوله عز وجل: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنزَلْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ۚ﴾³، وهو عند علماء التفسير والبلاغة باعتبار الإضافة هنا، يحيل إلى مستوى عال من مستويات التخاطب فقد أفضى هذا المصطلح إلى معان كثيرة ومتعددة، سواء في الفكر العربي أو الفكر الغربي نتيجة لتعدد مجالاته واختصاصاته، فهذا المصطلح مرتبط تمام الارتباط بدلالته على فعل التواصل، حيث تحيل كل عملية خطابية على عناصر عديدة للتواصل تتمثل في المتخاطبين، وسياق الخطاب ومقاصده⁴.

1- أحمد بن محمد على الفيومي، المصباح المنير، تحقيق: يحيى مراد، مؤسسة المختار، ط1، 2008، ص: 106.

2- سورة ص، الآية: 23.

3- سورة ص، الآية: 20.

4- لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ/2014م، ص، ص72، 73.

2- الخطاب في الاصطلاح:

يقصد بالمصطلح في عرف البحث العلمي، هو ما تم الإجماع والاتفاق على مختلف جزئياته، بحيث يكون مفهومه جامعا مانعا، ولا يحصل هذا المفهوم ولا يتحقق إلا بتظافر عدد من التعريفات من مناهج عديدة، لأن التعريفات مهما تباينت واختلفت، أو تقاربت فهي تشكل أرضية لمفهوم ما، ومفهوم الخطاب "يتأرجح بين النسخ عن الغرب، واتخاذ مفاهيم أساسا للحكم على النص العربي، وبين الانطلاق من المفهوم الغربي وصياغة مفاهيم جديدة تتساقق والنص العربي المدروس، وفي الحالتين يصر إلى استبعاد الأساس العربي الذي رسم حدودا لمفهوم الخطاب لا تبعد في جوهرها عن المفهوم الغربي الحديث له"¹، لذلك نرى أن دائرة ضبط هذا المفهوم تضيق وتتسع حسب احتوائها لحقول معرفية عديدة، لذلك "يجب أن نفهم الخطاب فمدلوله الأوسع، باعتباره كل تلفظ يفترض متكلما وسامعا، وعند الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة معينة"².

ونحاول أن نطرح عددا من التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الخطاب:

يقول سعيد يقطين: "لتحديد الخطاب وتحليله التحديد والتحليل المقبولين، علينا أن نحدد الاتجاه الذي ننتمي إليه والمجال الذي نشغل فيه وفق أسئلة ابستمولوجية محددة، نجيب من خلالها عن هذه الأسئلة: لماذا هذا التعريف؟ ماهي الأدوات والإجراءات المناسبة؟؟ إلى ماذا ينبغي الوصول؟ وكيف؟؟..."³، ويذهب الباحث رابح بوحوش إلى أن نشأة الخطاب الأولى تعود إلى العالم النمساوي "فرديناند دي سوسير" عند حديثه عن الكلام فهو يقصد في معناه الخطاب، «فالكلام هو نتاج فردي كامل يصدر عن وعي وإرادة، ويتصف بالاختيار الحر، وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه انساقا للتعبير عن فكره الشخصي..."⁴.

ويعرف هاريس الخطاب بأنه: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية

1- مهى محمود إبراهيم العتوم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004م، ص: 20.
2 -Emile Benveniste-Problèmes de linguistique générale, T1,Edi Gallimard, Paris,1966,P :240, 241.

3- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط04، المغرب، 2005م، ص: 26.

4- رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، دط، عنابة، 2006م، ص: 71.

وبشكل يجعلنا نأمل في مجال لساني محض¹، ويذكر سعيد يقطين أن إميل بنفنست يعرف الخطاب "باعتباره الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"².

أما الباحث فرحان بدري الحربي، فيجمع مقولات مهمة قيلت في الخطاب محاولا استفتاء وجوه التطور الحاصل في المفهوم شأنه في ذلك شأن سعيد يقطين، حيث يقول:

"الخطاب مصطلح مرادف للكلام parole، بحسب رأي (دي سوسير) اللساني البنيوي، وهناك خطاب أدبي بحسب رأي (موريس).

-الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباث (المتكلم)، تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة، بحسب رأي (هاريس).

-هو وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية بحسب (بنفنست).

-مفهوم الخطاب يقابل مفهوم الملفوظ، في المدرسة الفرنسية، إذ أنهم يرون أن النظر إلى النص بوصفه بناء لغويا يجعل منه ملفوظا أما البحث في ظروف إنتاجه وشروطه فإنه يجعل منه خطابا.

-وهو نظير بنيوي لمفهوم الوظيفة، في استعمال اللغة بحسب رأي (تودوروف).

فهو: أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو ومستمع وعند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة كما يقول (بنفنست)³.

أما عبد الهادي بن ظافر الشهري فيعنيه من الخطاب الاصطلاح اللغوي، ويظهر ذلك جليا عند كل من "ديبورا شيفرون" و"جيفري ليتش" حيث يعتمد على وجهة نظرهما فيقول: "حد الخطاب أنه كل منطوق به، موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"⁴.

1- سعيد يقطين، المرجع نفسه، ص: 17.

2- المرجع نفسه، ص: 17.

3- فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، لبنان، 2000م، ص-ص: 39، 40.

4- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2003، ص: 39.

أما الباحثة خلود العموش في كتابها "الخطاب القرآني" فتعطي للخطاب تعريفا توصلها حيث تقول: "نجد أن الخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب"¹.

ويذهب أحمد المتوكل إلى نفس التعريف تقريبا فيقول: "يعد خطابا كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"².

ونلاحظ من خلال هذا التعريف ما يلي :

- أولا: تحييد الثنائية التقابلية جملة/ خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة.
- ثانيا: اعتماد التواصلية معيارا للخطابية.
- ثالثا: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة أو تركيب ..³.

والحقيقة أن مفهوم الخطاب أوسع وأشمل من الجملة، بل هو يأخذ مفهوما يتجاوز اللغة المنطوقة أو المكتوبة إلى الإشارات، يقول أبو البقاء الكفوي: "الخطاب: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه... فهو يطلق على العبارة الدالة بالوضع، وعلى مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إما الكلام اللفظي، أو الكلام النفسي، الموجه نحو الغير للإفهام"⁴.

يظهر من خلال هذا التعريف أن الخطاب يتحدد معناه المفهومي بناء على التلفظ أو على العلاقة بين طرفين: مخاطب ومخاطب، يقول محمد عبد الباسط عيد، في كتابه "النص والخطاب": "فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلي وشمولي، لا يتوقف على البعد اللساني وحده، ولا على البعد الاجتماعي والتاريخي الذي يعتبر النص انعكاسا لحركة الدلالة في التاريخ، كما لا يقتصر على البعد التداولي المعني بالتواصل في موقف محدد، ولكنه يمازج بين هذه الأبعاد نظرا وتطبيقا"⁵.

1-خلود العموش، الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، ط01، الأردن، 2008م، ص: 24.

2-أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ط01، المغرب، 2000م، ص: 24.

3-سعد بولنوار، آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، رسالة دكتوراه جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012م، ص: 59.

4-أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، دط، لبنان، 1998م، ص: 419.

5-محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2009م، ص: 17.

وبناء على ما سبق يتضح لنا أن "الخطاب يأخذ مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية الأخرى كالتالي:

- بالنسبة للجملة: يعتبر الخطاب وحدة فوق الجمالية.
- بالنسبة إلى الملفوظ: يشكل الخطاب وحدة تواصلية مجموعة بظروف إنتاج معينة وتشير إلى جنس معين من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النص من جهة بنائه اللغوي يجعلنا نتكلم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفظ، بينما يكون تحليل ظروف إنتاج هذا النص حديثا عن الخطاب.
- بالنسبة إلى النص: يعتبر النص خطابا إذا نظرنا إليه مجموعا مع سياق إنتاجه.
- بالنسبة إلى التلفظ: يعد التلفظ حاملا نوعيا لسياق الخطاب، وعلى هذا فهو ضروري في اعتبار الملفوظ خطابا¹.

هذه باختصار أهم المفاهيم المتعلقة بمفهوم الخطاب، الذي له مرتكزات ومحددات ومرجعيات، ينطلق منها الباحثون والمفكرون والنقاد، فما هي مرجعية تحليل الخطاب

3- مرجعية تحليل الخطاب:

نقصد بـ "المرجعية" الأصول الفكرية والمعرفية لنظرية الخطاب، ذلك أن العرب اعتزوا بمذاهبهم أيما اعتزاز، وراحوا يدعون إليها بشتى السبل، عاكسين فكرهم في تحليلاتهم للظواهر اللغوية وتفسيرهم للخطاب، بخاصة الذي يفرض وجود مخاطب ومخاطب وخطاب، وبينهما أداة نقل وإعلام، هي اللغة أو نظام الإشارات، وهي ظواهر اصطلاحوا عليها باسم "ظواهر التخاطب" فاللغة وجدت للتعبير عن أغراض المتكلمين، وتبليغ مقاصدهم للمخاطب.

قال ابن جني (ت. 392هـ): "أما حدها (فإنها أصوات) يعبر كل قوم عن أغراضهم"².

وإذا أردنا أن نقوم بإعادة قراءة تراثنا اللغوي قصد فهمه في ذاته واستجلاء أبعاد وعناصر التخاطب عند علمائنا، نتبع الجذور الفكرية والمعرفية والمذهبية لدى علماء العرب والمسلمين بعامة، حيث أن الانتماء الفكري والسياسي والعقدي والاجتماعي والديني عموما أسهم بقسط وافر في بلورة عملية التخاطب، وأثر في التوجيه العلمي لدى من يتبنونه، وقد انعكس هذا التعدد والتنوع المعرفي في

1- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011م، ص: 18.

2- ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ط1، 1999م، ص: 34.

كتاباتهم ودراساتهم، فحوته مصنفاتهم الضخمة التي بقيت محفوظة إلى يومنا هذا، والتي نحا فيها أصحابها منحى الموسوعية والتنوع في دراسة المادة العلمية وموضوعاتها، ومن ثم يجب أن تكون قراءتنا لمصنفات هؤلاء العلماء على أساس موسوعي، مراعين الانتماءات السياسية والمذهبية للباحثين - القدامى والمحدثين-، فكل عالم لغوي أو بلاغي أو متكلم أو أصولي أو ناقد...ينطلق من أصول مذهبية وفكرية، ويحاول أن ينتصر لها، ويدحض آراء وأفكار خصومه ومعارضيه ومخالفيه، ولا أدل على ذلك مما كان قائما من صراعات فكرية ومذهبية بين المعتزلة والأشاعرة، ظهر أثرها في دراساتهم اللغوية والنحوية والبلاغية، فالانتماء الفكري والعقدي، إذا طبيعة جبل عليها الإنسان، ومن أجلها يسعى بكل ما أوتي من قوة، وما أتيح له من فرص سانحة إلى نشر فكره عن طريق الكلمة أو التأليف، خاصة أن علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة لم تنشأ بمعزل عن علوم الدين والشريعة، فالنحو على سبيل المثال، ظهر نتيجة لشيوع اللحن في قراءة القرآن الكريم من لدن الأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام، مما دفع بالمخلصين والغيورين على هذه اللغة (لغة الضاد) في التفكير بإيجاد قواعد تعصم الألسنة من اللحن، وكان كذلك، فشاع هذا العلم _النحو_ وانتشر بين الناس، وأقبلوا على طلبه والغوص في أغواره والاستزادة منه¹.

كل هذه التعاريف التي سقناها، والتي استغينا عن ذكرها، وكذا مرجعيات ومنطلقات الكثير من المفكرين والكتاب..، تبين اختلاف وتباين الباحثين والنقاد حول تحديد وضبط مفهوم موحد لمصطلح الخطاب غير أن هذا المفهوم، يطرح انشغالات أخرى، عندما نأتي إلى مفهوم النص، وننظر في العلاقة التي تربط بينه وبين الخطاب، فهل الخطاب هو النص؟ أم بينهما فروق؟ وما هي؟.

1-فاتح زبون، أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي، كتاب المجلة العربية 164، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض 1431هـ، ص: 8-9-10، بتصرف.

- المبحث الثاني: الخطاب والنص:

توطئة:

مصطلحي الخطاب والنص من المصطلحات التي شغلت بال النقاد ودار حولها نقاش كبير بين الباحثين والمفكرين، فهي قضية نالت نصيبا كبيرا في الدراسات المعاصرة، لأنها بالفعل إشكالية اصطلاحية في امتداد كل مفهوم من حيث المعنى، وعلى الرغم من البحوث المتكررة التي أنجزها بعض الباحثين من أجل إيجاد تخريج علمي دقيق لهذه القضية، ورغم وجود بعض الآراء المنطقية والقوية والوجيهة، إلا أن ذلك لم يحل الإشكال بصفة نهائية، وهذا راجع أولا إلى طبيعة المصطلحين واتصافهما بالطابع الجدلي، وراجع ثانيا إلى عدم التمييز بينهما عند بعض الباحثين فيستعملون مصطلح الخطاب مكان النص، والعكس، كما أن بعض الباحثين ورغم تفريقهم بين المفهومين، إلا أنهم لم يهتموا بهما في فترة من الفترات، مما ولد شيئا من الغموض والضبابية حولهما، ونحاول في هذا المبحث أن نورد بعض الآراء التي تناولت هذين المفهومين وحاولت التمييز بينهما.

ونستغني هنا عن ذكر المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الخطاب، لأننا ذكرنا ذلك في المبحث الأول، ونتطرق لمفهوم النص، في اللغة والاصطلاح، ونلقي نظرة مختصرة عن هذا المفهوم، عند الفقهاء والأصوليين وفي الدرس اللساني الحديثي، لنلج مباشرة إلى الفرق بين هذين المصطلحين.

- مفهوم النص:

1- لغة: لفظة النص في اللغة هي مصدر، وأصله أقصى الشيء ومنتهاه، ويعني الرفع والظهور، وجمعه نصوص.. يقال في اللغة: "نص الشيء رفعه وأظهره، وفلان نص، أي استقصم سألته عن الشيء حتى استخرج ما عنده، ونص الحديث ينصه نصا؛ إذا رفعه، ونص كل شيء منتهاه"¹، وجاء في مقاييس اللغة: "النون والصاد": أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء، ومنه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه... ونص كل شيء منتهاه"².

ويقال: "نص المتاع: جعل بعضه فوق بعض"³، وبهذا فالنص يعني صيغة الكلام الأصلية

التي وردت من المؤلف أو الكاتب.

1- ابن منظور، لسان العرب، تح: مجموعة من الأساتذة، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م، ج7، ص: 42-44.

2- أحمد فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دارالجيل، ط1، 5/ص: 356.

3- أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1380هـ/1960م، ج5، ص: 472.

وتلك المعاني المعجمية للكلمة تنفي ما ذهب إليه البعض من كونها استعمالاً مجازياً وضع حديثاً لتأدية معنى (TEXTE) الفرنسية، أو (TAXTE)، الإنجليزية بمعنى الفقرات والجمل المكتوبة مؤلف من المؤلفين¹، يؤيد ذلك استعمالها في لغة الفقهاء والأصوليين قديماً للدلالة على المكتوب، ففي الأصول العربية يرتبط مفهوم النص بالرفع والوضوح، ولا يرتبط بمفهومه المتداول حالياً، باعتباره أداة لإنتاج المعاني، وبالتالي هناك غياب تصور عربي أصيل لمفهوم النص، وهو مفهوم مستعار من الثقافة الغربية حسب تصوره المتداول اليوم، لأن ما عرفه العرب منذ القديم، من نصوص شعرية ونثرية، وفهم لأصولها النحوية والبلاغية، كان مفتقراً إلى المصطلح كمفهوم إجرائي يحلل ويفهم في إطاره النص كشبكة من العلاقات، مستعينا بالأدوات والمناهج المعاصرة.

ففي اللغة الأجنبية كلمة "نص اللاتينية (TEXTUS) آتية من الفعل "نص (Taxtère) ومعناه بالعربية "نسيج" ولذلك فمعنى النص هو "النسيج" ومثلما يتم النسيج من خلال مجموعة من العمليات المفضية إلى تشابك الخيوط وتماسكها بما يكون قطعة قماش متينة و متماسكة، فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح "نص"² فالنص بهذا المفهوم هو نسيج وشبكة تجمع بين الكلمات والجمل والعلاقات...

2- اصطلاحاً:

النص في الاصطلاح العام: كلام مفهوم المعنى³، أو هو: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"⁴.

وينقل باقي التعاريف من أطروحة الفلسفة.

ونعرج الآن على تعريف النص في اصطلاح الفقهاء والأصوليين، وفي المعارف اللغوية الحديثة، وفي القراءات الفكرية المعاصرة.

1- ينظر: عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، مكتبة العلم، حدة، 1982/1402، ط1، ص: 43.

2- الصبيحي محمد الأحضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، ص: 19.

3- الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998/1419، ص: 908.

4- المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مجمع اللغة العربية، ط2004، ج4، ص: 926.

- مصطلح النص عن الفقهاء:

النص في مدونات الفروع الفقهية، يقصد به الدليل من القرآن أو السنة، وقد يراد به (لمفهوم مختلف) قول إمام المذهب أو أحد المجتهدين فيه، وإطلاق مصطلح النص على أقوال الأئمة لا يعني رفع أقوالهم واجتهاداتهم إلى مستوى نصوص القرآن والسنة في اتباعها، ولا يفهم منه أيضا الخلط بينهما، إنما هو استعمال لغوي فرضته الكتابة المذهبية لا غير، ولا مانع منه، ولا حرج في استعماله وتوظيفه، غير أن إنكار بعض الباحثين هذا الإطلاق، وتحفظ آخرين عليه، وامتنياز البعض منهم بتوظيفه لم يأت من فراغ ولم يكن اختلاف من أجل الاختلاف، بل جاء نتيجة لأقوال كثير من العلماء وتفسيرا لبعض النقول المشددة على الاتباع المذهبي كقول القاضي عياض في كتابه "ترتيب المدارك"¹ 63/1: "قال بعض المشايخ: إن الإمام لمن التزم تقاليد مذهبه، كالنبي صلى الله عليه وسلم مع أمته، ولا يحل له مخالفته" ومثل هذا لا يفهم منه تنزيل كلام الأئمة منزلة النص فمقصده تقييد المقلد بقول إمامه حتى لا يقع في محذور الانتقاء من الأقوال بالهوى"¹.

وأحيانا أخرى يطلق الفقهاء مصطلح النص كما هو عند الأصوليين، نرى ذلك عند كلامنا عن معنى النص في أصول الفقه.

وأما إطلاق مصطلح النص على لفظ الكتاب أو السنة فمشهور، وبه جاء تعريف ابن حزم للنص بأنه: "اللفظ الوارد في القرآن أو السنة المستدل به على حكم الأشياء"² وبين شيخ الإسلام ابن تيمية* استعمال النص بمعنى الدليل من القرآن أو السنة واختلاف دلالاته في الاستعمال الأصولي مقرا للاستعمالين جميعا، قال فيه: "ولفظ النص يراد به تارة ألفاظ الكتاب والسنة، سواء كان اللفظ دلالاته قطعية أو ظاهرة، وهذا هو المراد من قول من قال: النصوص تتناول أحكام أفعال المكلفين ويراد بالنص ما دلالاته قطعية لا تحتل النقيض:

1- للتفصيل أكثر ينظر: النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود، د. محمد عمارة، ص: 18.

*على بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد، فقيه، محدث، نشأ في الأندلس، جمع بين العلم والوزارة، وبرع في كثير من العلوم أيد مذهب داود الظاهري وأظهره، من مصنفاته: الخلى بالآثار، شرح الخلى في الفقه، الفصل في الملل والأهواء والنحل وغيرها، توفي (456هـ).

2- ابن حزم، الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام: دار الآفاق الجديدة، ط1983، 1403، 2، ج1، ص: 42.

-*أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، الدمشقي، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، كان آية في الذكاء وقوة الحججة، جاهد بسيفه وقلمه، وخلف للأمة حججا باهرة ومصنفات فاخرة توفي (728).

كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾¹ وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾² فالكتاب هو النص والميزان والعدل³.

ومنه قول الشوكاني* مؤيدا لحجية خير الآحاد⁴، وإن جاء بزيادة على نص القرآن أو نص الحديث القطعي: "ولا يضره أيضا كونه زيادة على النص القرآني أو السنة القطعية"⁵.

ومثال استعمال الفقهاء مصطلح النص بمعنى الدليل من القرآن أو السنة قول بعضهم: "ولانص في وجوب الغسل من النفاس"⁶، ومثال استعمالهم النص بمعنى قول إمام المذهب قول بعضهم: "وإمامة صاحب الهوى والبدعة مكروهة، نص عليه أبو يوسف* في الأمانى"⁷، وقال في البحر المحيطين ألفاظ الشافعي في تحرير المسائل: "يقال لألفاظه نصوص باصطلاح أصحابه قاطبة"⁸.

مصطلح النص عند الأصوليين:

النص في لغة الأصوليين: " لفظ مفيد لا يتطرق إليه تأويل"، وقيل هو "لفظ مفيد استوتظاهره وباطنه"⁹ وقيل هو: " ما يزداد وضوحا من المتكلم"¹⁰.

1- سورة البقرة، الآية:196.

2- سورة الشورى، الآية:17.

3- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 288/19.

*محمد بن علي الشوكاني، نسبة إلى هجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، برع في تحصيل العلوم، وتحققت فيه شروط الاجتهاد، من مصنفاته: نيل الأوطار، إرشاد الفحول، توفي (1250هـ).

4- الآحاد (كما في العدة لأبي يعلى 169/1): هو الخبر الذي لم يبلغ حد التواتر.

5- الشوكاني: إرشاد الفحول 153/1.

6- الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، شركة المطبوعات العلمية، ط1، 1327، ج1، ص38.

*أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، البجلي، الأنصاري، صاحب أبي حنيفة وأحد أقطاب مذهبه، كان كثير المال، عالما بالتفسير والحديث والفقه وأيام العرب توفي (182هـ).

7- المرجع نفسه، ج1، ص:157.

8- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، منشورات دار الكتب، ط1، 1414، ج1، ص:737.

9- الجويني: البرهان، 177/1.

10- أحمد بن أبي سهل السرخسي، أصول السرخسي، تحقيق:أبولوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف العثمانية، دت، حيدر، آباد، ج1، ص:164.

ومعناه أن النص يطلق على الدليل المقطوع بدلالته من غير احتمال ، لكن الإمام الشافعي يطلق مصطلح النص على ما يسميه الأصوليون الظاهر، لأن الظاهر عندهم هو المتردد بين أمرين وهو في أحدهما أظهر بخلاف النص الذي لا تردد في دلالته، وهذا ما فسره من جاء بعده بأنه استفاد من الدلالات اللغوية للمصطلح.

قال الجويني*:"فأما الشافعي فإنه الظواهر نصوصا في مجاري كلامه، وكذلك القاضي أبوبكر وهو صحيح في أصل وضع اللغة، فإن النص معناه الظهور، يقال نصّب الظبية إذا عنت وظهروتومنه المنصة لكرسي العروس التي تظهر عليه وتجلى، ونص الرجل في السير إذا أسرع فيه، وفي الحديث كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسير العنق فيأفاضته من عرفة في طريق المأزمين¹ فكلما وجد فجوة نص²."

ولخص الإمام الغزالي³ مفهوم النص في لغة الأصوليين فقال: " النص اسم مشترك يطلق فيتعرف العلماء على ثلاثة أوجه:

الأول: ما أطلقه الشافعي - رحمه الله - فإنه سمي الظاهر نصا، وهو منطبق على اللغة ولا مانع منه في الشرع...وحده حد الظاهر، هو اللفظ الذي يغلب على الظن فهم معنى منه من غير قطع، فهو بالإضافة إلى ذلك المعنى الغالب ظاهر ونص.

الثاني: وهو الأشهر ما لا يتطرق إليه احتمال أصلا، لا على قرب ولا على بعد؛ كالخمسة مثلا، فإنه نص في معناه، لا يحتمل الستة ولا الأربعة وسائر الأعداد...

الثالث: التعبير بالنص عما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل، أما الاحتمال الذي لا يعضده دليل فلا يخرج اللفظ عن كونه نصا فكان شرط النص بالوضع الثاني أن لا يتطرق إليه

* الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، إمام الحرمين، أبو المعالي، أصولي فقيه، متكلم أديب، من أئمة الشافعية، من مصنفاته: البرهان في الأصول، الأم، نهاية المطلب في الفروع، توفي (478هـ).

1-المأزم في اللغة المضيق، وقيل موضع الحرب، والمأزمان جبلان بين عرفات ومزدلفة بينهما طريق، وهو اليوم طريق معبد للمركبات.

2-الجويني، البرهان 279/1.

3- محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، الشافعي، حجة الإسلام، أبو حامد، برع في الفقه والأصول والخلاف والجدل، وكان قوي الحفظ حاد الذكاء، من مصنفاته في الفقه الشافعي، البسيط، والوسيط، والوجيز، والخلاصة، والمستصفي في الأصول توفي سنة (505هـ).

احتمال أصلا وبالوضع الثالث أن لا يتطرق إليه احتمال مخصوص، وهو المعتضد بدليل، ولا حرج في إطلاق اسم النص على هذه المعاني الثلاث، لكن الإطلاق الثاني أوجه وأشهر، وعن الاشتباه بالظاهر أبعد¹.

وأطلق الإمام الشافعي مصطلح (الخبر) مرادفا للنص؛ فالخبر من الكتاب هو النص القرآني والخبر من السنة هو نص الحديث النبوي، وتجده في غير موضع من كتابه الرسالة.

وغلب استعماله في حقول المعارف الإسلامية على المقروء من الكتاب والسنة باللسان العربي وهو وحده المقصود في هذا البحث.

النص في الدراسات اللغوية الحديثة:

تعريف النص في الدراسات الأدبية الحديثة مقدمة ضرورية للوقوف على مفهوم النص في القراءات المعاصرة؛ لما تقدمه هذه القراءات من جهود لإسقاط مفهوم النص في المجال اللغوي والنقدي الحديث على نصوص الوحي وكثرة ما أفادته من ذلك المجال تنظيرا وتطبيقا ثم رضيت به مدخلا نافذا لإجراء التجارب النقدية على نصوص الوحي.

والنص الأدبي هو ما كتب شعرا أو نثرا أو قصة أو ترجمة لظاهرة تاريخية أو بشرية تصف حالا من أحوال الإنسان وتفاعله مع الحياة، وبهذه المعاني عرف النص الأدبي خاصة بأنه: "ظاهرة لغوية لها وجود متميز".

ومن الباحثين في اللسانيات* الحديثة المطورة في الغرب من أخرج النص من الدلالة على الظاهرة اللغوية وحدها، إذ صبروه شاملا للنسيج الاجتماعي الرمزي غير المكتوب، فتحول بذلك إلى نظام انتاجي ينتج من خلال أصناف منطقية ورياضية أكثر منها لسانية، مثل (جوليا كريستيفا) Jolia Kristiva و (ريكور) Ricoeur².

1- أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دارالكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993/1413، ج2، ص:49.

* اللسانيات (Linguistiques) يقصد بها علم اللغة، وتتضمن الأصوات والنحو والصرف، وعلم المعاجم، وعلم الدلالة وهي مؤسسة على مقارنة الألسن المختلفة والبحث في تصاريفها، ينظر موسوعة لالاند 740/2.

2- عاطف جوده نصر، النص الشعري ومشكلات التفسير، ص:15.

وفي ناحية الوظيفة التواصلية للنص عرف بأنه "مكون لغوي أفقي نهائي، مقصود به التطابق لواقعة التواصل المختصة، يصير من خلال الدمج الإنجازي وأوجه التناظر الدلالية الموضوعية والترابطات النحوية تتابعا متماسكا من الجمل"¹.

وللنص في الدراسات اللغوية الحديثة مجالات:

الأول: مجال ما يسمى بـ: "علم تحليل الخطاب" وهو ميدان القراءات الجديدة للنص الشرعي، بناء على ما ذهب إليه من القول بتحليل وتفكيك النص الشرعي بغية تجديده فهمه.

والثاني: ما يسمى بـ: "علم العلامات" أو (السيميوطيقا)²، وفي هذا المجال الأخير يعرف النص بأنه: نسق من العلامات اللغوية وغير اللغوية، ويؤدي إلى إنتاج معنى كلي.

ويعرف في المجال الأول "علم تحليل الخطاب" بأنه نسق من العلامات اللغوية ينتج معنى كلياً؛ فالنص في مجال ما يسمى "علم العلامات" أوسع دائرة من النص في مجال ما يسمى "علم تحليل الخطاب" حيث يشمل النص اللغوي وغير اللغوي كالصوت السمعية والبصرية ومظاهر التعبير المختلفة³.

وإذا استثنينا تعريف النص في اصطلاح أصول الفقه الإسلامي، أمكن إدراك الاتفاق بين الاتجاهات الأدبية والفلسفية الغربية والفكر الإسلامي في المفهوم العام للنص، غير أن مصطلح النص في الثقافة الغربية الحديثة أحيط بنظريات وآراء وتقسيمات وثيقة الصلة بدوائر الفكر الفلسفي الغربي ودوافعه وإشكالاته ونظرته للدين⁴.

- النص في القراءات المعاصرة:

تتسع دائرة النص في القراءات المعاصرة، أو تضيق تبعا لمنهج القارئ وطبيعة الحقل الذي يعمل فيه وهو ما ينعكس على تعريف النص، حيث يجعله البعض شاملا للمدونات الفقهية أو

1- ينظر: السيميوطيقا الاجتماعية، د. محسن بوعزيزي، ص: 129، 130.

1- واورزيناك (Zdzislaw WAWRZYNIAK) مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص) ص: 60.

2- السيميوطيقا علم دراسة الإشارة في اللغة، وله أقسام ثلاثة البراهماتيقا الباحثة في المتكلم، والسمانطيقا، الباحثة في مدلولات الألفاظ، والسنتاطيقا، الباحثة في العبارات اللفظية من حيث تركيبها لا دلالاتها، ينظر: السيميوطيقا ومشكلات الفلسفة، علي محسن جمجوم، ص: 54 وما بعدها.

3- ينظر: التفكير في زمن التكفير: أبو زيد، ص: 133، 134.

4- ينظر: عبد الوالي الشلبي، القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي، ص: 20، 25.

الأصولية كليهما، ومن المفكرين من يقسم النص إلى نصوص تأسيس هيا القرآن الكريم، ونصوص ثانوية هي الحديث النبوي وأقوال المفسرين والفقهاء، فالنص الشرعي هو: "مجموع الكتابات المدونة التي انعقد الاتفاق على أنها مصدر شرعي لاستخراج الأحكام والفتاوى، ولاستنباط الأدوات الشرعية لغرض الحكم في النوازل"¹.

وعلى هذا الشمول يكون النص المقروء هو النص القرآني والسنة النبوية وتجربة الصحابة والإجماع، أما من اشتغلوا بالنقد فيرون أن النصوص لا فرق بينها مهما اختلفت وتباينت، فلا فرق بين النص القرآني أو النبوي أو الفلسفي أو الأدبي، فكلهم يشكلون نصا لغويا أنتجته وأفرزته ممارسات خطابية معينة.

والنص عند بعضهم هو القرآن وحده، كمحمد شحرور، لأنه لا يرى للسنة حجية تذكر. والنص عند طائفة أخرى هو: القرآن والسنة والسيرة النبوية بكل أحداثها، وهذا منهج محمد أركون والطيب تيزيني، ونصر حامد أبو زيد، وحسن حنفي، وهشام جعيط، وعبد المجيد الشرقي، علما أن قراءاتهم للنص النبوي لا تعني اعترافهم لحجيته في التشريع².

- الفرق بين الخطاب والنص:

كثير من المفكرين والنقاد لا يفرقون بين الخطاب والنص، ولا يوجد فرق بينهما في رأيهم. إلا في لفظ المصطلح، ومن بين هؤلاء، محمد عابد الجابري يقول: "النص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب... الخطاب باعتباره مقول الكاتب... هو بناء الأفكار... يحمل وجهة نظر... فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء"³.

أما غريماس وكورتاس فلهما وجهة نظر مختلفة ف: "النص يرتبط بالكتابي (التشكيلي) والخطاب بالشفوي (الصوتي)، إذ يقولان: بوصفه ملفوظا فإن النص يتعارض مع الخطاب وذلك تبعا لمضمون التعبير -غرافيكي (تشكيلي) أو صوتي- المستعمل لغرض إظهار الإجراء اللساني، وحسب بعض علماء اللسانيات (ر. ياكسون) فإن التعبير الشفوي وبالتالي الخطاب هو الحد الأول للكتابة التي تصبح مشتق وترجمة للتجلي الشفوي"⁴.

1- المختار بن عبد اللاوي: الإسلام المعاصر، قراءة في خطاب التأصيل، ص: 36.

2- ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، أركون، ص18، ومقدمة كتاب النص القرآني، تيزيني، ص: 5-8.

3- محمد عابد الجابري، تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، ط01، بيروت، 1985م، ص: 60.

4- حسين خمري، نظرية النص، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2007م، ص: 59-60.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مصطلح الخطاب شأنه شأن الكثير من المصطلحات النقدية التي تكونت حولها ضبابية الرؤية التعريفية، بمعنى أنه كان _ ولا يزال _ محور جدل بين الباحثين والناقدين والمنظرين حول إيجاد صيغة تعريفية مانعة له، فالخطاب كمفهوم ظل يقبل التأويل في حقول معرفية أخرى، دون الوصول إلى إطار معرفي يؤدي إلى تحقيق خصائصه وسماته وضبط مفهومه، لأن جل الخطابات خاضعة للمعارف التي تستخدم فيها، كالخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب الديني، والخطاب الأدبي، والخطاب الفلسفي والخطاب القرآني... إلخ.

وإذا تتبعنا مصطلح الخطاب عبر فترات الزمن المتلاحقة، نرى أنه شكل محورا أساسيا وهاما في أبحاث القدامى، وهذا لارتباطه بحقل "علم الأصول" ومن هنا تقيدت دلالاته وفق إجراءات ذلك الحقل، ولكن ممارسته يصعب حصرها بسبب ضخامة الموروث الأصولي من جهة وتعدد زوايا النظر المختلفة إلى ذلك الموروث من جهة أخرى ومن هذه التعاريف أو المفاهيم عند القدامى نرى ذلك في هذا المبحث:

- الخطاب في التراث العربي:

في التراث العربي تعددت مفاهيم الخطاب وتنوعت لاستعمال هذا المصطلح في كثير من العلوم خاصة "علم الأصول" فقد عرفه المهتمون بهذه العلوم منهم:

بدر الدين الزركشي (ت. 894 هـ) بقوله: "إنه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم وعرفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون قصد متهيأ أم لا"¹ واستخدمه شيخ الإسلام، على بن عبد الكافي السبكي (ت. 771 هـ) بمعنيين حددهما بقوله: "فحصل في الخطاب قولان أحدهما أنه الكلام، وهو ما تضمن نسبة إسنادية، والثاني أنه أخص منه وهو ما وجه من الكلام نحو الغير لإفادته"².

وحاول على بن محمد الأمدي (ت. 631 هـ) أن يجد تعريفا جامعاً ودقيقاً، فاستبعد كل الرموز الدالة الأخرى التي يغيب عنها التحقق الصوتي، كالحركات والإشارات، والألفاظ التي لا يتوفر

1- محمد عبد الله بن بهاء الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، منشورات دار الكتب، ط1، 1414هـ/1994م، القاهرة ج1، ص: 168.

2- على بن عبد الكافي السبكي، الإبهام في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1404هـ/1985م، ج1، ص: 43.

فيها الشرط الدلالي، كالألفاظ المهملة والكلام الصادر ممن لا يفهم كالنائم والمغمى عليه.. ليخلص إلى تعريف الخطاب بأنه: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"¹.
ومما سبق نلاحظ أن مدار كل خطاب هو التواصل، وأن الوسيلة التي تعمل على تحقيقه هي اللغة، لذا لا يمكن الاعتداد بأشكال التواصل الأخرى واعتبارها خطابات؟ لعدم تحقق الشرط اللغوي فيها، فلا يتصور قيام علاقة من هذا القبيل اعتمادا على الوسائل (السيمائية/الإشارية) الأخرى من إشارات ورموز وعلامات... أي أن كل خطاب هو حدث لغوي قبل كل شيء، من أجل ذلك عمد الأصوليون في أثناء بحثهم عن طرق توظيف الخطاب الشرعي إلى المزج بين الخطاب والكلام واعتبارهما يدلان على مقصود واحد.

واهتمام علماء الأصول بمصطلح الخطاب لا يعني إهماله في حقول معرفية أخرى في التراث العربي، بل كان له حضور وتردد كثير في شتى المعارف، وشكل حقلًا دلاليًا خاصًا به يقترب من المعنى الأصلي، ويزيد عليه في أحيان أخرى بما يتوافق ويتماشى مع متطلبات ومعطيات الحقل الجديد. وهكذا حظي مصطلح الخطاب تدريجياً بنظرة أوسع وأعمق، وحمل أبعاداً جديدة في الدلالة جعلته أكثر قرباً من مفهوم الخطاب في العصر الحديث، فقد تطور البحث التفصيلي في عناصر الخطاب عند أبي حامد الغزالي (ت. 505هـ) بما يكشف عن وعيه المبكر بأهمية المخاطب (المتلقي) في إتمام عملية إنتاج المعنى داخل الخطاب وذلك بقوله: "بأن يخلق الله تعالى في السامع علماً ضرورياً بثلاث أمور: بالمتكلم، وبأن ما سمعه من كلامه، وبمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لا بد وأن تكون معلومة"².

أما عند (أيوب بن موسى الكفوي) (ت. 1094هـ) فقد حمل الخطاب مفهوماً أكثر شمولاً، لا ينحصر في الدلالة الظاهرة فقط، وإنما اعتبر الكلام النفسي جزءاً لا يتجزأ من الخطاب ومن ثم يتحتم أخذه بالحسبان، فقال الخطاب هو: "الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو الغير للإفهام"³، وفي موضع آخر تجده أكثر دقة وتحديداً ووعياً بمفهوم الخطاب على مستوى اللفظ والدلالة فيقول: "الخطاب المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه احترازاً

1- على بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الحميلي، دار الكتاب العربي، ط2، 1406هـ/1986م، ج2، ص: 136.

2- أبو حامد الغزالي: (المستصفى في علم الأصول)، ج1، ص: 184.

3- الكفوي: الكليات، ص: 194.

"باللفظ" عن الحركات والإشارات المفهومة بالمواضعة و"بالتواضع عليه" عن الألفاظ المهملة" و"بالمقصود بها الإفهام" عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطاباً" وبقوله: "لمن هو متهيء لفهمه" عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم"¹، والناظر للكفوي يجده قد وضع الحدود كاملة لعناصر الخطاب، والشروط اللازمة لكل عنصر من عناصرها الثلاثة التي نص عليها تعريفه، فالمخاطب يتحتم عليه توفير قصد الإفهام لديه وإيصال الرسالة، والخطاب يجب أن يكون مما تواضع عليه الناس، وأما المخاطب أو المستمع فلا بد من أن يكون متهيئاً للفهم مستجيباً للخطاب وصاحبه.

ومما تقدم نلاحظ أن مفهوم مصطلح الخطاب قد تطور في التراث العربي، وتجاوز المفهوم اللفظي للكلام، والمفهوم الجمالي، ليستقر عندهم أن المتكلم في تعبيره عن حاجاته لا يتكلم بالألفاظ ولا بالجمل، ولكن من خلال نص، فأتسعت بهذا أمامهم دائرة البحث الدلالي، وانتقلوا من البحث من مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب².

وإذا كان الخطاب قد شكل في التراث حضوراً لافتاً، تعددت منطلقاته تبعاً لتعدد انتماءاته لأكثر من حقل معرفي، فإن هذا المفهوم ظل على حاله منتمياً للفكر العربي القديم دون أن يلقي اهتماماً وتطوراً في الفكر العربي في العصر الحديث، فقد استبدل النقاد العرب المحدثون النواة العربية القديمة للمفهوم، بالمفهوم الغربي للخطاب، ومن ثم اختلف الباحثون باختلاف انتماءاتهم الفكرية في تحديد معناه، شأنه شأن أي مصطلح منقول من ثقافة من إلى ثقافة أخرى، ولعل العلة في ذلك تكمن في أن النقد العربي الحديث كان ولا يزال في كثير من توجهاته يتكئ على النقد الغربي وينقل كثيراً من مفاهيمه التي تتصل بالمروروث الغربي والتي تتقاطع مع المروروث العربي الذي ينتمي إليه، ف"الخطاب الثقافي العربي قد غلبت المحمولات الغربية لمصطلح الخطاب والنص وتخلص أو كاديتخلص من المحمولات العربية لهما، كما تكونا في الأصول، وهو أمر يمكن وصفه بأنه

1- المرجع السابق، ص: 419.

2- منذر عياشي: اللسانيات والدلالة الكلمة، مركز النماء الحضاري، ط1، حلب-سوريا، 1996م، ص: 7.

(إقصاء) اصطلاحى لمعظم ما يتصل بجهاز المفاهيم المستعملة الآن في الثقافة العربية الحديثة¹.

- مصطلح الخطاب في الفكر الغربي المعاصر:

أما مفهوم مصطلح الخطاب في الفكر الغربي جاء متصلا بموروثه ومرتبطا به ومكملا له عكس المفهوم العربي الحديث للخطاب الذي يكاد ينقطع عن موروثه العربي، فالخطاب في التراث الغربي جاء منبثقا من توجه فلسفي مازال يفرض هيمنته حتى اليوم، وإن ما شهدته المصطلح من تطور في العصر الحديث إنما اكتسبه من تطور وتشعب في الحقول المعرفية، وفي التوجهات البحثية التي صاحبت الفكر الحديث.

وبدأت أولى المحاولات الجادة والهادفة إلى ضبط وتحديد مفهوم الخطاب فلسفيا في الفكر الغربي القديم وشحنه بدلالاته الخاصة مع "أفلاطون" الذي ضبط العلاقة بين (المقال /الخطاب) من خلال تحديده بجمالية تماثله مع العقل أو ما يعرف بـ «عقلنته» أي الاعتماد على قواعد تستمد من داخل المقال أكثر من استمدادها من أصول معرفية أخرى، ورغم أن هذه المحاولة جاءت مبكرة جدا إلا أنها تمثل أولى البدايات في الفكر الغربي لظهور ملامح الخطاب الفلسفي في الثقافة الغربية وبالأخص اليونانية منها.

وقبل أن نتطرق لمعرفة مصطلح (الخطاب) في الفكر الغربي في العصر الحديث يجب التنبيه على أن مفهوم الخطاب (Discoures) عند المهتمين به يعد من المفاهيم التي نالها التعدد والتنوع والاختلاف، وقد أرجع الفيلسوف الفرنسي (ميشال فوكو) سبب ذلك الاختلاف إلى اختلاف الفهم وتطوراته لدى الباحثين في النظرة إلى الخطاب².

وهذا الاختلاف في إعطاء الخطاب مفهوما واضحا ومحددا هو نتيجة لتعدد حقوله المعرفية واتجاهاته البحثية في الفكر المعاصر.

ومن أهم أقطاب الفكر الفلسفي واللغوي والأدبي الغربي الذين اهتموا بالخطاب وشغل حيزا كبيرا في فكرهم وبحوثهم نجد المفكر الفرنسي (ميشال فوكو) [M.Foucault] (1926-1984م) الذي اتخذ عنده الخطاب أبعادا (ابستمولوجية/معرفية) وهذا يظهر في مؤلفاته التي

1- منذر عياشي: اللسانيات والدلالة الكلمة، مركز النماء الحضاري، ص: 117.

2- لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ص: 78.

عكست الرؤية العميقة والمحددة لمفهوم الخطاب، فهو عنده وثيق الصلة بالإنسان ومؤسساته داخل المجتمع، فهو يقدم للخطاب عدة تعريفات منها أنه: "مجموعة من الأدلة من حيث هي عبارات... والتي تنتسب إلى نفس نظام التكون"¹.

أو هو: "مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لانهاية يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ مع تفسيره إذا اقتضى الحال، بل عبارة عن عدد محصور من العبارات التي نستطيع تحديد شروط وجودها"².

يتضح لنا مما سبق أن الممارسة الخطابية عند فوكو تشكل في صميم تكوينها من المنظومة العبارية العامة التي تحكم مجموع الإنجازات اللفظية، وهي منظومة لا تحكمه وحدها، مادام يخضع كذلك -حسب أبعاده الأخرى- لمنظومات منطقية ولسانية وسيكولوجية، كما أن تحليل تشكيلة خطابية ما، يعني دراسة مجموع الإنجازات اللفظية في مستوى العبارات ودراسة شكل الوضعية التي يميزها، يعني -بإنجاز تحديد نمط وضعية خطاب ما"³.

فالخطاب عند ميشال فوكو هو كيان خاص متماسك بنفسه، ومترابط وصحيح ومفهوم، ينتج بطريقة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز الكيفية التي ينتج بها الكلام كخطاب"⁴.

أما المفكر الروسي (ميخائيل باختين) [M.Bakhtine] (1895-1975م) يعرف الخطاب بأنه: "خطاب في الخطاب وتلفظ في التلفظ، لكنه في الوقت ذاته خطاب عن الخطاب وتلفظ عن التلفظ"⁵.

1- ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة: سالم ياقوت، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1978م، ص: 100.

2- لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ص: 279.

3- ميشال فوكو: حفريات المعرفة، المرجع السابق، ص: 107.

4- المرجع السابق نفسه، ص: 80.

5- ميخائيل باختين: الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة: محمد البكري ومبنى العيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، 1986م، ص: 155.

نرى من خلال هذا التعريف أن باختين يفسر الخطاب بالخطاب نفسه، وأن الخطاب الواحد قد يكون شاملاً لعدة خطابات، وكأنه ينفي عن الخطاب التفرد والتجرد، فهو دائم الارتباط بالعلاقات الخارجية، وبالمجتمع عامة.

فمفهوم الخطاب عند باختين يتحدد من خلال (الحوارية) التي تتواصل مع تعدد الأصوات، وهو تعدد يظهر الخطابات وجداليتها عبر الذات المتمركزة حول ذاتها والمتكلمة عبر لغتها، والتي تتقاطع معها أصوات أخرى لتعكس عالماً متعدداً بدوره من داخل النص الأدبي في اتجاه خارج نصيته، ومن ثم يتجاوز الرؤية الإيديولوجية الواحدة إلى إيديولوجية منتجة للخطاب المتعدد داخل المجتمع، وهو ما يسميه باختين بـ: "البوليفونية Polyphony"¹.

فدراسة الخطاب عند باختين تعني دراسة عمليات التلفظ اللغوي في سياقها الاجتماعية، مما يعني أن السياق الاجتماعي جزء لا ينفصل عن أي فعل لغوي، وإذا كان الخطاب في صميمه يشكل علاقة تلفظ لغوي، إلا أنه بجانب هذه العلاقة – وحتى تتم العملية التواصلية الإبداعية – يتحتم وجود علاقة تخاطبية مع الآخر، وهو ما يمكن أن نطلق عليه ملامح البنية المكونة لهذا الخطاب، فالخطاب في تكوينه هو بنية لغوية أو تلفظية، تتشكل من رسائل الاتصال لغرض تبليغ رسالة ما، هذه الرسالة يفترض فيها وجود طرفين يسميان بطرفي الخطاب هما: (المرسل/ الباث) و(المرسل إليه/ المتلقي)، تجري بينهما العملية الإبداعية التواصلية من خلال سلطة تتضمن تحقيق هدف الخطاب الذي قصده المرسل، أو ما يعرف بـ: "أدبية الخطاب"، فأدبية الخطاب تجعل الخطاب الأدبي خطاباً متميزاً عن القول المؤلف، فمعروف أن النص الأدبي هو حقل لساني، وهو عملية إنتاجية منفتحة على سائر الأجناس الأدبية، فهو إبداع في أو إنشائي، يشمل إحياء الكلمة أو القول أو الخطاب حتى نصل إلى النص، وفي هذه اللحظة نعتبر الخطاب الأدبي توليد لغة مؤلفة وهو نسيج هائل متمرد، دائم التطلع لأن يجعل اللغة تنتقل في جملة (انزياحاتها/ تحولاتها) الجديدة إلى مستوى أرفع مما كانت عليه من قبل، إنه يهدم العادة، لكن هذا الهدم في حقيقته بناء على حد قول الناقدة الروسية (جوليا كريستيفا Julia Krestova) فهو بناء يوهم في ظاهره الهدم، لأنه ينقل اللغة إلى استعمالات تتخطى العادي والمألوف إذن فالعلاقة بين الأدب – باعتباره ممارسة لغوية وجمالية – والممارسات

1- نورمان فيركلف: الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، ترجمة: رشاد عبد القادر، مجلة الآداب الأجنبية، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: 101-102، شتاء وربيع 2000م، ص: 97.

الخطابية، هي علاقة وثيقة، فالنص الأدبي في _الرؤية النقدية المعاصرة_ هو نسيج من الممارسات المعرفية المتعددة التي تؤدي دورا هاما في تكاثر الإنتاجات الخطابية للجماعة التي تتقاسم عددا من الخصائص والمميزات.

والمتتبع لما تنشره المطابع في أيامنا الراهنة يلاحظ كثرة المطبوعات والمنشورات التي تهتم بالدراسات الشرعية عامة، والدرس القرآني على وجه الخصوص، وخاصة علم التفسير، وكثرة الكلام عن الوحي الإلهي، لهُ دليل على صحة من يقول: إن القرآن حمال أوجه، وعلى هذا الأساس، ومن منطلق كهذا لابد من قراءة تصنيفية لإيضاح الأبعاد الخصائية لما تم التوصل إليه من خلال نظرة سريعة في تصنيف الدراسات القرآنية، ويلاحظ أن كثرة الدراسات القرآنية، وتشعبها يرجع إلى:

- طبيعة وخصائص القرآن الذي هو ليس بكلام بشر.
- ويرجع كذلك إلى أن القرآن قد تناول أغلب المناحي والحاجات البشرية.
- ويمكننا إجمال هذه الدراسات نسيبا إلى أقسام هي:
- التفسير.
- التأصيل العلمي من خلال القرآن.
- دراسات إثبات الإعجاز القرآني.
- الدراسات الفكرية والتأملية في القرآن الكريم.
- ويلاحظ كذلك غلبة الدراسات التفسيرية على باقي الدراسات، واتسامها بالطابع العلمي، حتى بات يسمى بعلم لتفسير، ويرجع ذلك إلى:
- أن القرآن الكريم مصدر من مصادر العقيدة والفقه والتشريع.
- حاجة الناس أي فهم دينهم من خلال القرآن الكريم.
- أن التفسير رغم اتفاهه في مدونة واحدة، إلا أنه متعدد الرؤى ي بعض طروحاته، بحسب المفسرين واتجاهاتهم.

وهكذا نجد أن الموضوع الغالب في الدراسات القرآنية هو التفسير، أو علم الفسيف، أودعنا نقول خطاب التفسير، فهل يمكن لنا أن نعتبر التفسير نوعا من أنواع الخطابات،

التفسير القرآني يعتبر خطابا بالدرجة الأولى، لتوفره على العناصر الخطابية مثل الباث، وهو المفسر، والرسالة الخطابية، وهي رسالة معينة تختلف كل رسالة تفسيرية عن غيرها، ومتملق لهذه

الرسالة الخطابية، ثم توفر السياق، والظرف المعين، والأكثر من ذلك هو قابلية الدرس التفسيري للتصنيف العام، فهو يعتبر خطاباً من هذه الوجهة.

وقبل الولوج إلى الخطاب القرآني لابد أن نحدد مفهومه، لأنه خطاب يتميز عن غيره من الخطابات، لقداسته وتبجليه، وأزليته وعدم بشريته، فما هو إذن الخطاب القرآني؟ وما ملامح عالميته وتجلياته؟ وماهي أهم الاعتراضات والشبه التي أثيرت حوله؟ نرى هذا وغيره في هذا المبحث الذي سمناه بـ "الخطاب القرآني، عالميته وتجلياته".

المبحث الثالث: الخطاب القرآني، عالميته وتجلياته:

إذا كان الخطاب الأدبي، ببنيته وأدبيته وأنماطه قد تعددت أنواعه... واختلفت باختلاف مرجعياته، فلا شك أن الخطاب القرآني بوصفه نموذجاً لفظياً متعالياً، يأتي على رأس هذه الخطابات، بل ومن أشدها تميزاً على الإطلاق، وذلك لما يحمله من خصائص نوعية تضمن له التفرد والتميز، فهو خطاب إلهي مطلق لا نهائي في (دواله/ ألفاظه) و(مدلولاته/ معانيه) إنه من أكثر الخطابات إقناعاً وتعبيراً للحقيقة وتفعيلاً للحدث، لا يدخله الخلل أو النقصان، إنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وكي نتناول الخطاب في النص القرآني من خلال رؤية أدبية نقف عند تخومه التكوينية التي شكلت فضاءه في أبعاده: المعرفية والجمالية، وملاحقه من دراسات وقراءات وتأويلات لأن مفهوم الخطاب القرآني طرح للتساؤلات والتحريات الجديدة المتعلقة بمفهومه وبمكائنه اللغوية والتاريخية وبأبعاده التواصلية وبنظرة القراءات المعاصرة له، وما تهدف إليه هذه القراءات من حيث منطلقاتها ودوافعها وغاياتها وأبعادها، وما وصلت إليه، وما أضافته للخطاب القرآني، وإلى أي مدى وفقت في تطبيق المناهج الحديثة على هذا الخطاب الرباني هذا ما نتطرق إليه في هذا المبحث بداية بشمولية الخطاب القرآني وعالميته..:

- عالمية الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني، خطاب عالمي للناس جميعاً، فخلال مدة وجيزة لا تتعدى مائة عام صار هذا الكتاب منهجاً أمة عظيمة تمتد مساحتها من الصين شرقاً إلى المغرب والأندلس غرباً وطوال أربعة عشر قرناً ونيف من الزمان ظل هذا الكتاب العزيز مصدر هداية وإرشاد لملايين البشر الذين انتشروا في أرجاء العالم القديم، ثم في العصر الحديث امتد تأثيره ليشمل كل أرجاء المعمورة.

فهذه حقيقة لا يستطيع أحد ردها لوضوحها وثبوتها، فهي آية عظيمة الدلالة واضحة الحجة والبرهان، على أن هذا الكتاب ليس كأي كتاب، وأن ما حواه من مبادئ وقيم وتعاليم لا يحويه أي كتاب، وحق له ذلك، فكيف يكون لكتاب مهما علا شأنه وبلغت حجة صاحبه وقوة عبارته وجزالة بيانه، أن يضاهي، بل يقارب كتاباً حوى كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ ۲۳ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۚ ۲۴﴾¹.

فإذا أضيف إلى ما سبق أن هذا الكتاب قد نزل في الجزيرة العربية وهي يومئذ في ذيل الأمم حضاريا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا، ثم حملة العلماء والدعاة إلى شتى بقاع الأرض فخضعت لسلطانه الروحي _ في تلك المدة الوجيزة _ أمم عريقة في الحضارة والتقدم والتطور بمقياس ذلك الزمان، أيقنا أن هذا الكتاب يحمل في طياته وبين ثناياه قيما ومثلا وتعاليم، تتجاوز حدود الإقليم الذي نزل فيه، وأن تعاليمه عالمية بمقاييس ذلك الزمان وزماننا هذا، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

إن الخطاب القرآني صالح لمخاطبة الناس وإقناعهم وإخضاعهم لسلطانه والتسليم لحجته وبرهانه في كل زمان ومكان.

فعالمية الخطاب القرآني تظهر في عمومته وشموله لكل زمان ومكان، على اختلاف انتماءات البشر العرقية والجنسية والثقافية والدينية².

لا يوجد اليوم في العلم أجمع إلا خطابا إلهيا واحدا، من الله لجميع البشر، هو الخطاب القرآني، الكلام المحفوظ في الصدور والسطور، المنزل من روح القدس على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المجموع بين دفتي المصحف الشريف المحفوظ على الدوام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾³، ولا يسمع اليوم في جميع المعمورة، وفي القارات الخمس، إلا نداءات الوحي الشجيرة، المتعالية من حناجر القراء الزكية، تتلو على العالمين الحقائق الإلهية، وتنشر أنوار الهداية الربانية.

فعالمية الخطاب القرآني لا تعني القهر والاستبداد والإكراه والاستحواذ والانغلاق وإلغاء (الآخر)، بل هذه العالمية فتحت أبواب التفكير والابتكار والإبداع في مختلف العلوم والصناعات والتجارب وفي شتى المجالات بما يتلاءم مع طبائع الناس وبيئاتهم ولم تلغ خصوصيات الشعوب الثقافية واللغوية، بل حافظت على أعرافهم ومتطلبات حياتهم وكل ما يتعلق بأمور دنياهم، فهذا الخطاب

1-سورة البقرة، الآية: 23-24.

2-رسالة القرآن، نخبة من الباحثين والكتاب، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1431هـ/2010م، ص40، 41.

3-سورة الأنعام، الآية: 115.

الرباني العالمي، يبارك ما جاد به العقل الإنساني عبر التاريخ البشري، ويحث على التواصل الحضاري الموصل إلى كمال العمران قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾¹.

فعالمية القرآن قائمة على التعارف لا التناكر، والتواصل لا التقاطع، والتعاون لا التداير، وعالمية الخطاب القرآني تظهر في كثير من آياته التي تتحدث عن جنس الإنسان فالآيات التي تتحدث عن الناس جميعا كثيرة جدا، تقترب بمجموعها من ثلاثمائة آية، بينما لا نجد لفظ العرب كقوم يأتي ولا مرة واحدة رغم أنه نزل عليهم وبلغتهم، وهذا دليل واضح على عالمية الخطاب القرآني وخروجه عن المحلية والإقليمية.

فالله عز وجل خاطب البشر جميعا في كثير من الآيات بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾² بخطاب مباشر من الله عز وجل، بغض النظر عن جنسهم ولونهم وأصلهم، بل بغض النظر عن دينهم، سواء كانوا مسلمين موحدين، أم مشركين، أم كفار من أهل الكتاب وغيرهم.

- ملامح وتجليات عالمية الخطاب القرآني:

من ملامح وتجليات الخطاب القرآني أنه صالح لكل زمان ومكان، فهو يؤثر في الناس ويقنعهم ويلبي حاجات وتطلعات الشعوب المختلفة، فتشريعاته وتعاليمه كانت تلقى القبول في مشارق الأرض ومغاربها منذ العصر الأول إلى يومنا هذا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا الدين يحقق الانتشار على أرض الواقع، فمازلنا نسمع كل يوم عن دخول الناس في الإسلام، من مختلف الأجناس ومن مختلف الطبقات والمستويات العلمية والاجتماعية اقتنعوا وتأثروا بهذا الخطاب الرباني الذي لا يمكن أن يشبهه كلام أي مخلوق، ولا يمكن لأي كان من الخلق أن يأتي بمثله أو يعارضه ومن تجلياته:

1- أن أول آياته نزولا على الرسول صلى الله عليه وسلم، تحدثت عن الإنسان مطلقا، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ۝٦ إِنَّ رَبَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٧﴾³.

1-سورة الحجرات، الآية: 13.

2-جاء في القرآن الكريم لفظ (يا أيها الناس) في آية أخرى ولكن على لسان سليمان عليه السلام.

3-سورة العلق، الآيات: من 1- 7.

2- أن البشر في قضية الإيمان بالله، ينقسمون إلى أصناف فمنهم المؤمن المصدق، ومنهم المكذب، ومنهم المنافق، ومنهم الضال، ومنهم المضل، ومنهم الكافر، ومنهم الذي يعبد الله على حرف، ومنهم من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، ومنهم من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، ومنهم من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام..، فمن الناس من أنكر وجود الخالق، ومنهم من آمن بوجوده وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من آمن به وأشرك معه غيره في العبادة، ومنهم من أهل الكتاب المتبعون لما حَرَفَ من الكتب... فهؤلاء على تنوعهم واختلاف أصنافهم، تنوع الخطاب القرآني ليشمل هذه الأصناف جميعا، فخطاب منكري الصانع في أكثر من آية مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخُلُقُونَ ٣٥﴾¹.

وخطاب منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في غير آية مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلَةٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦﴾².

وخطاب المشركين في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبِّحْنِ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾³.

وخطاب أهل الكتاب في كثير من الآيات مثل قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٧١﴾⁴.

وخطاب أهل الإيمان في آيات كثيرة جدا مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٠٢ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾⁵.

3- أن نفوس بني آدم متنوعة ومختلفة، بل النفس الواحدة لها أحوال مختلفة، وقد جاء الخطاب القرآني بما يوافق هذه النفوس والأحوال جميعا، ولم يأت على نسق واحد، فنجد فيه الترغيب ونجد التهيب، نجد الوعد ونجد الوعيد، نجد خطابا للعقل بالحجج والبراهين، ونجد خطابا للقلب والمشاعر

1-سورة الطور، الآية: 35.

2-سورة يونس، الآية: 16.

3-سورة الأنبياء، الآية: 22.

4-سورة آل عمران، الآية: 71.

5-سورة آل عمران، الآية: 102-103.

والأحاسيس، نجد الثواب ونجد العقاب، نجد المثل والقصة والحكمة، نجد الكلام عن الغيب وعالم الشهادة، نجد دعوة للزهد في الدنيا إلى جانب الدعوة للأخذ بأسباب القوة فيها، وبناء عليه فإن نفوس بني آدم جميعاً إذا سلمت من الهوى تجد الأُنس والراحة والسرور والطمأنينة والرحمة والسعادة في هذا الخطاب الإلهي الذي لا يشبهه أي خطاب¹.

4- الخطاب القرآني خطاب رباني إلهي عالمي، فالله عز وجل حينما خاطب الناس لم يفرق بين الأمم والشعوب والأجناس، ولم يصنفهم تصنيفاً عنصرياً، بل جعل التقوى والالتزام بالمنهج الرباني هو معيار التفاضل بين البشر، قال جل جلاله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾².

5- ومن تجليات عالمية الخطاب القرآني، أن الله سبحانه وتعالى كان يعطي لكل نبي من الأنبياء ما يتناسب مع قومه، فجاءت كل معجزات الأنبياء السابقة حسية مادية، فلما كثر السحر وانتشر في زمن موسى -عليه السلام- أيده الله بالعصا، وبما يبطل السحر ويذهب، وقوم عيسى -عليه السلام- كان أهل طب وبرعوا في فنونه وتخصصوا فيه، كانت معجزته أن يرى الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله، وغير ذلك من الأنبياء والرسل السابقين، أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كانت له معجزات حسية كثيرة كنبع الماء من بين أصابعه وانشقاق القمر وحنين الجذع وتكثير الطعام وغير ذلك، ولكن معجزته الكبرى هي القرآن الكريم، لأن العرب كانوا أهل فصاحة وبلاغة وبيان، فجاءت فصاحة القرآن وبلاغته معجزة لهم أن يأتوا بمثله بل بعشر سور بل بسورة من مثله، ومعجزة القرآن لم تتوقف عند إعجاز العرب فقط، بل امتدت لإعجاز الإنس على اختلاف أجناسهم وتنوع ألسنتهم، وكذلك إعجاز الجن معهم مما يدل على عالمية خطابه، وأنه كلام الخالق عز وجل.

- شبهات واعتراضات حول عالمية الخطاب القرآني:

منذ بداية نزول القرآن الكريم والشبهات تثار حوله، قيل إنه سحر، وقيل إنه من عند محمد، وقيل إنما يعلمه بشر، وقيل أن نفراً من الجن يوحون به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل غير ذلك، وقد كان من بين الشبهات القديمة والتي لا زالت تثار وتتجدد إلى يوم الناس هذا، هي الشبهة القديمة

1- ناصر بن سلمان العمر، مقال بعنوان: عالمية الخطاب القرآني، ضمن كتاب، رسالة القرآن، تأليف نخبة من الباحثين، ص: 57، 58.

2- سورة الحجرات، الآية: 13.

التي تنفي عالمية الخطاب القرآني وشموليته للجنس البشري، حيث يزعم أصحابها أن القرآن الكريم خاص بالعرب وحدهم، وهو قول طائفة من اليهود.

وذهب النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾: إلى القول بأن هذا دليل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الخلق كافة، خلافاً لطائفة من اليهود يقال لهم العيسوية أتباع عيسى الأصفهاني زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم، رسول صادق، لكنه مبعوث إلى العرب خاصة.

وفي عصرنا الحاضر يثار في وجه عالمية الخطاب القرآني نوعان من الاعتراضات:

الأول: ينفي العالمية ابتداءً.

الثاني: يقر بها ولكنه يحرفها عن معناها الصحيح.

ونتطرق لهذين النوعين بالنقد والتحليل:

أ- نفي عالمية الخطاب القرآني:

هذه دعوة قديمة ، وتبناها بعض اليهود وزعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم، لم يبعث للناس كافة، وإنما بعث للعرب خاصة، وفي أحسن الأحوال زعموا أن بني إسرائيل بعينهم ليسوا داخلين في دعوته، والثابت خلاف ذلك تماما، فكل ذي عقل ولب وبصيرة ومتجرد من الهوى والضلال والانحراف، يدرك أن هذه الدعوة باطلة، ومردودة وغير مقبولة، ويشهد بما جاء به الحق جل وعلا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾¹.

فهذه الآية القرآنية وحدها تكفي وتدحض وتبطل من يقول: إنه بعث للعرب فقط.

أما في العصر الحاضر، فهناك من ينفون عالمية الخطاب القرآني سواء أقرؤا بنبوّة محمد -صلى الله عليه وسلم- ورسالته أم لا، وأيدوا ادعاءاتهم وافترائهم بحجج وأدلة من أهمها:

1- أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية ولم تكن زمن نزوله لغة عالمية، لأن العرب لم يكن لهم وزن يذكر في العالم، ولم تكن لهم مدينة أو حضارة تساعد على انتشار لغتهم، وأن الحال اليوم كحال الأمس ويؤكد هذا المعنى أن القرآن الكريم لا تترجم ألفاظه إلى بقية اللغات بخلاف الإنجيل مثلا.

والجواب على هذه التساؤلات هو أن اللغة العربية لها خصائص ومميزات تمتاز وتختص بها عن باقي لغات العالم، وهذا معلوم ومعروف لدى الباحثين والدارسين المتخصصين، فاللغة العربية ثرية في

1-سورة الاعراف، الآية: 158.

ألفاظها، غنية بعباراتها وجزارة مفرداتها، واتساعها، وإيجازها وإيجازها في التعبير عن المقصود، وتمتاز بكثرة المترادفات والمشتقات التي تراعي الفروق الدقيقة في المعاني، وهي بفصاحتها وبلاغتها تترجع على عرش اللغات العالمية جميعا، على الأقل خصائصها ومميزاتها تؤهلها لأن تكون لغة علمية، إن لم تكن الأولى عالميا، فهي لغة علمية وأما عدم ترجمة ألفاظ القرآن بمعنى وضع مرادف لمعناه بلغة أخرى، فهذا أمر يؤكد عالمية الخطاب القرآني وليس العكس، لأن باقي اللغات لا تستطيع أن تعطي مفرداتها معاني مفردات الخطاب القرآني على وجه الدقة، فاللفظ الواحد من أي لغة قد يعطي معنى واحدا من المعاني الكثيرة المحتملة للفظ القرآني، فتضيق كثير من الفوائد والأسرار والإشارات والذوق والجمالية... من معاني الألفاظ القرآنية إن جعل بدل اللفظ القرآني لفظا آخر من أي لغة أخرى، وهذا يؤكد أن اللغة العربية متفوقة على غيرها من اللغات، والتاريخ الإسلامي يشهد أن اللغة العربية صارت اللغة الأولى لكثير من الأمم والشعوب التي لم تكن تتكلم بها، وقد اعتنى المسلمون من عرب وغيرهم — بهذه اللغة أيما اعتناء، واهتموا بها أيما اهتمام، حتى إن كثيرا من أساطين اللغة كانوا من غير العرب كما هو معلوم، وهذا يدل على عالميتها وبيطل الحجة يقول سارتون¹: "إن لغة القرآن على اعتبار أنها اللغة التي اختارها الله جل وعلا للوحي كانت، بهذا التحديد كاملة... وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير على المقاصد.. وجعل منها وسيلة دولية للتعبير عن أسمى مقتضيات الحياة"²، فهذه الشهادة تؤكد أن الدنيا لا تخلو من أحرار الفكر الذين يمكن أن يصلوا إلى الحق أو إلى جوانب منه، وإن كنا لا نتفق بالضرورة مع كل الجزئيات التي جاءت في هذه الشهادة أو تلك، لأن هؤلاء الشهود لهم ظروفهم النفسية والاجتماعية التي قد تحجب عنهم جوانب من الحق، ولكننا نسوق هذه الشهادات من غير المسلمين، لأنها تشكل تأكيدا أو فناعة للمؤمنين، وحافزا لبعض المشككين الذين يحسنون الظن بما ينقل إليهم من أفكار وآراء من أساطين الحضارة الغربية.

وهكذا نرى أن الاعتراض باللغة المحلية على عالمية الرسالة اعتراض غير صحيح، فمن أين ومن ذا الذي اشترط في الخطاب القرآني لكي يكون عالميا أن يأتي بسائر لغات العالم؟

1- جورج سارتون (1884-1956م)، دكتور بلجيكي في العلوم الطبيعية والرياضية (1911م)، درس العربية وألقى في بيروت محاضرات ممتعة لتبيان فضل العرب على التفكير الإنساني، زار عددا من البلدان العربية.

2- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م ج1، ص: 22.

وإذا كانت التوراة والإنجيل أنزلتا على بني إسرائيل بالسريانية وقد انقرضت هذه اللغة، فهل من جاء من بعد بني إسرائيل غير مخاطب بما جاء في الكتابين من أحكام؟ بحجة أن اللغة التي نزل بها قد اندثرت وانقرضت، وأن هذا المخاطب قد تغير لسانه؟

كما أن مقررات الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن تصدر غالباً باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وهي قرارات ملزمة عند التنازع، فلا تطبق على باقي دول العالم بحجة اختلاف اللسان، أم هي مقررات عالمية وإن صدرت باللغة الإنجليزية أو الفرنسية.

1- الخطاب القرآني ونعيم الجنة:

ادعى الذين ينكرون عالمية الخطاب القرآني، وأنه خاص بالعرب دون غيرهم فهذا الخطاب يركز على ذكر نعيم الجنة، وعلى ما يعد موضع اهتمام العرب دون غيرهم من الأمم، فالكلام عن الأنهار والزروع والبساتين والنخيل والأعناب والفواكه والأفرشة والغرف المبنية واللحم... مناسب للبيئة الصحراوية القاحلة التي تفتقر للمياه والزروع والخيرات، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۚ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۚ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۚ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۚ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۚ وَفَكْهَةٍ كَثِيرَةٍ ۚ وَلَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۚ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۚ﴾¹، وقوله جل وعلا: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۚ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۚ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۚ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۚ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۚ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۚ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۚ﴾²، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأُولَىٰ ۚ وَأُولَٰئِكَ الْمَقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۚ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ۚ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۚ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۚ مَّتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۚ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۚ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۚ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزَفُونَ ۚ وَفَكْهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۚ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۚ وَحُورٌ عِينٌ ۚ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۚ﴾³، فالحديث عن هذه الخيرات وعن الحور العين التي تمثل بالنسبة للعرب قمة الجمال عند النساء... بينما هذه الأمور قد لا تكون موضع اهتمام غير العرب، من الأمم التي تعيش في بيئات غنية بالمياه والفواكه والزروع والثمار، حتى أن معيار الجمال يختلف عند هؤلاء أما هو عند العرب، وهذا ما يؤكدون فيه، اختصاص هذا الخطاب بالعرب، وبالبيئة التي نزل فيها ولا يتعدها إلى غيرها.

1-سورة الواقعة، الآيات: من 26 إلى 34.

2-سورة الغاشية، الآيات: من 09 إلى 13.

3-سورة الواقعة، الآيات: من 09 إلى 23.

وجوابا على هذه الإشكالات_ المزعومة_ يتبين لنا أن هذه التساؤلات تؤكد عالمية هذا الخطاب، فأبي خطاب عالمي لا بد أن يراعي البيئة الأولى التي يلقي فيها، من كل النواحي، ثقافيا، فكريا، اجتماعيا، اقتصاديا، سياسيا... لأنه لا بد وأن ينشأ في بيئة حاضنة تساعد على البقاء والانتشار والتوسع، أما ما جاء ذكره من نعيم أهل الجنة، فلا شك أن أي نعيم إلا وله قيمة عالية ومنزلة ومكانة عند العرب وغيرهم، فالاستمتاع بالماء والاحضرار والبساتين والجمال والحسن مما تتفق عليه طبائع البشر، ويهواه بنو آدم على مر العصور والأزمان، وليس خاصا بالعرب فقط، كما أن نعيم الجنة الحسي الذي ذكر في القرآن الكريم لا يقتصر على ما ذكرناه، بل هناك أمثلة من نعيمها الحسي يتفق جميع البشر على التمتع به ويسلب قلوبهم ويغريهم حسنه وجماله وقيمته وهو أنواع كثيرة من الزينة والزخارف كالسندس والحريير والاستبرق واللؤلؤ والذهب والفضة وغير ذلك.

إضافة إلى أن نعيم الجنة لم يقتصر على هذه الأمور الحسية، بل فيها من النعيم المعنوي أضعاف ذلك، ذكره القرآن الكريم، مثل اجتماع أهل الجنة مع أهلهم وأولادهم ومن ماتوا قبلهم من سلفهم الصالح، وتنزه أسماعهم عن اللغو والكذب وأن أهلها كلهم شباب لا يجوعون فيها ولا يمرضون وأعظم هذه النعم قربهم من الله عز وجل ورؤيتهم له، ونبيلهم رضوانه وكرامته، وقد بين القرآن الكريم أن المؤمنين الذين يكرمهم الله جل وعلا بالجنة، يكونون في مقام أمين، في نعيم مقيم، خالدون في الجنة أبدا، لهم فيها ما تشتهي أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾¹، وقال عز من قائل: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾².

2- الخطاب القرآني واللسان العربي:

في كثير من الآيات القرآنية ذكر الله سبحانه وتعالى أن القرآن نزل بلسان عربي مبين مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾³، وأنه تحدى العرب أن يأتوا بمثله في الفصاحة والبلاغة والبيان والنظم وحسن السبك... فمثل هذا التحدي لا يتوجه لغير العرب مما يدل على محلية الخطاب القرآني وعدم عالميته.

والجواب: إن هذه الشبهة رغم أنها أهم شبهاتهم إلا أنها شبهة باردة وحجة سخيطة فمن المعلوم أن أي دعوة عالمية إنما تنشأ في بيئة محددة ثم تنطلق منها إلى باقي البقاع والأماكن وكل

1-سورة الزخرف، الآية: 71.

2-سورة ق، الآية: 35.

3-سورة يوسف، الآية: 02.

التيارات العالمية اليوم مرت بمثل ذلك، ومن المنطقي والحال كذلك أن تخاطب الدعوة الوليدة البيئة الأولى بلغتها وإلا ماتت الدعوة في أرضها لعدم تقبلها من البيئة الحاضنة، وهذا أمر بديهي، ولهذا الكلام دليل شرعي كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾¹، قال ابن كثير: "أي: لقالوا: هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولأنكروا ذلك وقالوا: أعجمي وعربي؟ أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه، هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي وغيرهم".

وقيل: المراد بقولهم: "لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ"، أي: هلا أنزل بعضها بالأعجمي، وبعضها بالعربي، هذا قول الحسن البصري، وكان يقرأها كذلك بلا استفهام فيقوله (أَعْجَمِيٌّ) وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعتت والعتاد أبلغ².

هذا وإن تحدي القرآن الكريم لم يقتصر على تحدي العرب في الإتيان بمثله في البلاغة والفصاحة والنظم... بل التحدي يشمل كل البشر بأن يأتوا بكلام مثله لأنه كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا يشبهه كلام البشر، فهو على طوله لا اختلاف فيه ولا تناقض، وهو صدق كله، وعدل كله، وحق كله، قال ابن كثير: "من تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية منحيت اللفظ ومن جهة المعنى، قال الله تعالى: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾³، فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف، فكل منلفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيبات ماضية وآتية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾⁴، أي: صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام، فكله حق وصدق وعدل وهدى، ليس مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها، كما قيل في الشعر: إن أعذبه أكذبه... وأما القرآن فجميعه

1-سورة فصلت، الآية: 44.

2-اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة للنشر، 1999/1420م، ج7، ص: 184.

3-سورة هود، الآية: 01.

4-سورة الأنعام، الآية: 115.

فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا وإجمالا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوبة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا وكلما تكرر حلا وعلا، لا يخلق على كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن... وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء... وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال، وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم، بشرت به وحذرت وأنذرت، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا ورغبت في الآخرة، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم، وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم¹.

يقول ناصر بن سليمان العمر² معلقا على هذا القول: "فيدخل ضمن كلامه رحمه الله، ما يمكن أن نسميه إعجازا عقديا وتشريعيًا وأخلاقيا واجتماعيا واقتصاديا، وكذلك ما يعرف في هذا العصر بالإعجاز العلمي شريطة أن يكون منضبطا بضوابط حددها أهل العلم، فهذه التحديات قائمة لأهل هذا العصر وكل عصر، وغير العرب أولى بها من غيرهم لما حازوه من تقدم علمي دنيوي كبير"³.

- الخطاب القرآني والعرب:

احتج منكرو عالمية الخطاب القرآني، على اختصاصه بالعرب دون غيرهم ببعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزَّكَرٌ لِّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ٤٤﴾⁴، وقوله جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠﴾¹.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص-ص: 199، 200.

2- ناصر بن سليمان العمر، داعية وباحث أكاديمي، المشرف العام على موقع المسلم (السعودية).

3- ناصر بن سليمان العمر، مقال بعنوان: عالمية الخطاب القرآني، ضمن كتاب "رسالة القرآن"، تأليف مجموعة من الباحثين، ص: 68.

4- سورة الزخرف، الآية: 44.

والم تأمل في هذه الآيات لا يجدها تدل على مرادهم وزعمهم، بل أقصى ما فيها أن الله سبحانه وتعالى اختص العرب بشيء من الفضل والشرف عن سواهم، فهم حملوا هم الدعوة وكافحوا من أجلها وأوصلوها إلى غيرهم كما تلقوها دون زيادة أو نقصان، فنالهم بعض الشرف والفضل، قال ابن كثير _ رحمه الله _ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، قيل: معناه الشرف لك ولقومك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، واختاره ابن جرير، ولم يحك سواه... وقيل معناه: "وإنه لذكرك ولقومك"، أي لتذكيرك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم"².

3- الخطاب القرآني وأهل الإيمان:

واحتج الذين ينفون عالمية الخطاب القرآني بأنه خاص بالمؤمنين فقط، وأن حجته لا تقوم إلا على من يؤمن به، لأن من لا يؤمن به لا يلزمه أن يصدق بما فيه ويقر به، فكيف يكون حجة عليه؟ وهذا يثبت أن خطابه ليس عالميا، وإنما منحصرًا وخاصة بالمؤمنين به.

الجواب: أن هذه الحجة من الحجج الواهية الساقطة، ولكن قد ينخدع بها كثير من أهل الإيمان، ولكنها حجة مردودة ولا اعتبار لها، لأن الكثير من الآيات القرآنية تخاطب الإنسان مطلقا، وتخاطب أهل العقول بغض النظر عن دينهم وعرقهم ولونهم، فقد حاجج القرآن الكريم من يكفر به من المشركين وأهل الكتاب بأدلة عقلية باهرة وقاطعة، قال جل وعلا: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾³، فلم يأتوا ببراهين حقيقية، سوى الاستهزاء والتكذيب.

وهناك آيات كثيرة دلت على حقائق غيبية، كانت غائبة عن أذهان الناس وأسماعهم وأبصارهم ثم أظهرها الله عز وجل، فمثل هذه الآيات لا يمكن للمنصف إلا أن يصدقها ويدعن لها ولصدقها، ولا يمكن لأحد أن ينكرها أو يجحدها فهي عامة وليست خاصة بالمؤمنين، فحجة القرآن قائمة على من آمن به وعلى من كفر به، وما التكريم الرباني في الخطاب القرآني لبني البشر كلهم على اختلاف أنواعهم وألسنتهم ودياناتهم إلا دليل قاطع على عالمية هذا الخطاب الرباني، قال جل وعلا:

1-سورة الأنبياء، الآية: 10.

2-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص: 229.

3-سورة البقرة، الآية: 111.

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾¹.

-تحريف عالمية الخطاب القرآني :

يقوم هذا النوع على الإقرار باللفظ وتحريف المعنى، فتجد المحرف المبدل يقر بلسانه بعالمية القرآن الكريم، ويزعم بلفظه أنه يصلح لكل زمان ومكان، لكنه إقرار زائف، لأنه يفرغ العبارة من معناها الصحيح، الذي هو أن تعاليم القرآن الكريم بقواعده العامة والكلية وأحكامه التفصيلية التي أرادها الله سبحانه وتعالى ليست مختصة بزمان دون غيره، ولا بمكان دون غيره، بل هي صالحة للتطبيق كما أراد الله في كل آن ومكان، وأن في تطبيقها صلاح للزمان والمكان، فهذا هو المعنى الصحيح، لكن المحرف المبدل لا يريد هذا بل يريد أن معاني القرآن تحرف، ونصوصه تلوى أعناقها، بحيث تناسب واقعا خاصا أو عامًا، فتنسجم معه ولا تنكره، فيلغي قواعد النظر وأصول الاستدلال ومدلول الخطاب القرآني، بدعوى أن لكل زمان ومكان مفاهيم وقيما وظروفا ومصالح تختلف عن غيرها، فينبغي أن يفسر القرآن الكريم تفسيرات مختلفة، وتستمد منه أحكاما مختلفة، بما يوافق كل بيئة أو مكان أو زمان، وبما يحقق مصالحها التي تختلف عن مصالح غيرها، فحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله، فإن اختلفت المصالح في الوقت الواحد، فالواجب اختلاف التفسيرات، والقول بها جميعا ولو تعارضت.

ومن تأمل هذه الدعوة علم أن ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، ذلك أنها تقضي على ميزة عظيمة من مميزات الدين الحنيف، وهي ثبات أحكامه وتشريعاته، فتجعلها عرضة للتبدل والاختلاف والتعارض مع نسبة كل ذلك للشرع المطهر، ولكلام الله سبحانه وتعالى، وهو يفتح الباب للطاعنين فيه على مصراعيه ليعارضوا قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا)².

وقولهم حيث وجدت المصلحة فثم شرع الله، كلمة حق أريد بها باطل، فمن قال هذه العبارة من العلماء، لم يرد بالمصلحة ما يتخيله هؤلاء مما تزينه لهم أهواؤهم وأنفسهم الأمارة بالسوء، بل المراد بالمصلحة هنا المعتبرة شرعا والتي دل النص عليها، ولا يجوز لي النصوص لتوافق ماتراه الأهواء مصالح، فلا يجوز مثلا تعطيل حكم الربا بحجة أن المتعاملين بالربا يرى كل منهما في هذا التعامل مصلحة،

1-سورة الإسراء، الآية: 70.

2-سورة النساء، الآية: 82.

فيصرف دلالة الآيات عن مدلولاتها التي تقتضيها الأصول واللغة والقواعد ليحملها على معنى خصصه بهواه وعقله القاصر، وكذلك يقال في تحريم الخمر فلا تلوى أعناق النصوص بحجة أن في بيعها والإتجار بها مصالح اقتصادية مثلا ومنافع أخرى، ويحمل التحريم على معنى يختاره المحرف المبدل للشرع!.

المبحث الرابع: الخطاب القرآني ومناهج تحليله:

ظل فهم القرآن وبيان معانيه مرتبطا بما اصطلح عليه "بعلم التفسير" حتى تقرر لدى الخاص والعام أن "التفسير" هو العلم الذي يهتم ببيان معاني مفردات القرآن ومعاني جملة، ثم دلالة هذه المفردات والجمل على المباني.

كما ظل أهل العلم هم "المفسرون" الذين اجتمع فيهم من المؤهلات المعرفية ما يمكنهم من إدراك مراد الله تعالى فيما جاء مشكلا من آيات القرآن الكريم، وكشأن جميع العلوم والمعارف فإن للتفسير أصولا وقواعد وآدابا وشروطا وضوابط، هي التي تضبط عمل المفسر موضوعيا ومنهجيا.

وقد شهد العصر الراهن دعوات ينادي أصحابها بإعادة النظر في مجمل التراث التفسيري المتراكم على مر القرون، هذه الدعوات أصحابها كتاب معاصرون، أغلبهم يفتقدون للشروط التي تجعلهم يصنفون مع كبار المفسرين، كما أن أغلب دعواتهم هدفها هدم أصول التفسير وقواعده وضوابطه، وتعويض ذلك بما اصطلح عليه "بمناهج تحليل الخطاب" أو "بالمناهج المعرفية المعاصرة" أو "بآليات فهم الخطاب وتحليله".

وقبل التطرق لمذاهب المعاصرين وآرائهم بخصوص تطبيق مختلف هذه المناهج المعرفية المعاصرة وآليات تحليل الخطاب الحديثة، على الخطاب القرآني، وما يترتب عن ذلك بالنسبة لفهم كلام الله تعالى وتفسيره، ثم آثار تطبيق هذه المناهج سلبا وإيجابا على الدرس القرآني... قبل كل ذلك ينبغي علينا أن نحدد ونضبط قضايا المصطلح التي يثيرها الموضوع.

- مصطلح المنهج في الدراسات الإنسانية:

يطلق المنهج والمناهج في اللغة ليراد به الطريق الواضح، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا¹﴾.

ثم صار هذا المصطلح يعني إجمالا: "طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية"²، وفي عصرنا الراهن فإن هذا المصطلح يدل على معان منها:

أ. مجموع الطرق التي يتبعها العقل من أجل اكتشاف الحقيقة والبرهنة عليها.

1-سورة المائدة، الآية: 48.

2-سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة، (1977)، ج1، ص: 36.

- ب. مجموع الطرق العقلية المتبعة من أجل الوصول إلى غاية.
 ت. القواعد التي يتأسس عليها تعليم أو تطبيق فن أو تقنية.
 ث. وسيلة لوصف الطريق التي يجب اتباعها.

إلى غير ذلك من المعاني المتقاربة، غير أن المعنى الأول هو الذي يطغى على المصطلح حين نقوم بإطلاقه، فالمراد من هذا المعنى ينصرف إلى:

- إما اكتشاف الحقيقة.
 - وإما البرهنة والاستدلال عليها.

وأهمية هذه المناهج في الدراسات الإنسانية تتجلى في أنه يشكل حاجزا بين الذات والموضوع، أي بين الدارس أو الباحث غير المجردة من الخلفيات والأفكار المسبقة، والأحكام القبلية، وبين الموضوع المطروح الذي قد يقوّل أشياء بعيدة عن دلالته¹ فالمنهج من هذا المنظور يعتبر:

- 1- وسيطا بين الدارس والموضوع المدروس.
 2- كما يحظى بخاصية الاستقلالية عنهما معا.

وهو بهذه الخاصية يعتبر "رديف الآلة في العلم المعاصر"².

وخلاصة الكلام أن المنهج هو: "الطريقة التي تضمن للباحث أن يصل إلى الحق الذي يتبعه، ولا يضل في السعي إليه بين السبل المتشعبة، ولا يلتبس الباطل عليه بالحق فيركن إليه ظانا أنها الحق الذي يبحث عنه ويسعى إليه، سواء كان هذا الحق الذي يبحث عنه خبرا يريد أن يبين صحته أو يعلم مضمونه، أم أطروحة علمية يريد أن يعرف دلائل صحتها أو بطلانها"³.

1- عبد الرزاق هرماس، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب، كلية الآداب - جامعة القاضي عياض بني ملال - المغرب، د ت، ص: 17.

2- عبد الله الغدامي، تشريح النص، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص: 72، 73.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق 1408هـ، ص: 60.

"ولا تكاد توجد أمة ذات حضارة يخلو تاريخ فكرها من اهتمامها الكبير بهذا الموضوع، لكن هذه الأمم تتفاوت في تصورهما لقضية المنهج ودوره، اعتبارا لتطورها الفكري وثوابت عقيدتها واستيعابها لأهمية المنهج في مجال البحث"¹.

- فهم الخطاب القرآني في ضوء المناهج المعاصرة:

ظل القرآن الكريم منذ نزوله إلى اليوم موضوعا للدراسة والبحث والتفسير والقراءة... ولا يوجد كتاب على وجه الأرض نال من الدراسة والاهتمام والعناية، مثل ما نال القرآن الكريم، فقد تلقاه المسلمون منذ الصدر الأول من السلف الصالح واشتغلوا به حفظا وفهما وتدبرا وتفقهها وتلاوة... واتسعت محاولات فهم القرآن الكريم، وتضاعفت جهود مفسريه، فأنتج ذلك كما لا يحصى من مصنفات التفسير المختلفة البيانية، والإعجازية، واللغوية، والعقدية، والفقهية، والإشارية الصوفية، والموضوعية...

والباحث اليوم في تاريخ وتطور "علم التفسير" يصادف بسهولة كيف انعكست كل المؤثرات الثقافية والفكرية التي شهدتها البيئة الإسلامية، على هذا العلم، رغم تعدد وتنوع واختلاف هذه المؤثرات، إلا أن الاتجاه الغالب على التصنيف في التفسير ظل وفيها للمنهج الذي سار عليه الصدر الأول منذ تلقيه على عهد النبوة، حتى ألف الإمام الشافعي "رسالته"، التي ضمنها الكثير من قواعد وأصول وآداب تفسير القرآن الكريم.

وقد وجدت عبر فترات التاريخ الإسلامي اتجاهات مختلفة حاولت الخروج على هذا المنهج الجامع، ولكنها ظلت منعزلة ومتفوقة تظهر تارة وتختفي أخرى حتى انقرضت، وكان هدف أصحابها من الخوض في التفسير: إما الطعن في القرآن وتحريف أحكامه وهديه، وإما من أجل تأصيل هذه الاتجاهات والنزاعات في البناء العام للفكر الإسلامي.

لكن قدر الله ماض إلى يوم القيامة بما أخبر به من حفظه لهذا الكتاب، من تأويلات الجاهلين وتحريفات الغالين وانتحالات المبطلين².

1- اشتهر في مناهج الأمم القديمة المنطق... لكنه كان منطقا صوريا لم يتخلص من أصوله الوثنية، وقد ظل المنطق الصوري، أساس مناهج البحث قرونا، ونقل إلى لغات وثقافات أمم شتى حتى أذن الله بظهور المنطق التجريبي، في بيئة الإسلام خلال القرن السابع هجري، انظر: سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام.

2- عبد الرزاق هرماس، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب، ص: 29.

وفي العصر الراهن جدت مناهج معرفية معاصرة أراد أصحابها أن يطبقوها على الخطاب القرآني، ويحاولون على ضوئها أن يصلوا إلى فهم جديد للدرس القرآني. ولا شك أن من هذه المناهج ما يوفر أدوات وطرقا ستفيد الدرس القرآني، ومن هذه المناهج ما هو غير صالح أصلا للتطبيق على كتاب الله.

- الخطاب القرآني واللسانيات:

لا ننفي أهمية اللسانيات _ باعتبارها علما يدرس اللغة _ ودورها في فهم الخطاب القرآني، فقد شكلت محورا هاما في الدراسات اللغوية، وطورتها من جوانب عدة، وخدمت اللغة بما أدخلته عليها من تصنيفات وإضافات وضبط لكثير من المفاهيم، ولا يخفى علينا أن الدراسات اللغوية لها دور مهم في التراث التفسيري، ورجع المفسرون منذ الصدر الأول إلى اللسان العربي، إذا أعياهم فهم آية من كتاب الله، أو كلمة من كلمات القرآن الكريم، فإذا وجدت دراسة علمية موضوعية للقرآن الكريم تنطلق أساسا من معطيات علم اللسانيات، وتلتزم بأصول هذا العلم، من غير أن تتخذ مطية لإخفاء نزعة أو هوى، فلا ريب أن هذه الدراسة ستكون إسهاما معاصرا لوصل الدراسات اللغوية التي اهتمت بالقرآن الكريم قديما بنظيرتها حديثا.

1- اللسانيات:

اللسانيات فرع من علوم اللغة الحديثة، أرسى قواعدها العالم السويسري فرديناند دي سوسير 1857، 1913م، وذلك في محاضراته التي أملاها على طلابه بين عامي 1907-1913م¹.

غير أن ولادة هذا العلم لدى كثير من الباحثين الغربيين ترجع إلى مائة سنة قبل "دي سوسير" وذلك لدى الألماني فرانز بوب، سنة 1791، 1867م، وتطورت على أيدي عدد من الباحثين فيما بعد أمثال: بريس باران، الذي كتب كتابه "أبحاث في طبيعة اللغة ووظائفها" سنة 1942م، وبول شوشار الذي كتب كتابه "اللغة والفكر" سنة 1956م، ونعوم تشومسكي في

1- ينظر: رونالد ايلوار "مدخل إلى اللسانيات" ترجمة: بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي السورية، مطبعة جامعة دمشق، 1400هـ، 1980م، ص: 45، 46.

وينظر: ليونارد جاكسون "بؤس البنوية" ترجمة: نائر ديت، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2001م، دط، ص: 72، 73.

كتابه "اللسانيات الديكارتية" و"الطبيعة الشكلية للغة" نشره سنة 1966م، وغيرهم من أمثال: رومان جاكوبسون و إيميل بنيفيست¹.

تقوم اللسانيات على اعتبار اللغة مجموعة مصطلحات أو علامات ارتضاها المجتمع حتى يتيح للأفراد أن يمارسوا قدراتهم على التخاطب²، يقول دي سوسير: "اللغة نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة المواضع التي يتبناها الكيان الاجتماعي يمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة"³.

ويميز دي سوسير بين اللسان والكلام، فاللسان هو مجموع الكلمات التي يملكها المجتمع والتي تدون في المعجم، بينما الكلام هو ما يملكه الفرد من مصطلحات في ذاكرته أو قاموسه اللغوي⁴.

واللسانيات علم من علوم اللغة يقوم على النحو، ويستند إليه، ويمكن لهذا العلم أن يكون حياديا ويقوم بدوره في خدمة البحث اللغوي، وإثراء عمليات الاستدلال، إلا أن الأمر لا يحدث على هذا النحو المراد، فمأهوه موجود في الواقع، يخالف حقيقة هذا العلم وتوظيفه، والسبب في غاية الخطورة وهو أنه نشأ وارتبط بتاريخ فلسفي بموجب الشك والعدمية واللاأدرية، وانعكس عليه ذلك في الدراسات التطبيقية إن على مستوى الدراسات الغربية أو على مستوى الدراسات العربية، فالخلفيات الفكرانية هي التي توظف هذا العلم بطريقة تخدم توجهاتها وأغراضها⁵.

واللغة تدريجيا أصبحت عبارة عن تراكيب وأنساق من مفردات لغوية ترمز لعمليات ذهنية في إطار رؤية سياقية، وبهذا فهذا التطور يعبر عن ابتعاد تدريجي عن الوضوح والشفافية الأولى التي كانت تتميز بها اللغة كما منحها الله عز وجل للبشر، وتحولت فيما بعد على يد شتراوس وياكوبسون ورولان بارت وميشال فوكو إلى ألغاز وشفرات، وتطور مفهوم العلامة إلى رمزية معقدة لا يمكن أن تعني

1- ينظر: عبد السلام المسدي "مباحث تأسيسية في اللسانيات"، ص: 24-27.

2- ينظر: عبد الله الغدامي، "الخطيئة والتفكير من النبوية إلى التشريحية"، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية ص1، 1405هـ، 1985م، ص: 139، 27.

3- فرديناند دي سوسير، "دروس في الألسنية العامة"، ترجمة: صالح الفرماوي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب طرابلس ليبيا، تونس 1985، ص: 29.

4- أحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، ط1، 1428هـ، 2007م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ص: 688، 689.

5- ينظر: عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من النبوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، 1978، ص: 269.

شيئا، ولكنها يمكن أن تعني كل شيء، وهذا يذكرنا بقول طيب تيزني: "إن القرآن يقول كل شيء ولا يقول شيئا"!!!

وهكذا نرى أن مفهوم العلامة في علم اللسانيات استغل لكي يصبح أساسا تبنى عليه مختلف النظريات اللاحقة كالبنوية والتفكيكية وغيرها التي تحاول أن تقرأ في النص كل شيء، وهو ما يحاول دعاة القراءة المعاصرة أو الجديدة، أن يقرؤوا به الخطاب القرآني.

2- البنيوية:

جاء في كتاب "مفهوم الواقع في التفكير العلمي" لسالم يفوت، أن لفظ البنيوية "جاء لفظا لبنيوية من البنية، وهي كلمة تعني الكيفية التي شيد عليها بناءها، وبناء على ذلك أصبحت الكلمة تعني الكيفية التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما، أي أنها تعني مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى، وبحيث يتعدد هذا العنصر بعلاقته بتلك العناصر، فالبنية هي مجموع العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما، بحيث تكون هناك أسبقية منطقية لكل على الأجزاء، وعلى هذا فالبنوية تهتم بكشف الارتباطات القائمة بين البنيات المختلفة بعضها ببعض"¹.

والبنوية: "تعني في معناها الواسع بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات والعقول واللغات والآداب والأساطير، فتتنظر إلى كل ظاهرة من هذه الظواهر بوصفها نظاما تاما، أو كآلا مترابطا، أي بوصفها بنية، فتدرسها من حيث نسق ترابطها الداخلي لا من حيث تعاقبها وتطورها التاريخيين كما تعني أيضا بدراسة الكيفية التي تؤثر بها بنى هذه الكيانات على طريقة قيامها بوظائفها.

أما في معناها الضيق والمألوف فالبنوية محاولة لإيجاد نموذج لكل من بنية هذه الظواهر ووظيفتها على غرار النموذج البنيوي للغة، وهو النموذج الذي وضعته الألسنية في أوائل القرن العشرين....

1- سالم يفوت، مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، منشورات كلية الآداب، د.ت، ص: 291.

ويمثل كتاب فرديناند دي سوسير "محاضرات في الألسنية العامة" نسخة باكراً من النموذج النبوي للغة، أما محاولات تطبيق هذا النموذج على الأدب فتعود إلى عام 1928م، حين وضع كل من جاكسونوتينيانوف برنامجاً بهذا الخصوص وكانت تلك بداية النبوية الأدبية¹.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن النبوية اللغوية مرتبطة جينياً باللسانيات لأنها أتاحت للوعي أن يكشف خبايا اللغة الطبيعية، فاللغة هي الرحم الأول لنشأة المعيار النبوي، فهي على ذلك فرع من الألسنية².

والنبوية الأدبية تعرف بأنها: "الكشف عن النسق أو النظام الكلي الذي يفترض وجوده وانتماء النص اللغوي إليه، وذلك عن طريق دراسة الأنساق الصغرى"³.

وإذا كان الفرنسي كلود ليفي ستروس يعتبر من أشهر مؤسسي النبوية، إلى جانب مفكرها المشهورين أمثال ميشال فوكو، ألتوسير، رولان بارت، فإن رومان جاكسون يعد أول من نحت مصطلح "النبوية" في مؤتمر عقد سنة 1929م.

ولكن الملاحظ على مختلف الدعوات التي يريد أصحابها تطبيقها على الخطاب القرآني أنها لا تعتمد على علم اللسانيات، لما يعرف عن هذا العلم من انضباط، بل أن أصحاب هذه الدعوات يؤكدون على ضرورة استخدام ما اصطاحوا عليه "باللسانيات النبوية" لأن:

1- النبوية تقرر عدم وجود قراءة (أو تفسير) بريئة لأي نص من النصوص، فهذه الخاصية تسمح بإسقاط مختلف البدع على القرآن الكريم.

2- وبالرجوع إلى مختلف ما خلفه أصحاب هذه الدعوات لا نكاد نجد أي أثر لعلوم اللسان، اللهم إلا بعض الأقوال القليلة المنسوبة لبعض علماء اللسانيات المعاصرين، التي تتكرر وتتردد لجاذبيتها حتى تلبس على القارئ العادي.

3- ثم إن النبوية باعتبار ظروف نشأتها وتطورها، فقد انحصرت دائرة اهتمامها بدراسة الأساطير، وهذا واضح من خلال كتابات مؤسسها ((ليفى ستروس))، خاصة كتاب "المدارات الحزينة"، وكتاب "الأثنوبولوجيا النبوية".

1- ليونارد جاكسون "بؤس النبوية" ص: 44، 43.

2- عبد السلام المسدي، قضية النبوية، دراسة ونماذج، دار الجنوب للنشر، تونس، 1995م، ص: 14، 100.

3- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص: 201.

4- وكثيرا من الباحثين العرب المنبهين بها والعاملين في مجال تطبيقاتها يشهدون بأنها لا تستحق وصف "علم"، ولا تصلح منهجا لدراسة علوم الإسلام البتة.

5- فضلا عن هذا كله، فإن "النبوية" منذ أوائل السبعينيات مسألة تجاوزها الزمن، رغم أن بعض الكتاب العرب لا يزال مفتونا بها حتى اليوم، وذكر الكاتب جابر عصفور في مقدمة ترجمته ل:

"عصر النبوية"، في الصفحة السابعة بأن سنة 1968م، شهدت انفراط عقد النبيين على نحو لم يبق معه مخلصا للأفكار النبوية، سوى كلود ليفي ستروس الأب الروحي للحركة كلها.

هذا باختصار عن "القراءة" النبوية، أو تفسير القرآن اعتمادا على اللسانيات النبوية.

أما عن "القراءة" الماركسية فهي تحمل في طياتها عوامل رفضها، وأسباب فنائها وموتها، وكل ما في الأمر -على ما اعتقد-، أن حنفي، ونصر حامد أبو زيد، ومن على شاكتهما وصلوا متأخرين إلى حفل تأبين الأيديولوجيا الماركسية في العالم بأسره - وليس في الوطن العربي فحسب - فأبوا إلا إطالة الاحتفال، وكان الأولى بهم أن يتذكروا أهل الفقيد يدفونونه في صمت ودون إحراج أو إزعاج¹.

3-التفكيكية:

لم تعمر النبوية كثيرا فقد دفنت في سنة 1966م، بعد محاضرة جاك دريدا المشهورة في مؤتمر "جونز هوبكنز" والتي تعد أساس ما يعرف الآن بالتفكيك، والتفكيك أو التقويض هو مصطلح أطلقه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا على القراءة النقدية التي اتبعها في مهاجمته للفكر الغربي "الما ورائي" منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا والقراءة التفكيكية هي قراءة مزدوجة تسعى إلى دراسة النص أيا كان دراسة تقليدية أولا لإثبات معانيه الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به، ويمكن القول إن دريدا يسير على أثر كل من "نتشه" و"هايدغر" في فلسفتها العدمية والهدمية².

وتعتبر التفكيكية من أهم المناهج النقدية التي ظهرت في الفترة المعاصرة، وهي:

1- عبد الرزاق هرماس، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب، ص: 48.

2- ينظر: سالم يقوت، مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، ص: 291-293، وعبد السلام المسدي "النبوية"، ص:

-لغة: مشتقة من الفعل "فكك" حيث يقال: "فككت الشيء إذا خلصته، وكل متشابكين فصلتهما فقد فككتهما، وكذلك التفكيك"¹، وهكذا فالمراد اللغوي والمقصود من كلمة "التفكيك" هو: "الفرز والفصل والتنقية وجعل الشيء خالصاً"².

-اصطلاحاً:

المفهوم الاصطلاحي للفظة التفكيك، يعني أنه: "شكل من أشكال التفكير، أفاد أصحابه والذين مارسوه من كل الإنجازات الفكرية التي تحققت في مجال اللغة، والسيما، والإناسة، والتاريخ والإبستمولوجيا، والتحليل النفسي، وما سواها، من الفروع التي شهدت طفرات معرفية أو ثورات منهجية..."

يقوم على تجاوز المنطوق أو المطروح إلى المستبعد أو المسكوت"³، وذلك عن طريق الحفر في المعاني العميقة للنصوص والبحث عن خباياها وخفاياها التي لا يمكن الإمساك بها بالوعي المباشر فالتفكيك ممارسة نقدية متكاملة، تجمع بين مناهج مختلفة تنطلق من نقد فلسفة الثبات والحضور والأنساق المغلقة وفكرة الثنائيات والمركزية العقلية وأحادية المعنى، لحساب فلسفة الغياب والأنساق المفتوحة وتعددية المعنى، وهذا ما يجعل البحث في أصوله عملية عميقة، لأنه يرجع إلى تضافر مجموعة من الفلسفات والمناهج استفاد منها جاك دريدا.

يرى علي حرب في كتابه "الممنوع والممتع" ص23، أن التفكيك أهم آليات الفلسفة الغربية المعاصرة في التحليل والنقد للفلسفات الكلاسيكية والخطابات ككل، ظهر مع "نيتشه" الذي يعتبر أول من فكك الخطاب الفلسفي بتوجيه سهام النقد إلى مفهوم الحقيقة، ثم جاء "هيدغر" واضع المصطلح ومستعملاً إياه في نقد الأنطولوجيا الكلاسيكية، وبعده جاء "ميشال فوكو" الذي استعمل المنهج الحفري في تحليل الخطاب حين استعمل الحفر كشكل من أشكال التفكيك، إضافة إلى جيل "دولوز" الذي قام بتفكيك المتعاليات، و مفكرون آخرون من البنيويين أمثال: "ألتوسير"، و"لاكان"، و"ليني ستراوس".. هذا يبين أن مسيرة التفكيك امتدت من الفلسفة المعاصرة إلى فلسفة ما بعد الحداثة انعكست بصورة كبرى على تطور الفكر الفلسفي باعتباره أهم آليات تحليله وهي ما أثرت

1- ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، مصدر سابق، ص: 85.

2- حكيمي محمد رضا، المدرسة التفكيكية، دار الهادي، بيروت لبنان، ط1، 2000م، ص: 13.

3- حرب علي، الممنوع والممتع، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط4، 2005م، ص: 24.

بصورة كبرى لدى الفلاسفة المشتغلين على النص القرآني في تحليل خطاب الوحي، ولا سيما إن كان يحمل تحت رايته مناهج لا تحصى ولا تعد، ويعبر عن تضافر جهود كبار الفلاسفة المتأخرين.

يقول شوقي الزين محمد في كتابه "تأويلات وتفكيكات" أن: "الأسئلة من قبيل: كيف نفكر بالاختلاف؟ كيف نفكر في الاختلاف؟ وكيف يكون تفكيرنا هو الاختلاف؟ هي نتائج قراءة دريدال هوسرل وقراءاته لهيغلونيتشه وهيدغر وفرويدودوسوسير ومفهومه للعلامة"¹.

فالتفكيك ترعرع في أرضية فلسفية متعددة المشارب تبين أنه كان بمثابة النقد التكاملي للنص: "حيث أصبح النص القرآني من خلاله مجالاً للمحتجب وفضاء دلاليًا للمسكوت، فهو استنطاق كل ما همش واستبعد ووقع في مجال اللا مفكر فيه في الخطاب القرآني"².

4- الهرمينوطيقا :

والهرمينوطيقا: اتجاه في تأويل النصوص اكتسب دلالات متنوعة حسب الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، وحسب تطور الدلالات التاريخية والمفاهيم التي اكتسبها على مر الزمن.

ويرجع أصل المصطلح إلى اللغة اليونانية فهو مشتق من HERMENEVEIN بمعنى: يفسر ويوضح، وقيل: إن هناك ارتباطاً في الجذر المعرفي بين الهرمينوطيقا وبين هرمس رسول الآلهة عند الإغريق، وقد يرجع هذا الارتباط إلى طبيعة الرسول بوصفه وسيطاً يقوم بمهمة الشرح والتوضيح لمضمون النص إلى المخاطب به، وما يجعل الأمر يدور بين نص ومفسر لهذا النص، ومن ثم ترجع الهرمينوطيقا في أول دلالاتها إلى معنى "التفسير" بغض النظر عن جذرها اللغوي.

وقد حافظت الهرمينوطيقا على هذه الدلالة في دائرة الدراسات اللاهوتية، لتشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني.

وبما أن التفسير اللاهوتي كان مختصاً بتفسير الكتاب المقدس فمن الطبيعي أن يكون اهتمامه منصباً على فهم لغة النص، الأمر الذي جعل استدلالاتهم ترتكز على مباحث الألفاظ والمعاني والبيان، ولكن الواقع يبين أن الهرمينوطيقا تنحو منحى لسانيا خالصاً، فهي تهتم بفقهاء اللغة لتفسير

1- شوقي الزين محمد، تأويلات وتفكيكات، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 2002م، ص: 187.

2- حمادي هواري، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران، السنة: 2012، 2013م، ص: 56، 57.

النصوص، وتوضيح الغموض، ورفع اللبس الذي يسببه قدم المخطوطة، ومن ثم يصبح الهرمينوطيقي عالما لغويا بامتياز، يوظف علمه في تفكيك النص الديني من أجل بيان الغامض وتوضيحه. فالهرمينوطيقي مترجم، يجعل بفضل معارفه اللسانية الغامض قابلا للفهم، وذلك باستبدال الكلمة التي لم تعد مفهومة بكلمة أخرى تنتمي إلى الحالة اللغوية الخاصة بالقارئ الذي يترجم له هذا الهرمينوطيقي.

وهذه الآلية رغم تنوعها وتعددتها من كلاسيكية وفلسفية ورومانسية...إلا أن المفكر الألماني "شلايرماخر" [1768، 1834م] يعد أهم مؤسسي الهرمينوطيقا الحديثة وجعلها أكثر فاعلية فأصبحت حاضرة في تفسير كل النصوص، فأصبحت على يده علما مستقلا، هو: علم فهم النص الذي يضبط قوانين الفهم والتأويل، وشلايرماخر هنا يساوي بين النصوص الدينية وغيرها، على اعتبار أن النصوص الدينية هي عبارة عن جهد بشري. وتقوم نظرية شلايرماخر على أن لكل نص جانبين:

الأول: موضوعي: ويتمثل في لغة النص، والمعنى اللفظي المباشر لألفاظ النص، وهو يعتمد على معرفة اللغة، وبعض القواعد اللغوية والأدبية، وهذا الجانب مشترك بين المؤلف والآخريين العارفين بلغته وقواعدها.

الثاني: الذاتي: وهو فكر المؤلف وذهنيته وقصده، وهو المعنى الكامن في ذهن المؤلف، حيث إن النص كالكتابة ممتزجة بإحساسات الكاتب، وقد أودع داخله ما يدور في ذهنه من إحساسات ونوايا في قالب ألفاظ وعبارات وكلمات.

لهذا وصفت هرمينوطيقية شلايرماخر بالرومانسية، لأنها تؤكد دور المبدع، ونقد النص تعبيرا عن عالمه الداخلي كما هو معروف في مدارس الأدب الرومانسي.

وباعتبار أن شلايرماخر رجل دين بروستانتى ليبرالى يرى أن الدين هو شكل من أشكال الظهور والتجلي بالنسبة للروح البشرية ينبغي للناظر أن يحترم خصوصيته، وهو في تفسيره للنصوص يهتم بالجانب اللغوي، وهذا أمر مهم في تفسير النصوص عامة، كما يهتم أيضا بنفسية المؤلف، بل يرى وجوب معرفة نفسية المؤلف والعيش معها، والتغلغل فيها، وهذا إن كان مفيدا وجديا في تفسير النصوص الكلاسيكية والنصوص البشرية بشكل عام، إلا أنه لا يمكن مع القرآن الكريم، إلا إذا افترض المؤلف أن القرآن بشري المصدر، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله، وأن الثقافة السائدة في

ذلكم الوقت أسهمت في تشكيله، وهذا ما قاله نصر حامد أبو زيد: "إن القرآن نص ديني ثابت من حيث منطوقه، لكنه من حيث يتعرض له العقل الإنساني ويصبح مفهوما يفقد صفة الثبات، إنه يتحرك وتتعدد دلالاته، إن الثبات من صفات المطلق المقدس، أما الإنساني فهو نسبي متغير، والقرآن نص مقدس من ناحية منطوقه، لكنه يصبح مفهوما بالنسبي والمتغير، أي من جهة الإنسان، ويتحول إِنْصَاحاً إنسانياً (يتأنسن)، ومن الضروري هنا نؤكد أن حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندري عنها شيئاً إلا ما ذكره النص عنها ونفهمه بالضرورة من زاوية الإنسان المتغير والنسبي، فالنص منذ لحظة نزوله الأولى _ أي مع قراءة النبي له لحظة الوحي _ تحول من كونه نصاً إلهياً وصار فهماً (نصاً إنسانياً)، لأنه تحول من التنزيل إلى التأويل"¹.

وقد أثرت آراء شلايرماخر في الفيلسوف الألماني ديلتاي [1833-1911م] فبحث عن منهج للتفسير والفهم الصحيح في مجال العلوم الإنسانية وهو الشخصية المهمة الثانية في عالم التأويلية الرومانسية الذي فتح آفاقاً جديدة فيها.

القائلة بأن القضايا التي لا تقبل التجربة _ كالقضايا الميتافيزيقية _ فارغة من المعنى، كل ذلك أدى إلى أن يسيطر على أذهان علماء المنهج آنذاك، هذا التصور بأن العلم الصحيح، والحقيقة المطلقة، إنما يمكن الوصول إليها من خلال العلوم التجريبية فحسب، ولا يتيسر ذلك في غيرها، وقد أسلفنا أثر ذلك في محاولة إخضاع الغيبات للعلم التجريبي، مما أدى إلى عدم الإيمان بها وردّها.

والسبب في عدم الوصول للفهم الموضوعي للقضايا التاريخية هو أن تلك الموضوعات التاريخية بمعناها الشامل لجميع الإبداعات والأعمال الفنية والأدبية، والنصوص الدينية، والآراء الفلسفية، والحوادث التاريخية، إنما نشأت في إطار العناصر الفكرية والمعرفية والثقافية لعصرها بينما المفسر أو العالم أو المؤرخ أو الفنان الذي يسعى لفهم معطيات العصور السابقة تحيط بوعيه وذهنه العناصر والمعايير الفكرية والثقافية والمعرفية لعصره، فالمؤلف في عصر، والمفسر في عصر آخر².

ونلاحظ هنا أن "ديلتاي" وضع بدور المنهج التاريخي لفهم النص يشترط أن يعيش المفسر في عصر النص، ويفسره وفق ظروف وأحوال ذلك العصر، وهذا إن استقام مع الأعمال الأدبية والفنية،

1- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، دار ابن سينا، القاهرة، ط2، 1993، ص: 93.

2- دلال بنت كويران السلمي، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته، (رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن) 1435هـ/2014م، ص: 23، 27، 32.

إلا أنه لا يمكن تطبيقه على النصوص الدينية، فقصر فهم الدين والوحي على الأولين ممن عاصروا نزول الوحي وإعفاء الباقيين منه من لوازم هذا المنهج، وفلاسفة كديلتاي ليس لديهم في هذا التصور وهذا المفهوم مشكلة؟ فتلك مهمتهم، وذاك عملهم، وهذه طريقتهم، لهذا وضعوا تلك المناهج، وإنما يقع التناقض المنهجي والفكري ممن يحاول تطبيقها على القرآن، ثم يزعم أنه مؤمن به وبالدين عموماً، فلا يستقيم أن يؤخذ المنهج دون الأصول الفكرية المؤسسة له.

وإذا كانت الهرمينوطيقا عند شلايرماخر تنظر للنص بوصفه تعبيراً ذاتياً، فهي عند ديلتاي تعتبر النص تموضعا نفسياً، أما "هايديجر" فهي عنده تجربة وجودية، تتجاوز الذاتي والموضوعي، فالمبدع عند "هايديجر" ليس له إبداع حقيقي، بمعنى أنه ليس هو المنتج والمولد لتلك المعرفة، وإنما هو منفعل بتلك الحقيقة الوجودية، ويحدد منهجية للفهم وهي بأن ينصت المتلقي للنص، كما أنصت المبدع للوجود، فالفهم ليس شيئاً يفعله المفسر، وإنما يدعه يحصل¹.

كما يذهب تلميذه "جادامير" إلى أن للنص بعد إبداعه من مؤلفه، هوية مستقلة عن مؤلفه، وليس من تفسيره "الوصول لقصد المؤلف وفهمه"، فلا أهمية لقصد المؤلف، أو المتكلم، أو الكاتب من عمله وكلامه أو كتابته، كما لا أهمية لفهم مخاطبيه الأصليين الذين كتب لهم النص، وإنما المهم ما يفهمه المفسر حسب معلوماته المتطورة، وأحكامه وآرائه المسبقة، وتوقعاته وأسئلته من النص، وما ينتج من حوار معه، هذه المعلومات والتوقعات التي تصنعها في الغالب المرحلة التاريخية التي يعيش داخلها².

فليس للنص معنى جامد، ولا يرتبط فهمه يقيناً بمعرفة تاريخ ولادة النص وظروفه، وإنما يرتبط بالنص نفسه، وبأفكار المفسر وأفق الشخص، وذهب "جادامير" أبعد من ذلك فصرح في كتابه "الحقيقة والمنهج" إلى أن المؤلف أحد مفسري النص، وفهمه إحدى القراءات ويمكن أن تكون له قراءات متعددة أخرى ولا ترجيح لقراءته على غيرها.

وهكذا نرى أن النص قد فقد معناه الأول الذي وجد له، بل وتنقطع كل روابط الصلة بين النص ومبدعه، لأنه حسب "جادامير" عند اللحظة التي ينفصل فيها النص عن مبدعه يفقد معيارية

1- عبد الكريم الشرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، 2007م، ص: 114.

2- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط5، 1999، بيروت، الدار البيضاء، ص: 35.

الفهم المحدد، ويجعله يتحرك بمعان غير متناهية، ويتغير المعنى باستمرار من جيل إلى جيل ومن ثم لا يوجد أي منهج يستطيع أن يضمن الوصول إلى حقيقة النص¹.

وهذا المفهوم تطور إلى القول بموت المؤلف على يد الفيلسوف الفرنسي رولان بارت² وبهذا نرى أن النص ليس له تفسير نهائي ثابت، وإنما له تفسيرات متعددة لا نهائية:

فكل نص قابل لتفسيرات متعددة حسب تعدد المفسرين وخلفياتهم، ولا تنحصر الحقيقة النهائية عند مفسر معين، لأن كل مفسر خاضع لظروفه، فلا يمكن أن يتساوى فهمه مع فهم غيره، بل حتى مفسر واحد ربما اختلفت تفسيراته باختلاف ظروفه، والنص وإن كان ثابتاً ولكن المفسر متغير، فتحدث امتزاجات متعددة فيكون للنص تفسيرات لا متناهية³.

5- الدراسة الفينومونولوجية:

وهي مدرسة فلسفية معاصرة تعرف بالظواهرية، يعرفها "لالاند" (ت: 1963م) في معجمه الفلسفي بتعريفين اثنين:

أ- تعريف عام وهي: "دراسة وصفية لمجموع الظواهر، كما تتجلى في الزمان والمكان، بالتعارض إما مع القوانين المجردة والثابتة لهذه الظواهر، وإما مع الحقائق المتعالية التي يمكنها أن تكون تجلياتها، وإما مع النقد المعياري لمشروعيتها" في عصرنا هذا تنطبق على منهج هوسرل ونسقه⁴.

وتعود هذه المدرسة في نشأتها وأصولها الأولى إلى "فرنتربرانتانو" (ت: 1917م) الذي يرى أن: "ظواهر الشعور تنقسم إلى ثلاث صور هي: التصور، والحكم، وظاهرتا المحبة والكراهية، وأنلهذه الصور الثلاث حالات ثلاث للقصد أي الإضافة إلى موضوع مقصود، ومتكانت الأحكام بينة بأنفسها وصفت بأنها صادقة، ومتى كانت المحبة متجهة إلى موضوع ملائموالكراهية إلى موضوع غير ملائم وصفتا بأنهما على صواب"⁵.

1- ينظر: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص: 40.

2- رولان بارت: فيلسوف فرنسي، ناقد أدبي، ومنظر إجتماعي، ولد عام (1915م) اتسعت أعماله لتشمل حقولا عديدة، أثر في تطور مدارس عدة كالبنوية، والماركسية، وما بعد البنوية والوجودية (ت: 1980م).

3- ينظر: جدلية الفهم عند غادامير، حسين الموازي، ص: 184.

4- لالاند أندري، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص: 273.

5- يوسف أكرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، 1986، ص: 459.

ويقوم المنهج الظواهري على دراسة ووصف الظواهر التي هي الموضوعات كما تبدو، أي كما هي ماثلة في زمان ومكان معينين، بحيث تسعى إلى التحرر من كل أفكار مسبقة مجردة أو ثابتة أو متعالية أو معيارية وتقوم على الحدس أو التجربة النفسية كطريق للمعرفة التي تكون اتجاهها أو قصدا لموضوع ما بواسطة الشعور، فهي تركز على دراسة الشعور وأنماط العلاقة بالموضوع، ومن أهم رواد هذا المنهج، الفيلسوف الألماني "إيدموند هوسرل" (ت: 1938م) ومن أهم الباحثين الذين استفادوا من هذا المنهج في قراءة التراث وفهم القرآن الكريم، المفكر المصري "حسن حنفي" (ت: 1935م) الذي انطلق منه في تأسيس محاولة جديدة للتفسير "وهي محاولة لتجاوز مناهج التفسير التي عرفها التراث القديم، الكلامية والفلسفية والفقهية والصوفية وتراوحها بين مناهج نصية أو عقلية أو واقعية أو وجدانية، ثم محاولة وضع نظرية جديدة للتفسير تكون جامعة لها كلها، تبدأ من الواقع الشعوري الذي يقدم لنا التجارب الحية التي يقوم العقل بتحليلها ويصل إلى معان تكون هي معاني النص، والتي يمكن إدراكها بالحد من الموجه إلى النص مباشرة أو إلى الواقع المباشر"¹.

فحسن حنفي يستفيد من المنهج الظواهري في فهم الخطاب القرآني، يظهر ذلك عندما يجعل مختلف التفسيرات التي بلورها علماء الفقه والأصول انعكاسا لتجارب شعورية حية، تجعل من أصحابها يتعاملون مع النص على أساس أنه تجربة شعورية ومخزون نفسي، فأساس هذا المنهج هو دراسة الشعور وأنماط العلاقة بالموضوع.

6-آليات ومناهج أخرى:

المناهج الحديثة، وآليات الفهم المعرفية المعاصرة التي اهتمت بالنصوص عامة والخطاب القرآني بخاصة لا يمكن حصرها في اللسانيات أو البنيوية أو التفكيكية... وإنما هناك مناهج متعددة كثيرة، غالبا ما تتداخل مع المناهج السالفة الذكر، دعا الكثير من الفلاسفة والمفكرين والنقاد إلى تطبيقها في مجال قراءة الخطاب القرآني بدوافع مختلفة، وخلفيات متباينة منها ما هو برئ، غرضه الاستفادة من هذه الآليات، وتطبيق ما يتلاءم منها مع الخطاب القرآني، ومنها ما هو غير ذلك، ومن أهم هذه المناهج:

1-حسن حنفي، التراث والتجديد -موقفنا من التراث القديم-، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2002، ص: 185.

-منهج تحليل الخطاب : الذي يعتبر أشمل وأوسع هذه المناهج في فهم الظواهر وتحليل النصوص، وهو بدوره يصعب تحديده وضبطه، فهو يستعين بجملة من المفاهيم والآراء والنظريات والمناهج السابقة قصد فهم مختلف العناصر المشكلة للخطابات، فلسفية كانت أو أدبية أو دينية...أو غيرها من الخطابات المتعددة، ورغم عدم ضبط مفهومه وحصره، إلا أنه يمكن أن يحدد بـ: " هو تحليل استعمال اللغة...دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع مختلفة"¹.

وهذه التحديدات يكتنفها نوعا من الغموض في كونها تتداخل مع آليات أخرى لتحليل ودراسة الخطابات كالأنثروبولوجيا والتحليل اللساني والتحليل النفسي...لذلك "من المستحسن اعتبار تحليل الخطاب التخصص الذي بدل أن يقدم على التحليل اللغوي للنص في ذاته أو التحليل السوسولوجي أو النفسي "لمحتواه" يسعى إلى مفصلة تلفظه مع موقع اجتماعي بعينه، وهكذا يجد "تحليل الخطاب" نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات الفضاء الاجتماعي(المقهى، المدرسة، المحل التجاري...) أو في الحقول الخطابية (السياسي، العلمي...) "².

ويعتبر منهج تحليل الخطاب من أكثر المناهج تداولاً وانتشاراً في الفترة المعاصرة، سعى إلى تحليل مختلف نماذج الخطابات وعلى رأسها الخطاب الفلسفي من حيث جينالوجيته كما تجسد عند "نيشته" (ت 199م)، أو من حيث أركيولوجيته بالحفر في أعماقها وجذورها التاريخية كما هو الحال عند "فوكو" (ت 1986م)، وأثر على المشتغلين بالنص القرآني بصورة كبرى وعلى رأسهم الجابري في تحليله للعقل العربي، وأركون في تحليله للعقل الإسلامي، وأبو زيد في حديثه عن مفهوم النص وتحليله له كخطاب، إذ عند هؤلاء وبفضل تأثرهم بهذا المنهج ولا سيما فلسفة فوكو أصبحوا يفضلون النظر إلى النص القرآني كخطاب قبل كل شيء³.

-الدراسة الأركيولوجية وعلمي تاريخ الأديان والمقارنة بين الأديان : تمثل جملة آليات يستعين الباحث المعاصر بها في قراءة النص القرآني بالدراسة الحفرية له، حيث يحاول الحفر في أعماق الظواهر

1-مانوغونو دومنيك، المصطلحات المفتاحية لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحيان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008م، ص: 9.

2-مانوغونو دومنيك، المرجع نفسه، ص: 10.

3-هوارى حمادي، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، ص: 58.

وجمع كل ما تعلق بها من وثائق ومصادر مادية ومعنوية ولا سيما في مجال الظواهر الدينية كظاهرة الوحي.

-علم تاريخ الأديان: هو علم "يتناول دراسة نمو وتطور أديان تاريخية معينة، حيث يكون محور الدراسة في هذا الفرع متمركزا حول مراحل هذا التطور، مع محاولة تفسير صلة هذه المراحل بالعبادة الأساسية أو الأصلية، كما يتناول البحث في هذا المجال التطور النفسي لمجتمعات دينية خاصة وذلك بالإضافة إلى دراسة المسائل الخاصة بالعبادة، سواء ما تعلق بمؤسسي هذه الأديان أو ما يتعلق بالممارسات التعبديّة التي تسمى الشعائر"¹.

-أما علم مقارنة الأديان: أو المقارنة بين الأديان فهو علم يحاول: " دراسة وتحليل أنواع متعددة ومختلفة من التجربة الدينية من حيث أصولها النظرية وممارستها الواقعية، وذلك عن طريق المقارنة بين الأديان التي هي محل الدراسة"².

والمقارنة بين الأديان لا تهتم بتاريخ دين واحد لذلك فهي أشمل من تاريخ الأديان، فهي تهتم بجميع الأديان، وهي ذات أهمية كبرى في قراءة النص القرآني حيث استخدمها "مالك بن نبي" في قراءة سورة يوسف، مقارنة إياها كما وردت في القرآن الكريم، وكما وجدت في العهد القديم³. وعلى العموم هناك أنواع مختلفة من آليات الفهم المعاصر، تمثل ما ترتب عن التطور الحاصل في هذه المناهج وفي قراءة النصوص وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية ككل، ويبدأ فهمها في مجال القرآن الكريم بأثرها في بناء تصور جديد له، يتجاوز تصوره كوحي إلهي منزل متعال وغيب⁴.

- النظريات التي طبقت:

لكي يكتسب هذا الطرح، في هذه الدراسة طابعا تطبيقيا يعين على الفهم والمقارنة، نتطرق في هذا المبحث لمجموعة من النظريات والأفكار التي أفرزتها حركة الفكر خلال العقود الأخيرة وهي كثيرة نختصرها في النقاط التالية:

1- تركي إبراهيم، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م، ص: 12.

2- المرجع نفسه، ص: 12.

3- انظر: كتاب مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط 1986م، ص: 200-241.

4- حمادي هوارى، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، ص: 59.

1- عكفت شريحة من المفسرين والباحثين على تحقيق العصرية للقرآن الكريم من خلال الحث على المنحى الاجتماعي الذي يركز على استقصاء المدلولات الاجتماعية للنص، وربط ذلك مع أسئلة الواقع المعيش واحتياجات المسلمين فيه.

لا يكاد يخلو من هذه النزعة تفسير خلال القرن الأخير، فهي واضحة في تفسير "المنار" للثنائي محمد عبده (ت: 1323هـ)، ورشيد رضا (ت: 1354هـ)، وسيد قطب (ت: 1966م)، وتفسير المراغي (ت: 1364هـ)، والطاهر بن عاشور (ت: 1910م)، ومحمد جواد مغنية (ت: 1979م)، والتفسير "الأمثل" لمكارم شيرازي (معاصر)، كما لا تخلو منها بحوث واسعة من تفسير "الميزان" للطباطبائي (ت: 1403هـ)، و"قبس من القرآن" للطالقاني (ت: 1979م)، وغير ذلك كثير.

2- كما مال بعضهم لاستيفاء المدلول العصري للقرآن من خلال التركيز على الأبعاد العلمية، ومن أبرز هؤلاء، طنطاوي جوهرى (ت: 1358هـ)، وأحمد خان (ت: 1316هـ)، والأعمال القرآنية لعبد الرزاق نوفل ومهدي بارزكان (ت: 1997م) ومصطفى محمود وغير هؤلاء كثير.

وواجهت هذه النزعة نقدا شديدا، يرجع في جوهره إلى أن القرآن الكريم كتاب هداية، وليس كتاب للعلوم الطبيعية، بالإضافة إلى ما في إقحام العلوم الطبيعية وتحميلها على القرآن من مضار ناتجة عن الطابع المتغير الذي تتصف به هذه العلوم، ويلاحظ أيضا بأن هناك من يطلق على التفسير العلمي بـ "التفسير العصري" بل هناك من يرادف بين العلمي والعصري، ويجمعهما في معنى واحد، وهذا ليس صحيحا لأن العصري أعم وأشمل من العلمي.

3- من النزعات ما يذهب إلى تحقيق المعاصرة القرآنية عبر التجديد اللغوي، وهذه النزعات كثرت في الآونة الأخيرة وانتشرت، وحاول أصحابها فهم القرآن والتعاطي مع نصه الكريم، من خلال التجديد اللغوي، ولا شك أن اللغة دورها ولا ريب في ذلك، ولكن الاكتفاء بها وحدها، أو التركيز المبالغ فيه عليها، بحجة أن القرآن هو نص لغوي يؤدي ذلك إلى مزلق خطيرة، خاصة وأن التجديد اللغوي قد يضرب قواعد اللغة نفسها، ولا يعترف بثوابتها وأسسها، فهو يميل إلى خلخلة اللغة، والتلاعب بالألفاظ والمصطلحات، زيادة على أن دور اللغة هي أنها حاملة للعصرية، ووسيط ينهض بالمعنى العصري، لا أنها بذاتها مستودع العصرية.

4- وهناك تيار يذهب إلى إقحام المنهجيات الحديثة على النص القرآني، لتحقيق القراءة المعاصرة أو العصرية للخطاب القرآني، ومن أمثلة ذلك أعمال محمد أركون وسعيه الدائم إلى توظيف العلوم الإنسانية في هذا المجال، وهذه الدراسات هي التي تهمنا في بحثنا هذا وسنركز عليها بعد ذكر هذه النقاط.

5- توظيف الهرمينوطيقا في فهم النص، مع ما يصاحب ذلك من تنوعات واختلافات ناشئة من الاختلاف في تحديد الهرمينوطيقا، وتعيين دلالات هذه النزعة ومكوناتها، لقد ساوى بعضهم بين الهرمينوطيقا والتفسير، فيما ذهبت شريحة واسعة من الباحثين إلى مقارنة هذا المصطلح بالتأويل، مع الأخذ بعين الاعتبار المسافة الفاصلة بين دلالة المصطلح على التفسير أو على التأويل.

وذكروا أيضا أن مصطلح الهرمينوطيقا يتضمن تطبيقيا ثلاث مراحل، هي: النص، التفسير، المفسر، في حين أرجعه بعضهم إلى ثلاثية: القصد، النص، التفسير، وأشار بعضهم إلى أن هذا المصطلح ينفك عقليا إلى ثلاثة أسئلة، هي: 1- ماهي ماهية النص؟ 2- مامعنى فهم النص؟ 3- كيفية فهم النص؟

لكن على الرغم من هذه التنوعات والاختلافات في المصطلح ودلالته ومعناه، فإن من يقحمه في مضمار التعامل مع النص القرآني، إنما يعني به مجموعة من القواعد والمعايير التي ينبغي للمفسر (مفسر النص) أن يتبعها لفهم النص الديني، وهو القرآن الكريم هنا¹.

وبديهي أن فهم النص (والمقصود به هنا الخطاب القرآني) أو قراءته وتأويله وفق نطاق الظاهرة الهرمينوطيقية، هو غير إدراك معناه اللغوي، وبذلك فإن كل نص يتضمن عددا من القراءات، أو نقل: عددا من الفهوم والتأويلات، التي تحولها إلى قراءات مفتوحة، إما بقصد صاحب النص، وما يراد من النص، أو بفصلها عنه، وما يسقطه قارئ النص مما تفيض به خلفيته من مسبقات ومصدرات، وأخيرا ما يترقبه ويتلقاه المخاطب بالنص من النص².

6- النزعة التأويلية التي تستند إلى إعمال العقل واجتهاد الرأي في تقديم فهم متحدد للقرآن الكريم، ومصطلح التأويل اختلفت الرؤى حوله، وتعددت الأقوال فيه، والذين يعدون التأويل مرحلة تلي التفسير، ويعتبرونه ممارسة ذهنية وحركة نظر عقلية، يأخذون منه مركبا لإنجاز القراءة العصرية، فكثير

1- انظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ص: 13.

2- جواد على كسار، المعاصرة القرآنية، ص: 59، 60، 64.

من الباحثين المعاصرين ولجوا قراءة الخطاب القرآني انطلاقاً من هذا المعنى للتأويل، منهم علي حرب، الذي قال عن النص: "دلالة لا تحصر ومعنى لا يضبط، وإذن فمن الصعب القرار على تفسير واحد أو تأويل وحيد الجانب"¹.

ومن أهم هؤلاء الباحثين المعاصرين الذين اشتغلوا بهذا المفهوم مصطلح التأويل، وقرأ على ضوءه الخطاب القرآني هو نصر حامد أبو زيد².

يرى بعض المتأثرين بكتابات أن الدراسة العلمية والموضوعية غابت عن تقييم أعماله وكتبه، وسط التداخل بين البعدين السياسي والعلمي، فضلاً عن المزايدات الإعلامية والدينية التي اكتنفت قضيته، حتى آل الأمر إلى تكفير بعضهم له.

ويرى آخرون أنه تجاوز كل الحدود، وكانت له مزالق خطيرة، وأخطاء لا تغتفر في كتاباته وغالب أعماله، فتعديه الصريح ومساسه بقداصة القرآن الكريم، لا ينكرها إلا ناكر، بل أن الدراسة الموضوعية عن تقييم أعماله وكتبه هي التي أفضت إلى الحكم على إنتاجاته سلبيًا وإيجابًا.

1- علي حرب، التأويل والحقيقة، دار التنوير، بيروت، 1985، ص: 45.

2- من أشهر أعمال أبي زيد: "الاتجاه العقلي وآليات التأويل" (1992)، "فلسفة التأويل" (1983)، "مفهوم النص" (1990)، "إشكاليات القراءة وآليات التأويل" (1992)، "النص-السلطة-الحقيقة" (1995)، "الخطاب والتأويل" (2000)، "الخطاب الديني، رؤية نقدية" (1992)... إلخ.

- المبحث الخامس: تداعيات تطبيق المناهج المعاصرة في فهم الخطاب القرآني:

لا يمكن لأي كاتب أو دارس أو ناقد أن يبني دراسة فعالة وهادفة للعلاقة بين الخطاب القرآني وآليات فهمه المعاصرة، ما لم يتطرق إلى تداعيات تطبيق هذه الآليات الجديدة، في مختلف القراءات المعاصرة أو الحداثية للقرآن الكريم، وعلى أي باحث في هذا المجال أن يكون له نظر فسيح وعميق، ولا ينحاز لجهة دون أخرى لأن هذه التداعيات لها صلة مباشرة بواقع الناس وتعاملهم مع الخطاب القرآني، في ظل ظهور تيارات مختلفة واحدة أصولية تريد استخدام الآليات الكلاسيكية كأدوات لفهم الخطاب القرآني واستخراج معانيه ومضامينه وترفض بشدة كل المحاولات الداعية إلى استخدام الآليات المعاصرة في فهمه، وأخرى علمانية تتبنى آليات ومناهج غربية معاصرة تريد تطبيقها في فهم القرآن الكريم، مع رفض كل ما هو قديم وكلاسيكي بحجة أن هذا القديم تجاوزه الزمن ولا يواكب التطور العلمي والمعرفي اليوم.

فظهرت صراعات حادة بين أنصار الآليات الكلاسيكية في قراءة القرآن الكريم، وفهمه وتفسيره، وفق هذه الضوابط والقواعد والأسس المعروفة، وبين دعاة القراءات المعاصرة ورواد الأدوات العصرية في فهمه وقراءته وتحليله، وجعلوا الخطاب القرآني محور الصراع، ولا يمكن إنكار أن واقع المسلمين اليوم تسوده صراعات شتى وفتنا كبيرة، وصلت إلى حد الاقتتال بسبب ما ترتب عن تأويل النص القرآني وفهمه، فمن جهة نجد أن هناك تهجم شديد لدرجة تكفير وسفك دماء هؤلاء المجددين، ومن جهة أخرى نجد أن المجددين اتهموا الكلاسيكيين بأنهم سبب التخلف والجمود والانحطاط والإرهاب... وكل ما هو سلب في واقع العالم الإسلامي اليوم، فأنج ذلك ردود أفعال حادة من جهات مختلفة كالفقهاء والمفسرين والمفكرين والنقاد...

- المناهج المعاصرة والخطاب القرآني، دراسة نقدية:

إن نقل آليات القراءة المعاصرة إلى مجال القرآن الكريم، لقي نقدا لاذعا من طرف الكثير من رجال الدين، الذين رفضوا رفضا شديدا إقحام كل من الميرمينوطيقا والتحليل البنوي والدراسة السيميائية والأنثروبولوجيا والتفكيكية في فهم النص القرآني، بحجة تمايز هذا الأخير عن النصوص التي طبقت فيها، وبذريعة مساسها بقداسته وانتهاكها لحرمة وعدم ملائمتها للغته وبيئته.... إذ هاجموا بقوة آراء روادها من أمثال "أركون"، و "أبو زيد"، و "الجابري"، و "حنفي"، و "طيب تيزيني"، و "أحمد خلف"، و "الشرفي"، و "جعيط" و "شحرور"...، وهو ما جعل تطبيق الآليات

المعاصرة في قراءة النص القرآني، محل مؤاخذات مختلفة ونقد لاذع يحمل الكثير من الإشارة، يدفعنا إلى التساؤل: ماهي الانتقادات التي وجهت إلى دعاء استخدام المناهج الجديدة في قراءة القرآن الكريم؟ ألا يعتبر نقلها من النصوص البشرية إلى النص القرآني محفوفاً بالمخاطر والمزالق ولا سيما إن كان يهمل خصائصه ومميزاته كنص ديني موحى به؟ ألا تنتهي إلى الإساءة إليه باعتباره نصاً إلهياً منزهاً عن التحريف والغفلة والنسيان إذا كانت لا تميزه عن النصوص البشرية التي توجد فيها تلك الصفات لا محالة؟

تقوم الرؤية النقدية لتطبيق أدوات الفهم المعاصر في قراءة النص القرآني، على جملة مؤاخذات ألحقها رجال الدين على وجه الخصوص بالقراءة الحداثية أو الفلسفية المعاصرة للقرآن الكريم وأهمها:

1- نقد الأرضية أو المنطلقات التي اعتمدها القراءات المعاصرة:

كما لاحظنا سابقاً فإن الشرط الأول لتطبيق الآليات المعاصرة في قراءة النص القرآني هو تهيئة أرضية مفاهيمية جديدة خاصة وتمييزة حول الوحي القرآني، ترتب عنها اعتبار القرآن الكريم نصاً عادياً وظاهرة وخطاباً، وعدم وجود تمايز بينه وبين غيره من النصوص الدينية والبشرية، إضافة إلى القول بتاريخيتها وأنستته...، كمنطلقات جوهرية لتطبيق آليات الفهم المعاصر في فهمه، ولكن هذه الأرضية الجديدة لقيت نقداً شديداً من طرف الكثير من النقاد، وتعتبر اليوم أهم معوقات تطبيق المناهج المعاصرة في قراءة النص القرآني، وأهم النقاط التي أمطرت وإبلا من النقد على قراءة القرآن الكريم بأدوات الفهم المعاصر من عدة زوايا هي:

أ- نقد وصف القرآن الكريم بالظاهرة: تصور القرآن الكريم عند مختلف رواد القراءات المعاصرة لقي نقداً شديداً من أطراف مختلفة، لأنه "يوهم القارئ بأن الأمر يتعلق بكتاب عادي من بين الكتب التي أدرج موضوعاتها في تلك الظاهرة، وليس الأمر كذلك في الحقيقة إذ شتان بين كلام الله وكلام البشر شتان بين الوحي ومحاولة الفهم"¹، حيث يجعله لا يختلف عن الظواهر الأخرى التي تحدث في الكون -طبيعية أو بشرية- فهي تمثل وصفاً لا يتناسب مع الوحي القرآني عند الكثيرين، باعتباره من أنباء الغيب كما جاء في القرآن الكريم ومصطلح الظاهرة قد يتنكر لغيبية الوحي القرآني،

1- البكاري عبد السلام والصدیق بوعلام، الشبه الاستشراقية في كتاب المدخل إلى القرآن الكريم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ص: 29، 30.

ويكون مسوغا لعدم التمييز بين الوحي القرآني وغيره من الظواهر الطبيعية والكونية كما بدا في تصورات "ابن نبي" و "أركون" ... كما أن فكرة الظاهرة قد تؤدي إلى تدخل الرسول البشري في الوحي في صناعة أحداث يمكن ملاحظتها ومشاهدتها وهذا لا يتناسب مع الوحي، وبالتالي جعل القرآن الكريم ظاهرة كشرط جوهري لإخضاعه إلى الأدوات المعاصرة، يترتب عنه المساس بقداسته وغيبته وتعالیه في إطار ضمه إلى مجموع الظواهر الكونية الأخرى وعدم تمييزه عنها من دون شك سيكون غير مقبول من الكثير من الأطراف.

ب- نقد ربط الوحي القرآني بالإلهام والرؤى الصادقة: لقي ربط الوحي القرآني بالإلهام والرؤيا عند رواد الآليات المعاصرة نقداً شديداً، لأنه امتداد لما ذهب إليه المستشرقون، حيث أن اعتباره عند بعض الفلاسفة مثل: أبو زيد من قبيل الرؤيا الصادقة وضرباً من الإلهام يتلقاه النبي في القلب ثم يحوله إلى رسالة لغوية، مستندا في ذلك على آراء السيدة "عائشة" التي روت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الرؤيا الصادقة في بداية الوحي، يمثل تصورا لقي نقداً شديداً وردود فعل حادة، لأنه ينزل الوحي من السماء إلى الأرض ويزحج قداسته.

ج- نقد عدم التمييز بين القرآن الكريم والنصوص البشرية: جعل النص القرآني ماثلاً لغيره من النصوص هو بدوره أهم شرط لتطبيق آليات القراءة المعاصرة، كالهيرمنوطيقا والسيميوطيقا...، لكن هذا الخلط بين القرآن وغيره من النصوص سواء أكانت دينية ملحقة أو فلسفية وأدبية غير دينية قد يكون سلبياً وغير مراعى لخصوصياته في نظر الكثيرين، وهو ما أثار زوبعة نقدية عصفت بآراء رواد الآليات المعاصرة وحطت من شأنها، محوراً الرفض الشديد لجعل القرآن نصاً كباقي النصوص، ومن أهم الآراء التي لقيت النقد اللاذع في هذه النقطة، آراء "أبو زيد" الذي انتقد تصور الأسلاف للوحي القرآني، مؤكداً أنه جزء من الثقافة العربية ولا يختلف عن الإلهام في الشعر... مصرحاً: "هذا مفهوم للوحي يمكن أن نجده في الشعر كما نجده في القرآن نفسه"¹، وآراء "أركون" التي تصب في جعل النص القرآني غير مخالف لما ألفه البشر من النصوص، بتعويضه بأسماء أخرى، أثارت نقداً كبيراً كقوله: "المدونة النصية التأسيسية، النص الرسمي المغلق، الخطاب النبوي"²، واستخدامه

1- أبو زيد نصر حامد، مفهوم النص، مصدر سابق، ص: 32.

2- أركون محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، المصدر السابق، ص، ص: 148، 149.

مصطلح العبارات النصية القرآنية للآليات القرآنية¹، لكي يجعلها مثل العبارات البشرية، وهدفه في ذلك هنا يكون مقصودا يظهر في زحزحة وضرب صفة القداسة التي يلحقها المسلمون بالقرآن الكريم، كما يدعو إلى تجريده عن صفات الألوهية والتعالى ورفض اختزاله في المصحف، وهذه تصورات تثير الكثير من الاستغراب، ولا سيما عندما تقوم على وجود هوة شاسعة بين الوحي والقرآن كمصحف مدون بصورة رسمية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد حرق المصاحف الأخرى، وبصورة عامة تجاهل الكثير من رواد القراءات الحدائثة لتعالى الوحي القرآني الذي ترتب عنه جعل النص غير مختلف عن النصوص البشرية، هو تجاهل لخصوصياته، يترتب عنه وجود أرضية هشة لتطبيق أدوات القراءات في فهمه، تهمل خصوصيات الموضوع لحساب أولوية المنهج.

د- نقد عدم التمييز بين الديانات والأقوام: عندما نرجع إلى الأرضية التي تتحرك فيها الدعوة إلى تطبيق الآليات المعاصرة في قراءة القرآن الكريم عند مختلف روادها، نجد أنها تتحرك في إطار ما يسمى بالتراث الكلي وتسعى إلى قراءة القرآن الكريم في ما يعرف عندهم بالظاهرة الدينية، حيث تنتكر لخصوصياته واختلافه عن التوراة والإنجيل...، بحيث تنتهي إلى جعل "القرآن نصا دينيا مثلاً نص ديني آخر توحيديا كان أم وثنيا"² وهو ما يظهر عند "أركون" في عدة تصريحات، منها قوله: "إن بنية الميثاق في القرآن كما في التوراة والإنجيل تمثل الإطار والطريق الإجباري من أجل تحقيق شروط النجاة في الآخرة"³، بحيث يتعامل مع الديانات ولا سيما السماوية منها، على أنها تشترك في المنطلقات، والمرجعيات، والأهداف، وبموجب ذلك لا يميز بين ديانات كل المسلمين والنصارى واليهود في قراءاته، ويدعو إلى تحقيق نفس القطيعة الابستيمولوجية التي أحدثتها أوروبا في العقل اللاهوتي في العصور الوسطى، كسبيل لتحقيق النهضة والحدائثة، وكأن هناك تجانس بين الإسلام والديانات الأخرى، والمسلمين والأقوام الآخرين في حين لا يستطيع أحدنا إنكار اختلافها واختلاف ديانتها والكتب المؤسسة لها على وجه التحديد، كما أن "الجابري" بدوره أثناء حديثه عن الوحي القرآني يقيم في كثير من المناسبات مقارنات بينه وبين النصوص الواردة في التوراة والإنجيل دون مراعاة كونها محرفة، كما هو الحال في عرضه لقصة آدم وإبليس التي اعتمد عليها في قراءة سورة الأعراف،

1- أركون محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، المصدر السابق، ص: 138.

2- طه عبد الرحمن، روح الحدائثة، مصدر سابق، ص: 183.

3- أركون محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، المصدر السابق، ص: 83.

كما يتجلى في تعليقه في آخر الصفحة 293 من كتاب "المدخل إلى القرآن الكريم" حيث يصرح أن "اسم إبليس لم يرد في التوراة بل ورد اسم الحية أو التين فهي التي أغوت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، أما في الأناجيل فقد ورد اسم إبليس أو الشيطان على أنه هو الحية ذاتها، على أي لم أعر في التوراة والأناجيل على ما يشبه قصة أمر الملائكة بالسجود لآدم"¹ وبالتالي يعتمد عليها كأها تصورات متماثلة ويتحاشى التصريح ببشرتها أو تحريفها.

هـ- نقد وصف القرآن بالأسطورة وعدم تمييزه عن ظواهر الكهانة والشعر: انطلاقاً من العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة التي يتأسس عليها القرآن الكريم، ينطلق رواد القراءات المعاصرة في بنائها على علاقة مماثلة للتي يقيمها الناس العاديون مع العالم الآخر، إذ يرى "أركون" أن النص القرآني، ذو بنية أسطورية متعالية، ومما لا شك فيه أن هذه الفكرة استقاها من الفكر الأوروبي، وقد لقيت نقداً شديداً حتى وإن ربطها بالقصص القرآني، لأن القرآن الكريم يختلف في مجال القصص عن مفهوم الأسطورة في تصورهما الغربي، كقصة إلهية أبطالها الآلهة وأنصاف الآلهة تعبر عن واقع معين، أما "أبو زيد" فيحلل ظاهري الشعر والكهانة والنبوة وكأنها ظواهر متماثلة، ليبين أن كلاهما تعبر عن الاتصال بين البشر والعالم الآخر، حيث يقارن بين النبوة والكهانة ليؤكد أن كلاهما عملية اتصال بين مستويين وجوديين مختلفين يؤديان إلى معرفة بالغيب، حيث يتخذ المقاربة للدفاع عن موقفه في أنسنة الوحي وجعله ظاهرة ثقافية غير متعالية، ومما لا شك فيه أن هناك اختلاف عميق بين الوحي الذي هو ليس بقول شاعر أو كاهن كما ورد في النصوص المنزلة، وأخيراً "الجابري" بدوره حين ينفي عن القصص القرآني التاريخية هو بدوره لا يميزه عن الأسطورة التي قال بها "أركون".

و- نقد القول بتاريخية النص القرآني: يذهب مختلف رواد القراءات المعاصرة إلى القول بتاريخية النص القرآني، وباعتباره حدثاً أو مجموعة من الحوادث والوقائع، تدخل في إطار الظواهر التاريخية الأخرى، إذ يرى "أركون" أنه مؤرخ ممتاز للوحي ويبحث في تاريخ جديد وشامل له، يربط من خلاله القرآن الكريم بغيره من الديانات كما أشرنا سلفاً، وي طرح مسألة القراءات دون تفريقها عن النص القرآني الأصلي حين يجعل تعددها منطلقاً لتعددده، ويبين أن "الطبري هو من سعى إلى التوفيق بين

1- الجابري محمد عابد، المدخل إلى القرآن الكريم، مصدر سابق، ص: 293.

مختلف نسخ النص القرآني"¹، وتحدث من ناحية أخرى عن أسباب النزول ويبيّن أنها هي من تعكس تاريخية النص القرآني وتفهم الآيات حسب الوقائع، لينتهي أن بعض المفسرين فيما بعد جعلوها "مظلمة وخادعة كلياً، لماذا؟ لأنها تنتمي إلى السياقات الجديدة المبلورة من أجل تلبية حاجات الذاكرة الجماعية (المدعوة بالتراث الحي) لكل فرقة إسلامية"²، فهي في نظره تتماشى وفق إيديولوجية المفسرين، وينتهي بموجب ذلك إلى رفض أفكارهم والإلحاح إلى العودة إلى الفترة الأولى للوحي، وإعادة اكتشافها بالتركيز على المهمش وغير المدون أو الشفهي الذي يعكس حقائق مبعدة تعسفياً، تجعل فيلسوفنا يشكك حتى في النص الأصلي وهو المصحف، وهنا تكون إعادة البحث في الوقائع باسم التاريخية تمرداً على القداسة والتعالى كميزات جوهرية للوحي القرآني أما "الجابري" تكون التاريخية عنده تحتوي الكثير من التذبذب والاضطراب، وتبقى وفيه للرؤية التحزبية التي تتميز بها، إذ يفرق فيها بين وقائع غير تاريخية تمثل القصص القرآني، وأخرى تاريخية تتعلق بالدعوة المحمدية، وبهذا التفريق فإنه "يجعلنا ننفي التاريخية والصدق عن قصص القرآن ونثبتهما لأحداث الدعوة المحمدية التي حفظتها السيرة _ لا يستقيم منهجا علميا بل لا يجوز شرعا"³.

هذه بعض الخصائص التي ميزت الأرضية التي انطلقت منها القراءات المعاصرة في اعتماد آليات الفهم المعاصرة في التعامل مع الخطاب القرآني كظاهرة لا تختلف عن الظواهر الأخرى، وكنص لا يختلف عن النصوص البشرية من جهة والنصوص الدينية المحرفة من جهة أخرى ويخضع لتاريخ الحوادث وغيرها من الخصائص التي تعتبر في نظر مختلف رجال الدين وحتى بعض الفلاسفة من أمثال "طه عبد الرحمن" تمس القرآن كوحي إلهي يمثل "كلام الله الذي أنزله على نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى، بواسطة جبريل، المتعبد بتلاوته، وإعجاز الخلق عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، المنقول إلينا متواتراً وهو كلام الله المنزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة، مسموع بالأذان"⁴، ويعتبر الكتاب النهائي والشامل للحقائق المنزهة عن الغفلة والنسيان دستور المسلمين في حياتهم الدنيوية والأخروية،

1- أركون محمد، القرآن - من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني-، ص: 152.

2- أركون محمد، القرآن - من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني-، ص: 37.

3- عبد السلام بكاري، وبوعلام الصديق، الشبه الإستشراقية في كتاب المدخل إلى القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 270.

4- درباله إسلام محمود، موسوعة علوم القرآن مرجع سابق، ص: 11.

وقد يبدو أن هذا التصور غير مناسب للدراسة العلمية ويجب تجاوزه لتحقيقها، ولكن يجب عدم التدرع بذلك للدمج التام للقرآن الكريم فيما هو طبيعي وبشري في نظر مختلف النقاد.

2- نقد تطبيق المناهج الغربية في قراءة الخطاب القرآني:

تعتبر هذه النقطة أهم النقاط في موضوعنا لكنها في جوهرها مترتبة عن النقاط السالفة الذكر، لأن تطبيق أدوات القراءة في فهم النص القرآني لا يكون إلا بأرضية ومرجعيات سلف تحديدها، وهي ما حالت في نظر الكثيرين إلى تأويلات عبثية وتفكيكات مدمرة، عندما طبقت مختلف آليات الفهم الجديدة في إدراك معاني القرآن الكريم، فعندما نرجع إلى آراء رواد القراءات المعاصرة لا يمكن إنكار عودة بعضهم إلى السلف والصحابة والمفسرين والتابعين وما توصلوا إليه من علوم القرآن وعلوم اللغة ومحاولة ربطها بالتاريخ الحي وتفعيلها حسب العصر في مجال المنهج، لكن نجدهم يتأثرون إلى حد بعيد بمؤسسي المناهج الغربية، كدوسوسير ونيتشهودريدا ودولوز وميشال فوكو، ويعطون الأولوية للمناهج الغربية كالبنوية والهرمينوطيقا والسيمائية والتفكيكية والدراسة الأركيولوجية بحذافيرها في قراءة القرآن الكريم على أنها ملائمة وصحيحة بل ومطلقة، منكرين ومتنكرين للأرضية التي نبتت ونمت وترعرعت فيها وطبيعة النصوص التي طبقت فيها، وهو ما يجعلها تمثل في نظر "محمد عمارة"، ذلك "الذي ينقل كل هذا العبث الغربي، الذي صنعه الهرمينوطيقا الغربية مع اليهودية والنصرانية إلى الميدان الإسلامي... أي أنه مجرد ناقل ومقلد،... ولا علاقة له بأي فقه أو إبداع"¹.

لأن مختلف أفكار رواد القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، تبين أنهم ينهلون من مناهج الغرب بنهم وشغف ودون تحفظ ودون تحقيق شروط البيئة الاجتماعية والثقافية ومراعاة العادات والأعراف، أو احترام المجال التداولي كما يري "طه عبد الرحمن"، حين ينقلون إلى ميدان القرآن الكريم كل ما أفرزه تقدم العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفات المعاصرة من آليات ومناهج قراءة النصوص التي أبدعها الفكر البشري في الفترة الراهنة ويحاولون تطبيقها في قراءة نصوص القرآن الكريم والتراث الإسلامي أو بالأحرى إسقاطها الآلي عليه، مما يجعلهم مقلدين لا مبدعين، وهنا نطرح مشروعية وأسس وغايات نقل المفاهيم من حقل معرفي ودلالي توظيفها في غير حقلها الأصلي عند مختلف رواد تطبيق المناهج المعاصرة في قراءة النص، وكمثال على ذلك ينقل كل من "الجابري" و"أركون" مفهوم الإبستيمي،

1- عمارة محمد، قراءة النص الديني، مرجع سابق، ص: 77.

وهو النظام المعرفي والفكري المشترك بين العقول في فترة ما، لتحليل بعض فترات التفكير الإسلامي من حقل الخطاب الفلسفي الغربي عند "ميشال فوكو" بالتحديد، إلى الخطاب الإسلامي أو القرآني تحديداً رغم الاختلاف في طبيعة الخطابين في مرجعيتهما وأسسهما، التي تجعل الكثير من الباحثين يتساءل عن مدى طبيعة ومشروعية وفعالية وقواعد التوظيف والنقل للكلمات الهائلة من المفاهيم والمناهج من حقل إلى حقل عند رواد القراءات المعاصرة من أمثال الجابري كإلبيستيمي والخطاب والسلطة، لبيّنوا أنها في غالبها "مفردات ليست دقيقة ولا متفقا عليها ولا يمكن أن تكون بريئة"¹، وهنا كيف يمكن الاتفاق عليها في تحليل الخطاب القرآني الذي يتباين في سياقه عن الخطابات التي طبقت فيها؟ ولا بد أن نطرح مسألة طبيعة المفاهيم والمناهج التي تعتبر لب القراءات المعاصرة للقرآن الكريم من حيث مشروعيتها وفعاليتها، حيث لا يخلو نقلها من حقلها الأصلي إلى حقل خطاب آخر كالقرآن الكريم من مزالق كثيرة، كعدم المشروعية واللاجدوى، وكذا لاعتبارات إيديولوجية، ولا يمكن أن تسلم من تهمة فصلها عن السياق الثقافي والاجتماعي والسياسي والديني الذي نشأت فيه، وبالتالي لا يخلوا أن يكون نقلها تعسفياً وتحكمياً من حقل إلى حقل يفتقر إلى طابع العلمية والموضوعية، الذي يتجح به رواد القراءات المعاصرة، وفي هذا الصدد يمكن أن نشير إلى نتائج تطبيق التفكيك كنموذج لأدوات الفهم المعاصر على النص القرآني كما حددها "قاسم شعيب" في كتابه "تحرير العقل الإسلامي" في النقاط التالية²:

- تفكيك النص القرآني ينتهي إلى موت مصدره، لأنه يعتبر منشئه ليس له وجود سابق عليه يموت بعد إنجازه، كما ينكرون أهدافه ومقاصده حين يركزون على ما يقرأ من النص وحده ويتجاهلون مقصد مؤلفه.

- تفكيك النص القرآني يعني وجود النص من خلال قراءته، بحلول قارئه مكان مؤلفه أو منتجه ويترب عنه أن القرآن الكريم كتاب مشتم ومفرق للجماعات وليس موحداً للناس المؤمنين به لأن قارئه هو المحدد لمعناه الذي ينتهي إلى هناك قراءات لا حصر لها للقرآن الكريم.

- يتحول القرآن الكريم عن طريق التفكيك باسم تنوع قراءاته إلى فوضى في المعاني والدلالات وهو ما يجعله يقرأ في أشكال متناقضة تتجاهل الوحدة التي تتمحور حولها معانيه.

1- بغورة الزواوي، ميشال فوكو في الفكر العربي الأصيل، محمد عابد الجابري - محمد أركون - فتحي التريكي - مطاع صفدي، المرجع السابق، ص: 49.

2- قاسم شعيب، تحرير العقل الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1، 2007، ص، ص: 45، 46.

-التفكيك يترتب عنه غياب العلاقة بين الله تعالى كمنتج للنص القرآني والقارئ له، بحيث يمكن أن يفهمه من يؤمن بالقرآن ومن لا يؤمن به حسب هواه ووفق ما يراه.

-ربط النص القرآني بالنصوص الأخرى وقراءته في إطار يجعله متفاعلا معها كما يشترطه التفكيك، ينتهي إلى الإقرار أنه استفاد منها فقط، استفاد من معارف وأشعار وحكم وعادات ورؤى متفاوتة ومتناقضة بين قراءه... وهذا يتناقض مع طبيعته واختلافه عنها.

بناء على هذا العنصر الأخير "يصبح من الطبيعي القول عندها إن القرآن ليس صادرا عن الله بل نتاج عقلية جبارة للنبي صلى الله عليه وسلم استطاع من خلالها الاستفادة من كل التراث السابق وإخراجه منظومة عقديّة وأيديولوجية محكمة، وهذا ما يقوله الكثير ممن يدعون إلى تطبيق مناهج العلوم الإنسانية على القرآن سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً"¹.

نتهي من خلال هذه الواجهة النقدية للقراءات المعاصرة أنها قراءات مقلدة وليست مبدعة كما يبدو لروادها وكما يحلوا للبعض تسميتها، والأدهى والأمر أنها لا تقلد الغرب في الأخذ بالمناهج الجديدة بل تريد أن تقلده في أرضية مماثلة لتلك الأرضية التي تبلورت فيها عند الغرب أي كثرة على العقلية القروسطية التي تقبع فيها، المجتمعات الإسلامية بدورها كأنها مسيرة من اللاهوت المسيحي، تريد إعادة ثورة أوروبا عليه عندنا نحن الآن في القرن العشرين والتي جوهرها الثورة على كل ما هو كلاسيكي في مجال قراءة النص الديني، أو كما بين "طه عبد الرحمن" أنها تسعى إلى أن تحقق "قطيعة معرفية بينها وبين ما يمكن أن نطلق عليه اسم القراءات التراثية، وهذه على نوعين أحدهما القراءات التأسيسية وهي التي قام بها المتقدمون، مفسرين كانوا أو فقهاء أو متكلمين أو صوفية والثاني القراءات التجديدية وهي التي قام بها المتأخرون سلفيين إصلاحيين أو سلفيين أصوليين أو إسلاميين علميين"² هنا يمكن أن نشير إلى أن قراءة الفلاسفة المعاصرين لا تقطع صلتها مع كل القراءات التراثية ولا سيما قراءات المتكلمين والفلاسفة وبعض المتصوفة الذين تدافع عنهم وتتأثر بهم في تطبيق المناهج المعاصرة ولكن تريد القطع مع قراءات الفقهاء وعلماء الدين وهذا غير ممكن وغير موضوعي، فهي إذن على الرغم من أنها تجعل النقد صلب مهمتها وليس الاعتقاد، فهي لا تنفصل بصورة مطلقة عن الاعتقاد بمصادقية وعلمية وعقلانية نوعا معينا من

1- قاسم شعيب، تحرير العقل الإسلامي، المرجع السابق، ص: 46.

2- طه عبد الرحمن، روح الحداثة، مرجع سابق، ص: 176.

القراءات التراثية، فهي تسعى من خلال هذه القراءات إلى التمرد وإحداث القطيعة مع قراءة الفقهاء ومآثر السلف ومع علماء الدين على وجه التحديد، وبالتالي أليست قراءة هؤلاء الرواد وعلى رأسهم أركون وأبو زيد... اصطفاية تختار ما يناسبها من التراث وما يناسبها من مناهج وما يناسبها من مرجعيات لتدعم آراءها؟ أليست ذات إيديولوجية تنتصر لما هو عقلي ولو كان استشراقيا مغرضا على حساب ما هو نقلي ولو كان توفيقيا ومأثورا؟

في ختام هذا المبحث يمكن القول أنه لا يتسع المجال لذكر جملة المؤاخذات التي يمكن إلحاقها برواد القراءات الحداثية، والتي يمكن اعتبارها عوائقا وحدودا لتطبيق الآليات المعاصرة في قراءة النص، ويمكن اختصارها بصورة شاملة في النقاط التالية:

- 1- الافتقار إلى أرضية مناسبة لخصوصيات الموضوع _ القرآن الكريم _، الذي يجب أن يحظى بالأولوية على المنهج وهو الآليات المطبقة على ميدانه.
- 2- انتقادها النص الأصلي وهو القرآن الكريم بالتشكيك فيه، إضفاء مسميات جديدة له قد لا تناسبه، وتعمل على انتهاك قداسته، وعلى رأسها نفي غيبته والقول بتاريخيته.
- 3- تسويتها بين القرآن الكريم والنصوص الدينية الأخرى المخرفة الواردة في التوراة والإنجيل.
- 4- تسويتها بين القرآن الكريم والنصوص البشرية كالفلسفية والأدبية والقول بثقافته ولغوياته.
- 5- اعتمادها على مصادر استشراقية وغربية ككل في قراءة وفهم القرآن الكريم، نابعة من أسسها الغربية والأجنبية والبعيدة كل البعد على الثقافة العربية التي نشأ فيها الخطاب القرآني، وخادمة لأغراض وإيديولوجيات مبطنة.
- 6- مهاجمتها الكلية لآراء الفقهاء وعلماء الدين في قراءة القرآن الكريم ووسمها بالصفات السلبية فقط، ونقد أسسها واعتبارها نموذجا للتعصب والإيديولوجية، ومنطلقا للتخلف.
- 7- اعتبار قراءتها هي الوحيدة المناسبة لفهم القرآن الكريم، بل تمثل نموذجا لفهمه العلمي الموضوعي، ومنطلقا لحداثة ونهضة المسلمين.
- 8- إخضاع القرآن الكريم للمناهج الجديدة تعسفا وكطرق كاملة وموثوقة لا تقبل الشك الذي مورس على النص القرآني ولم يمارس على تلك الآليات رغم أنها مجرد إبداعات بشرية، ودون مراعاة أصولها الغربية، ودون احترام شروط تبيئتها، ودون مراعاة انعكاساتها السلبية على القرآن الكريم.

9- عدم وضوح المقاصد والأهداف التي تبتغيها، في كونها تثير التساؤلات ولا تهتم بالأجوبة تمارس النقد في ميدانه دون أي خطوط حمراء.

هذه الأحكام قد تختلف بين رواد القراءة المعاصرة، لكن يمكن اعتبارها المؤاخذات العامة التي يتحرك فيها تطبيق الآليات المعاصرة في قراءة القرآن الكريم عند أبرز روادها، ونحن بتحديدنا لا يترتب عنه أننا ننتهي إلى رفض ربط فهم النص القرآني بأدوات الفهم الجديدة التي أنتجتها العلوم الإنسانية والمناهج الجديدة، حيث لا يمكن أن ننكر الدور الذي لعبه رواد القراءات المعاصرة في محاربة الإيديولوجية والسعي نحو الموضوعية العلمية في قراءة القرآن الكريم، بل حتى الدور الذي لعبته في دحض الكثير من آرائهم المسيئة للقرآن الكريم، ونقد أتباعهم والتنبيه على خطورة أفكارهم، كما يظهر ذلك في نقد كل من "ابن نبي" و "أركون" لتصورات "طه حسين" المستمدة من آراء المستشرقين، في كتابه "الشعر الجاهلي"، بحيث يقول "ابن نبي" في هذا الصدد "ومن العجيب أنذكر ما تتمتع به هذه الأفكار الحمقاء من مجاملة ولا سيما في مصر عندما تصدرها جامعات الغرب، وأصدق مثال على ذلك وبلا جدال الفرض الذي وضعه المستشرق مرجليوت على الشعر الجاهلي، فقد نشر هذا الفرض في يوليو 1925 في إحدى المجلات الإستشراقية وفي خلال عام 1926 نشر طه حسين كتابه المشهور في الشعر الجاهلي، فهذا التسلسل التاريخي معبرتماما عن تبعية أفكار بعض قادة الثقافة العربية الحديثة للأساتذة الغربيين"¹، وفي نفس هذا الاتجاه يقول أركون عن الإستشراق "أنه قدم تنازلات مسرفة لصالح الغرب تارة ولصالح العاطفة الدينية تارة أخرى"²، وبالتالي لا يمكن إنكار بعض الأفكار والردود التي قدمها رواد القراءات المعاصرة في الرد على تصورات المستشرقين.

1- ابن نبي مالك، الظاهرة القرآنية، مصدر سابق، ص: 55.

2-Arkoun Mohammed, 1975 la pensée Universitaires de France, première édition, P105-106.

الفصل الرابع

الخطاب الديني المعاصر آفاق

ورهانات

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: الخطاب الديني المعاصر: مفهومه، منطلقاته، ضوابطه، ومآلاته.

المبحث الثاني: القرآن الكريم والمنصفون.

المبحث الأول: الخطاب الديني المعاصر: مفهومه، منطلقاته، ضوابطه، ومآلاته:
توطئة:

الخطاب الديني خطاب عالمي للناس جميعا، فخلال مدة وجيزة لا تتعدى مائة عام، صار القرآن الكريم والسنة النبوية منهاج حياة لأمة عظيمة، تمتد مساحتها من الصين شرقا إلى المغرب والأندلس غربا، وبعد تعاقب الأزمان أصبح الخطاب الديني مصدر هداية لملايين البشر في أرجاء المعمورة.

وعمقتضى هذه المرجعية الكبرى التي نالها هذا الخطاب في فضاء الثقافة العربية الإسلامية، فإن كثيرا من الدارسين والمشتغلين بمناهج تحليل الخطاب، وتفسير النص، شرعيا كان أم لغويا وخاصة النص الديني، اختاروا وصف الثقافة العربية الإسلامية بأنها ثقافة نص، وهذا الوصف يعود أساسا إلى كون الثقافة الإسلامية قامت في أصولها الأولى على الاشتغال على النص المؤسس الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية.

والخطاب الديني اكتسب موقعا خاصا ومكانا مميذا في دراسة السابقين والمعاصرين، وحظي بعناية هامة من طرف علماء الإسلام وغيرهم، لأن محورية هذا الخطاب تخدم جميع العلوم اللغوية والبيانية والبلاغية والدلالية والمعجمية والأسلوبية، فهي تخدم النص في عدد من مستوياته ومكوناته، فلا غرو أن نجد زخما معرفيا كبيرا وثراء غنيا حافلا بالمؤلفات والدراسات والبحوث حول الخطاب الديني خاصة في وقتنا الراهن، فما دون من مؤلفات، وما خط من كتابات، وما أُنجز من بحوث ودراسات، وما عقد من ندوات ومؤتمرات، وكل اللقاءات البحثية التي تنجز وتعتقد باستمرار، وبشكل دائم ومستمر، في مختلف جامعات الوطن، ومعاهدها، ومساجدها، وزواياها.. كل ذلك يدل على الاهتمام البالغ والكبير من أولئك النخب الفكرية والقامات العلمية السامقة من علماء وباحثين ونقاد ومفكرين وأساتذة.. بهذا الخطاب الديني المعاصر، وما كتاباتهم وابداعاتهم، إلا خدمة لهذا الخطاب، والدعوة إلى تجديده وفق الضوابط الشرعية وعصرنة آلياته خدمة لكتاب الله ومواكبة للتطور العلمي والتكنولوجي، ومسيرة للعوامة.

كما أن الندوات العلمية التي تعقد غالباً ما يتجاوزها طرفان:

- أحدهما إيجابي وهو كل ما يتعلق بجهود الباحثين المنصفين، وما قدموه من جهود علمية مرموقة.

- والثاني سلبي، وهو ينطلق من منهج الطعن والتشكيك في الخطاب الديني والذي هو ديدن المستشرقين، وهو نابع من اعتمادهم على مصادر غير متخصصة في الأدب والتاريخ والرحلات وغيرها.

وعليه فالعديد من اللقاءات العلمية في مجال دراسة الخطاب الديني انتقلت بسرعة نوعية واضحة وملموسة في السنوات الأخيرة من التنظير إلى التطبيق، وركزت في طرحها على قضايا التجديد في المناهج والجودة في التعليم، كالمؤتمر الذي عقد بالمملكة العربية السعودية سنة (2015)، والمؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، والذي كان من أهدافه تحديد بيئة تعليمية مناسبة، وعرض البرامج والتجارب العلمية الرائدة، وكذا مشاريع البحث المتخصصة.

وهكذا يبدو واضحاً أن هذه الملتقيات واللقاءات والمؤلفات والكتابات... في هذا الموضوع هي مساحة مناسبة للراحة العلمية التي يطلبها الباحثون حيث يدلي صاحب المداخلة بما يراه مناسباً ومتماشياً مع الأهداف العلمية المعلنة للملتقى، ويعترض آخرون على بعض الكتابات، ويحاولون تقويمها وبيان خطئها وانحرافها، ويسعى آخرون إلى إكمال النقص وإتمام غير التام، وفتح مساحات علمية أخرى... وهكذا ينساح البحث في الخطاب الديني ويتسع ويتشعب... ويحتاج دائماً إلى البحث والدراسة والتجديد، وفق الضوابط العلمية، ومراعاة خصوصية هذا الخطاب.

- مفهوم التجديد:

أ- لغة: أصل الجَدّ في اللغة: القطع، يقال جددت الشيء فهو مجدود وجديد، أي مقطوع، ومنه قولهم: ثوب جديد، أي مقطوع، كأن ناسجه قطعه الآن¹، هذا هو الأصل، ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه، قال الله تعالى: «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ»²، إشارة إلى النشأة الثانية³.

1- ينظر: أحمد فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، باب الجيم وما يليها من المضعف: ج1، ص: 409.

2- سورة ق، الآية: 16.

3- ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1 1412هـ، ص: 188.

ثم شاع هذا الاستعمال، فصار الجديد وصفا في كل ما لم تأت عليه الأيام، وهذا الاستعمال هو الذي نجد في كافة القواميس.

فجد الشيء جِدة-بالكسر- صار جديدا، والجديد نقيض الخلق، والخلق: القديم، فالجديد خلافا للقديم، وجدد الشيء يجده: صيره جديدا، أي: جعله جديدا، أي حول القديم فجعله جديدا والجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما لا ييليان¹.

فالتجديد لغة: يقتضي وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى: كان ذلك تجديدا².

وقد وردت لفظة "جديد في القرآن الكريم في آيات كثيرة، تدل على المعنى اللغوي وهو الإحياء والإعادة لما كان موجودا واندرس قال جل جلاله: "وَإِنْ تَعَجَبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَعِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ"³، المعنى: وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين فعجب قولهم: أننا كنا ترابا وبلينا وعدمنا، أننا لمجدد إنشاؤنا وإعادتنا خلقا جديدا، كما كنا قبل وفاتنا⁴.

وقال سبحانه وتعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ"⁵، أي أن الذي تفرد بخلق ذلك وأنشأه من غير شريك، إن شاء أذهبكم وأفناكم، وأتى بخلق سواكم مكانكم، فيجدد خلقهم⁶.

ويقول جل جلاله في آية أخرى: "وَقَالُوا أَعِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَأَعِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ"⁷ فهذه الآيات تدل على استغراب الكفار لإعادة خلقهم وبعثهم من جديد، بعد أن أصابهم البلى، ونخرت عظامهم، فاستغربوا كيف يعيد الله خلقهم مرة أخرى، وسمى الله ذلك خلقا جديدا.

1- ابن منظور، لسان العرب، ج3 ص: 111.

2- أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج1، ص: 92.

3- سورة الرعد، الآية: 05.

4- محمد جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م ج16، ص: 346.

5- سورة إبراهيم، الآية: 19.

6- المرجع السابق، ص: 556.

7- سورة السجدة، الآية: 10.

وجاء هذا اللفظ "الجديد" في الأحاديث النبوية يدل على المعنى اللغوي، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فسألو الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم »¹.

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: « لولم تذبوا لجاء الله بخلق جديد كي يذبوا فيغفر لهم »².

وجاء استعمال هذه الكلمة في الشعر العربي، قال ابن الرومي:

هل من سبيل إلى تجديد ودُّكم وهل يجدد شيء بعد إخلاق³

وقال آخر:

ليشكر بنو العباس نعمى تجددت فقد وعد الله المزيد على الشكر⁴

وهكذا بعد استعراضنا لهذه الآيات والأحاديث والأشعار وأقوال العلماء يمكننا القول أن التجديد:

أ- لغة هو: إعادة ما خُلِقَ وبلي إلى حالة جديدة، أو إعادته إلى حالته الأولى التي كان عليها من قبل.

ب- تجديد الدين: اصطلاحاً:

المعنى الاصطلاحي للتجديد بإضافة الدين إليه، يفيد المعنى ذاته، أي بإعادة الشيء إلى ما كان عليه والمقصود بالمفهوم الاصطلاحي هنا هو اصطلاح علماء الدين وشراح الحديث الذين فهموا معنى تجديد الدين وأدركوا المراد منه وعرفوه بتعاريف كثيرة منها:

1- أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب الإيمان، باب الأمر بسؤال تجديد الإيمان، وقال : رواه ثقات، ووافقه الذهبي (4/1) وحسنه البيهقي في جمع الزوائد، (52/1).

2- أخرجه الترمذي، باب صفة الجنة وما جاء في نعيمها، حديث رقم 2526، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (25/6).

3- ديوان ابن الرومي، ص: 462.

4- محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3 1417هـ/1997م، ج2، ص: 138.

-تعريف المناوي¹ الذي تكلم عن وظيفة المجدد فقال: "أن يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم"².
وعرفه العلقمي³ بقوله: "إحياء ما اندرس من أعمال الشريعة، وما ذهب من معالم السنن وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة"⁴.

ومن خلال هذين التعريفين يمكن القول بأن تجديد الدين له معاني عديدة منها:

- إحياء الدين في نفوس الناس، وإعادة المفاهيم الصحيحة للدين كما جاء بها الكتاب والسنة.
- تنقية الدين من البدع والخرافات والأوهام.
- ربط الدين بحياة الناس وواقعهم، ومعالجة مشاكلهم وفق تعاليم الدين ومقاصده.
- تطوير وسائل وطرق وآليات عرض الخطاب الديني، وملاءمته لأحوال المتلقي وحاجاتهم، متماشيا مع متطلبات العصر، لأن العصر بطبعه متغير.
- وهكذا فالتجديد لا يكون إلا بصلاح حال لأمة بإحياء ما اندرس من الدين ونفي كل دخيل عنه، وتطبيقه في مجالات الحياة، مثل نشر العلوم الشرعية، وبيانها للناس، والحث على تعلمها وتعليمها، ومحاولة تقريبها لكل الأفهام بمختلف الأساليب، ومن ذلك الجهود المتواصلة في كل عصر لتفسير القرآن الكريم وبيان معانيه وأسراره، وإحياء اللغة العربية بالكلام والكتابة والخطابة⁵.

- منطلقات التجديد في الخطاب الديني المعاصر :

لم تكن عاطفة التدين والمحبة للإسلام هي الدافع للتجديد كما يزعمون، ولكن الدعوة للمذاهب الماركسية التقدمية كان هو الدافع لذلك، والدليل على ذلك قول حسن حنفي: "والدافع على التجديد ليس عاطفة التقديس والاحترام والتبجيل الواجبة لكل موروث ديني، بل انتساب

1-محمد عبد الرؤوف المناوي الشافعي، من علماء مصر، له مصنفات كثيرة منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح الشمائل للترمذي، (ت:1031هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (204/6).

2-المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، ج2، ص: 281.

3-محمد بن عبد الرحمن العلقمي، فقيه شافعي، من تلامذة السيوطي، من مؤلفاته: الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير (ت:969هـ)، ينظر الأعلام: (68/7).

4-المناوي، فيض القدير، المرجع السابق، ج1، ص: 09.

5-دلال بنت كويران السلمي، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه، وضوابطه، واتجاهاته، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، السنة، 1435هـ/2014م، ص: 18، 19.

الإنسان المجدد إلى أرض، وانتمائه إلى شعب، القضية إذن ليست قضية دينية، بل قضية اجتماعية وسياسية أو فنية أو تاريخية"¹.

فهذا التجديد المزعوم هو هدم للدين واستبداله بتلك المذاهب فهم يريدون تجديد الدين كله بدءاً من الأصول والقواعد، وانتهاء بالفروع والتطبيقات، فلا ثوابت يعترفون بها ولا عناصر جوهرية يقبلونها.

يقول نصر حامد أبو زيد: "...وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص"².

ويقول في موضع آخر: "ومن غير الطبيعي أن يصر الخطاب الديني في بعض اتجاهاته على تثبيت المعنى الديني عند العصر الأول رغم تجاوز الواقع والثقافة في حركتها لتلك التصورات الأسطورية"³.

المطلع على هذه الأقوال يرى بوضوح أن العلمانيين يريدون تجديد أصول الدين وأسسها بدءاً من عقائده وأحكامه، عن طريق نفي المفاهيم القرآنية التي أطلقوا عليها لقب "التاريخية" و"وقف العمل بالنص" و"إعادة بناء الأصول" ودعوتهم تفيد أن معنى نصوص الخطاب الديني نفسها، هو معنى لا بد أن يتغير، وينفي المعنى القديم، أي أن يكون للنص الديني معنى جديد، وليس فقط تطبيق جديد، فهذه الألفاظ تثبت أن ما يريدونه ليس بتجديداً، بل هو نسف للشرعة والدين من أصولهما، وتفريغ الدين والقرآن من محتواهما ومدلولاتهما.

- ضوابط تجديد الخطاب الديني المعاصر:

تجديد الخطاب الديني له ضوابطه، وضعها العلماء لكي يميزوا الخبيث من الطيب والغث من السمين والصحيح من السقيم، لأن دعوات التجديد كثيرة ومتنوعة، منها دعوات خيرة أهدافها صحيحة سليمة، فيها المصيب المحسن، وفيها من يخطئ تارة ويصيب تارة أخرى، ومنها دعوات باطلة تدعي التجديد في الخطاب الديني، وهي إلى هدمه أقرب من بنائه وتطويره وتجديده، لذا كانت الضوابط هي الحكم على كل دعوة، وبيان كل فكرة، وتقويم كل اعوجاج، وتصويب كل خطأ، وفضح ادعاء المبطلين وزيف الزائفين، ومن أهم ضوابط التجديد ما يلي:

1- حسن حنفي، التراث والتجديد، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ط1، 1980م، ص: 22.

2- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، الطبعة الأولى، 1992م، ص: 118.

3- المرجع نفسه، ص: 207.

- تمييز ما يقبل التجديد مما لا يقبل ذلك، فكثير من الأمور الغيبية التي جاء بها الخطاب الديني قرآنا وسنة بنصوص صريحة صحيحة، لا تقبل التأويل ولا مجال للاجتهاد فيها كصفات المولى جل وعلا، وأصل خلق الإنسان، والجن والملائكة، والبعث، والحساب، والجزاء، ووجود الجنة والنار، وكذلك الأمور التي كانت مشاهدة وغابت عنا بسبب تقدمها في الزمن، كقصص الأنبياء والرسل وأخبار الأمم السابقة، فهذه لا يدخلها التجديد إلا بمعنى نفي الدخيل عنها، ورد ما أثير حولها من شبهات.

- ألا يؤدي التجديد إلى التصادم مع النصوص الشرعية أو الإخلال بها، لأن الأصل هو التمسك بالنصوص الشرعية وعدم مخالفتها، قال سبحانه وتعالى: « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ »¹، فأي تجديد يتعارض مع النصوص الشرعية القطعية لا اعتبار له، كالتجديد الذي يبيح الربا، ويلغي الحجاب الشرعي للمرأة، ويستنكر إقامة الحدود الشرعية.

- ألا يكون التجديد بما صرح العلماء برده وعدم اعتباره، فلا اعتبار للتجديد الذي يتبنى أفكارا هدامة وآراء ضالة، كأراء الفرق الضالة التي رد عليها علماء الإسلام، وبينوا فساد أصولها.
- الاعتماد في تجديد الخطاب الديني على مناهج المتقدمين من علماء المسلمين، والنظر في أبحاثهم ودراساتهم ومؤلفاتهم، ولا بأس بتطوير هذه المناهج لكي تستوعب وتتسع لكل المعارف والتجارب البشرية المتراكمة، ولا تستبدل بمناهج مقطوعة الصلة بالإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه.
- ومن ضوابط التجديد في الخطاب الديني، فهم الخطاب كما فهمه السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، ولا يعني ذلك جمود معاني الخطاب الديني على التراث المنقول عن السلف، بل نصوص القرآن والسنة هي الأصل والمحور الذي يتسع وينساح لكل جديد من علوم ومعارف².

- معنى التجديد في الخطاب الديني المعاصر:

مصطلح التجديد كسائر المصطلحات الأخرى قد يستعمل لفظه ولا يراد به معناه الشرعي الذي أثبتناه وأوردناه فكثيرا من دعوات التجديد تدعو للتغريب وللطعن في أصول الدين، وتفريغه من

1- سورة المائدة، الآية: 92.

2- محمد العلي، تجديد الدين، مفهومه وضوابطه وآثاره، كنوز إشبيلية، الرياض، ط1، 2009م، ص: 55-69.

محتواه، وهذه الدعوات لا تكون تجديدا حقيقة، حتى لو أطلق عليها أصحابها تجديدا وسميت بذلك فهي مرتبطة بمفهوم التجديد عند الغرب الذي ظهر في بيئة غير البيئة الإسلامية، بيئة لها ظروفها وأحكامها الخاصة، فحركة التجديد الديني في أوروبا بدأت على يد "مارتن لوتر" (1483-1546م) في القرن السادس عشر الميلادي، حين شن حملة على صكوك الغفران، وعلى سلطة الكنيسة الكاثوليكية الرومية، وهكذا توالى حركات التجديد وتتابعت في الغرب، فكانت ثورة على علماء الدين واتهامهم بالكهنوت، والتخلص من سيطرتهم على النصوص المقدسة تفسيرا وفهما، وتأثر العرب المثقفون بالغرب، خاصة الذين تربوا على الثقافة الغربية، وتشربوا بأفكار المستشرقين فحاولوا إعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد، وأرادوا تطوير الشريعة لتتطابق الحضارة الغربية، أو الاقتراب منها إلى أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل على أقل تقدير¹.

وشاع ذلك في كتاباتهم التي تدعو إلى التغيير في أصول الدين وفروعه، لتتوافق مع تغيرات وقيم هذا العصر ومعطياته ومنطلقاته المستمدة من الثقافة الغربية المعاصرة التي هي نتاج فكر بشري محض ليس للوحي المعصوم أثر فيه، إضافة إلى خليط رديء من تحريفات اليهود والنصارى ووثنية الرومان²، وهذا التجديد قد تختلف صوره وأشكاله، وقد تتفاوت درجات المنادين به قريبا من الدين أو بعدا عنه، وقد تتنوع مشاربهم وثقافتهم ولكنهم يتفقون في الهدف الذي يرمون إليه، فهم يحاولون إبعاد الدين عن الحياة تارة باسم التجديد، وأخرى باسم الإصلاح، وأحيانا باسم التغيير والتطوير، ومرادهم واحد هو نقض الدين من داخله، لأنه المؤثر الوحيد في حياة المسلمين، وينادون إلى الأخذ بالأساليب الغربية في مناهج دراسة التراث، وبالأخص في الخطاب الديني، بحجة أن مناهج الأقدمين عفا عليها الزمن، ولا تصلح للدراسة العلمية المقننة في العصر الحاضر، يقول الجابري³ "لا سبيل إلى التجديد إلا من داخل التراث نفسه، مع ضرورة الاستعانة بوسائل عصرنا المنهجية والمعرفية"⁴.

1- محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، الناشر، دار الفرقان، 2008، ص: 38.

2- ينظر: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد شاکر الشريف، ص: 37.

3- محمد عابد الجابري، كاتب ومفكر مغربي، ولد سنة (1936م)، عمل أستاذا للفلسفة والفكر العربي الإسلامي، في كلية الآداب بالرباط، من أبرز كتبه: "رباعيته في نقد العقل العربي" (ت: 2010م).

3- ينظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، بيروت، 2009، ص: 568.

4- عاشور بو قلقولة، الخطاب الديني وأبعاده المقاصدية، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر - السنة الخامسة. العدد الأول رجب، 1428هـ، جويلية 2007م، ص: 60.

وكذا الاستهانة بالتراث الإسلامي وإنتاج السلف في مختلف العلوم الإسلامية والادعاء بأنه وليد عصره، محصور بوقته، ولا يمكن تطبيقه في العصور الحديثة، والأخطر من ذلك أنهم لا يعترفون بالمصدر الإلهي للتشريع، ويتعاملون مع القرآن باعتباره نصاً قابلاً للنقد والرد، ومن ثم نزع القداسة والتبجيل عنه، وهذا وإن لم يصرح به جميعهم إلا أنه تدل عليه أبحاثهم ودراساتهم.

- المراد بالتجديد في الخطاب الديني المعاصر:

تجديد الخطاب الديني المعاصر، يعني: إحيائه، ببيان مفاهيمه الصحيحة وتنقيته من البدع والخرافات والدخيل من الأفكار وربطه بواقع الناس، ولا يعني التجديد العلوم الشرعية فحسب، بل هو أعم من ذلك، فهو تطبيق لتلك العلوم ومبادئها، وإصلاح يشمل كل ماله علاقة بالحياة في ضوء مقاصد الشريعة وأهدافها.

- الخطاب الديني بين التجديد والتقليد:

الخطاب الديني شامل للإنسان والزمان كشمول الشريعة التي يتركز عليها، فالخطبة الدينية والدرس المسجدي خطاب ديني، والمحاضرة والندوة خطاب ديني¹، ويختلف هذا الخطاب تبعاً للمشارب العقديّة فنجد الخطاب السني، الخطاب السلفي، الخطاب الصوفي، الخطاب الشيعي، وهذا الاختلاف أفرزته عوامل تاريخية سياسية وثقافية... ولا زالت تأثيراتها سارية إلى اليوم.

والخطاب الديني على اختلاف مشاربه وأفكاره واتجاهاته لا يخرج عن نوعين من الخطاب: خطاب متصل بالتقليد، وآخر بالتجديد، يقول الجابري: "قد يكفي التذكير بأن اقتناعنا بأن القرآن الكريم يخاطب أهل كل زمان ومكان يفرض علينا اكتساب فهم متجدد للقرآن بتجدد الأحوال في كل عصر".

غير أن أصحاب هذا النوع من الفهم والتجديد يعتقدون أنهم حرروا فهم القرآن من الحواجز والضوابط بتطبيق آليات معاصرة² في فهم الخطاب الديني، ولكنهم وقعوا في مغالطات كثيرة، فالآليات المعاصرة حين تطبيقها على أي نص ديني وبالأخص النص القرآني، فإنها تفرق أكثر مما

1- محمد عابد الجابري، فهم القرآن، القسم الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2009م، ص: 9.

2- الآليات المعاصرة: يقصد بها مجموع الأدوات والمنهج التي طبقت في قراءة النصوص بأنواعها المختلفة دينية أو فلسفية أو أدبية في الفترة المعاصرة، خصوصاً بعد تطور البحث في مناهج النقد الأدبي، وتطور البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي أيضاً المناهج التي استفاد منها الكثير من المشتغلين في مجال القرآن الكريم، كأركون وأبو زيد وغيرهم، الذين فكروا في نقلها إلى ميدانه وذلك لفهمه وقراءته.

تجمع المسلمين في الفهم، لأن هذه الآليات تسمح لأي شخص أن يفهم القرآن وفقا لرغباته وأهوائه، بل يؤدي إلى تغيير الأحكام الفقهية، وهذا ما وقع فيه أبو زيد في معظم كتبه خاصة كتابه "دوائر الخوف"، ونتج عن ذلك أن هذا الخطاب الحدائي "يتمسح بالمقاصد لإلغاء الشرع، فهو خطاب يقدم العقل على الشرع، والواقع على النص"¹.

وهناك خطاب حربي ظاهري، هو خطاب التيارات الإسلامية بما فيها السلفية، والحركات الإسلامية، والفرق الأخرى، التي تجتمع على تقديس النص الديني، ولكنها بعيدة عن الواقع، ولا تسعى في حل مشاكل المسلمين، بل جل خطاباتها الدينية مبنية على إذكاء الصراع، والدخول في دائرة التكفير لبعضها البعض، مما ولد العنف والتطرف والانغلاق في التفكير، وعدم تقبل الآخر، فخطابها يوصف بأنه "يلغي الفكر والعقل ويقف بعيدا عن مقصود الشارع وغايته"².

وهكذا نرى أن الخطاب التقليدي ولد التطرف والعنف والانغلاق في التفكير، والخطاب التجديدي ولد أخطاء منهجية فبدلا من بناء فهم إسلامي صحيح، ساهم في هدمه بحجة الحرية في الفكر متجاهلا الضوابط العلمية ملغيا حتى المقاصد الشرعية .

وهكذا يتبين لنا أن الخطابين التقليدي والتجديدي أو الحدائي لا يمثلان حقيقة الفهم الصحيح للإسلام، وخصوصا القرآن الكريم الصالح لكل زمان ومكان، لذلك ينبثق فهم آخر مختلف عن سابقه يجعل النصوص ويحترم الواقع والعقل، والدين عنده لا يتعارض مع العلم، وصريح المعقول لا يخالف صحيح المنقول فهو خطاب بناء لا هدم، يحرك المشاعر، ويستميل القلوب، ويتلاءم مع طبائع النفوس، يرغب أكثر مما يرهب، يهدف إلى إسعاد الناس جميعا دنيا وآخرة.

- قصدية الخطاب الديني ومآلاته:

هناك جملة من الاعتبارات يجب توفرها في الخطاب الديني لكي يصل إلى جميع الناس، وخاصة العوام، أو الناس العاديين غير المتخصصين، أهمها:³

1- **الوفاقية:** وتعني بأن يكون الخطاب الديني يجمع ولا يفرق، يسدد ويقارب: وهذا بالاهتمام

بالأمور المشتركة أكثر من الأمور المتنازع والمختلف فيها، بل عدم التطرق إليها إطلاقا.

1-عاشور بو قلقولة، المرجع السابق، ص:61.

2-المرجع نفسه، ص:60، 61.

3-للتوسيع أكثر ينظر: بشير خلف، الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال، الندوة الفكرية الثامنة، الرابطة الولاية للفكر والإبداع، ولاية الوادي، مزوار للطباعة والنشر، 2010م.

- 2- **الصدقية:** وتكون بالإخلاص للفكرة والمبدأ، وخلو الفهم من شوائب الايديولوجية والتعصب والتطرف.
- 3- **الواقعية:** وتتجلى في التركيز على القضايا والظواهر والمشاكل الراهنة التي يراها الناس من الأولويات التي يجب حلها.
- 4- **التفتح:** يجب على الخطاب الديني أن يكون متفتحا على الخطابات الأخرى، حتى ولو كانت مختلفة عنه، لأن التفتح يؤدي إلى الوحدة، والبحث عن نقاط الاشتراك أكثر من نقاط الاختلاف، وعدم اعتبار نقاط الاختلاف من أصول الإسلام .
- 5- **التلاؤم:** وهو مراعاة أحوال المكلفين، فيختلف الخطاب الموجه للشباب عن خطاب الشيوخ، وخطاب المثقفين عن خطاب غير المثقفين، كما يتلاءم الخطاب مع المتغيرات والأحوال والأوضاع، لأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا يعني ذلك أننا نغير الأحكام¹.

1-بركات عمار، علوان فوزية، آليات توحيد الاتجاهات في فهم القرآن الكريم، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 15، 1438هـ، 2017م، ص43، 44.

المبحث الثاني: القرآن الكريم والمنصفون:

توطئة:

في هذا الفصل نقدم كثيرا من الشهادات المنصفة في حق القرآن الكريم، صدرت من أعلام معظمهم من غير المسلمين، هؤلاء المنصفون، فيهم السياسي والأدبي والشاعر والعالم والعسكري والرجل والمرأة.

وهذه الشهادات ليست خاصة بالقرآن الكريم فقط، بل كانت شهادتهم منصفة في حق الإسلام وتاريخه، وحضارته، ورجاله، ونبهه العظيم، وقد اقتصرنا في بحثنا هذا على الشهادات الخاصة بالقرآن الكريم، لأنه محور بحثنا ودراستنا، كما اقتصرنا على شهادة بعض الغربيين، لأن الذين درسوا الخطاب القرآني وطبقوا عليه مختلف الآليات المعاصرة أغلبهم تأثر بهذه المناهج الغربية الوافدة إلينا، في الوقت الذي نجد كثيرا من الغربيين أنصفت كتاباتهم وبحوثهم النص القرآني، وهذا رغم رجوعنا واعتمادنا على بعض الترجمات العربية، فلو رجعنا إلى مختلف اللغات لكان البحث أكثر اتساعا وشولا، وأصدق تمثيلا، ولكن يستحيل ذلك - في نظرنا - لأن القرآن الكريم كتاب عالمي للعالمين جميعا، والأکید أن الدراسات تناولته من كل النواحي وبكل لغات العالم إنصافا وطعنا، دفاعا وانتقاصا، إجلالا وإكبارا وتعظيما، تحريفا وتشويها ومعارضة، وتستمر هذه الدراسات والقراءات الخاصة بالقرآن الكريم إلى يوم الدين.

لذا كانت رغبتنا في الاقتصار على بعض النماذج التي اخترناها واختصرناها حتى لا يطول البحث طولا مملا، كما نرجو ألا يكون هذا الاختصار مخللا.

وهذه الشهادات تؤكد أن الدنيا لا تخلو من أحرار الفكر، الذين يمكن أن يصلوا إلى الحق أو إلى جوانب منه، ويؤدوا حق الشهادة في ذلك، وهذه الشهادات تشكل بالنسبة لنا مادة للفخر والعزة والسرور، فهذا يزيدنا عزة وفخرا بديننا وقرآنا، كما يلقي علينا مسؤولية كبيرة، وأحمال عظيمة، وأثقال تحتم علينا أن نهض ونقوم بواجب البلاغ والتبيين والشرح، لكي نقدم للناس جميعا أن هذا الكتاب هو كتاب هداية وإرشاد وخير وسلم وأمان ورحمة وبركة، ونبه في بحثنا هذا إلى أننا قد لا نتفق بالضرورة مع كل الجزئيات التي وردت في هذه الشهادة أو تلك، لأن هؤلاء الشهود ظروفهم النفسية والاجتماعية والدينية... التي قد تحجب عنهم جوانب من الحق، ولكن هدفنا أن نسوق جملة من شهادات غير المسلمين لأن (الحق ما شهدت به الاعداء)، كما تشكل هذه الشهادات فناعة

للمسلمين، وحافظا لبعض المشككين الذين يحسنون الظن فيمن ننقل عنهم من أساطين الحضارة والعلم والرقي والتقدم في العالم الغربي، كما تكون ضربة موجعة، وصدمة قوية للذين أرادوا اجترار ما أثاره الغربيون، وتكرار ما قالوه، وعلى الباحث والناقد والمنصف أن يرى أن ما قدمه الغربيون عامة، والمستشرقون على وجه الخصوص، في قراءتهم للقرآن الكريم، يتضمن الأبيض والأسود، على مستوى المنهج أو الموضوع، وليس كله سواء، بل إن الرجل منهم قد يتضمن كلامه، في نفس الوقت الأبيض والأسود معا، لأسباب عديدة، منها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذاتية والثقافية... الخ، لذا نجد أن الشهادات السلبية قد فرضت نفسها على نطاق واسع، وهي أكثر حضورا وانتشارا في الفكر الغربي، ويستطيع الباحث أو القارئ أن يجدها بسهولة ويسر في معظم الأعمال الغربية التي تمس الإسلام، بينما الشهادات الإيجابية تندر نوعا ما، وهي التي تحتاج إلى اهتمام وبحث وتنسيق وعرض في إطار ملائم.

والمنهج العلمي يفرض علينا تسليط الضوء على الأبيض والأسود معا، أو على الشهادتين (السلبية/ الإيجابية)، ولكننا حاولنا في هذا البحث رصد جوانب من الجانب الأبيض فقط، أو من الشهادات الإيجابية، لأن هذه الشهادات التي صدرت في حق الدين الإسلامي عامة و القرآن بخاصة، جاءت من رجال كانوا أعداء لهذا القرآن، وصدرت في بيئات طالما أساءت إليه، ومن ثم فهذه المحاولة البحثية لها تبريرها العلمي الصريح في طرح كل ما من شأنه أن يتناقض أو يتعارض مع هذا الهدف الواضح المحدد سلفا.

وقد يتوهم البعض ويظن أن هذه الأسماء التي تدلي بشهاداتها عن القرآن قد اكتسبت معنى من معاني التبرئة والتنزيه عن الميول والظنون والأهواء، ويسلم بكل ما جاء في هذه الشهادات وبكل تفاصيلها وجزئياتها، ويقبل استنتاجاتها، ويعتقد أنها دعوة لتقبل كل تحليلاتها ومناهجها، لأن هذا الظن والاعتقاد والوهم، إذا حدث فإنه سيقرب البحث رأسا على عقب، وسيقود إلى ضلالة أخرى، ولكن هدفنا من هذا البحث أن نؤكد أن ما يتضمنه الإسلام، وتاريخه، وحضارته، من عناصر الجذب والاشعاع والقوة والاقناع، والإثارة والانسجام مع التوجهات الإنسانية الأصلية، والفترة السلمية، والطبيعة البشرية المستقيمة، والعقول المفكرة والمدبرة والمتأملة، والباحثة عن الحق، قد ساق هؤلاء، وأرغمهم حيناً آخر على الإدلاء بشهاداتهم الإيجابية والمنصفة، والتي لا تخلو من استنتاجات

خاطئة، فبعض الشهادات الإيجابية تتضمن في بنيتها ومفرداتها سلبيات شتى، لأسباب عدة، منها طبيعة المنهج الذي يعتمده الغربيون في التعامل مع الخطاب القرآني.

1) الشهادة الأولى:

يقول خليل أحمد¹: "يرتبط هذا النبي صلى الله عليه وسلم، بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح - عليه السلام- في قوله عنه: (ويخبركم بأمر آتية)، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ،... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف..."²، وقال: "أعتقد يقينا أنني لو كنت إنسانا وجوديا... لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث -في كل مناهجه- لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحدا..."³، ويقول: "للمسلم أن يعتز بقرآنه، فهو كالماء فيه حياة لكل من نهل منه"⁴.

2- الشهادة الثانية:

للمستشرق الأمريكي "ايرقنج"⁵ يقول: " كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه حتى إذا ظهر المسيح - عليه السلام- اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح

1- إبراهيم خليل أحمد، قس مبشرين مواليد الاسكندرية عام 1919، يحمل شهادات عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية، عمل أستاذا بكلية اللاهوت بأسيوط، كما أرسل عام 1954، إلى أسوان سكرتيراً عاما للإرسالية الألمانية السويسرية وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام، لكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين، وأشهر إسلامه رسمياً عام 1959، كتب العديد من المؤلفات، أبرزها ولا شك (محمد في التوراة والإنجيل و القرآن)، (المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي)، و (تاريخ بني إسرائيل).

2- إبراهيم خليل أحمد، محمد (ص) في التوراة والإنجيل والقرآن، الطبعة الثانية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، 1965م، ص:47،48.

3- نفسه، ص:48.

4- نفسه، ص:32.

5- واشنطنجتون ايرقنج، مستشرق أمريكي، أولى اهتماما كبيرا لتاريخ المسلمين في الأندلس، من آثاره: "سيرة النبي العربي" مزيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية "1849"، "فتح غرناطة" 1859، وغيرها.

القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل، حوى القرآن كل شيء، وحوى جميع القوانين، إذ أنه حاتم الكتب السماوية...¹ ويقول في موضع آخر في الكتاب نفسه: "يدعو القرآن إلى الرحمة والصفاء وإلى مذاهب أخلاقية أساسية"².

3- الشهادة الثالثة:

وهي للصحفية الأمريكية "ديبورا بوتز"³ التي تقول في بعض شهاداتها: " عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة"⁴، وتقول أيضاً: "... كيف استطاع محمد - صلى الله عليه وسلم- الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات باهرة وخارقة... لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل"⁵.

4- الشهادة الرابعة:

هذه الشهادة أدلى بها الباحث "عامر علي داود"⁶ الذي يقول: "...تناولت نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، لأنني عرفت أن هذا هو الكتاب المقدس عند المسلمين، فشرعت في قراءته وتدبر معانيه، لقد استقطب جل اهتمامي، وكما كانت دهشتي عظيمة حين وجدت الإجابة المقنعة عن سؤالي المحير: الهدف من الخلق في الصفحات الأولى من القرآن الكريم.. لقد قرأت الآيات (30-39) من سورة البقرة.... وهي آيات

1- ايرفنج واشنجتون، حياة محمد، ترجمة وتعليق علي حسن الخربوطلي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص 72.

2- نفسه، ص: 304.

3- ديبورا بوتز، من مواليد 1954، بمدينة ترافيز، في ولاية متشيغان الأمريكية، تخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الإسلام عام 1980، بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين في أمريكا، بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكراً كان أم أنثى.

4- العتيبي عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الجزء 2، و 3، الطبعة الثالثة، الأجزاء: 4- 10، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، 1973، 1983، 100 ج 8، ص: 100.

5- نفسه، ج 8، ص 100.

6- عامر علي داود، ينحدر من أسرة هندية برهمية، انتصرت على أيدي المبشرين الذين قدموا مع طلائع الاستعمار، كان كثير القراءة للكتب الدينية، ولما أتيت له أن يطلع على القرآن الكريم كان الجواب هو انتماؤه للإسلام.

توضح الحقيقة بجلاء لكل دارس منصف، إن هذه الآيات تخبرنا بكل وضوح وجلاء وبطريقة مقنعة عن قصة الخلق....¹ ويقول: "إن دراستي للقرآن وضحت أمام ناظري العديد من الإشكالات الفكرية وصححت الكثير من التناقضات التي طالعتها في الكتب السماوية السابقة"².

5- الشهادة الخامسة:

هي للباحث الفرنسي "ايتين دينيه"³ الذي قال في بعض شهاداته: "لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكن للغة العربية في الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا لكان ميسورا له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية بل لما وجد صعوبة تذكر للتفاوض مع الشعوب الناطقة بالضاد، وذلك عكس ما يجده مثلا أحد معاصري (رابيليه) من أهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب إلينا من عصر القرآن، من الصعوبة في مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيي اليوم"⁴. ويقول: "إن معجزة الأنبياء الذين سبقوا محمدا كانت في الواقع معجزات وقتية وبالتالي معرضة للنسيان السريع، بينما نستطيع أن نسمي معجزة الآيات القرآنية (المعجزة الخالدة) وذلك أن تأثيرها دائم ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون لأنهم يجهلون

1- العتيبي عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، ج7، ص: 116-118.

2- نفسه، ج7، ص: 118.

3- ايتين دينيه (1861، 1929) تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضي في مدينة بوسعادة بولاية المسيلة حاليا نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (1927)، وحج إلى بيت الله الحرام عام (1928)، من أثاره: (حياة العرب)، و(حياة الصحراء) و (أشعة خاصة بنور الإسلام) و(الشرق في نظر الغرب)، و(الحج إلى بيت الله الحرام).... وغيرها من الكتب.

4- دينيه ايتين ناصر الدين، أشعة خاصة بنور الإسلام، ترجمة: راشد رستم، سلسلة الثقافة الإسلامية، رقم 17، المكتب الفني للنشر، بيروت، 1960، ص: 35.

القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلا عن أنها غير دقيقة"¹.

6- الشهادة السادسة:

هذه الشهادة نأخذها من الكاتب الأمريكي "ديورانت"² حيث يقول: "... ظل القرآن أربعة عشر قرنا من الزمان محفوظا في ذاكرة المسلمين يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال، والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد، وأقلها غموضا، وأبعدها عن التقيد بالمراسيم والطقوس، وأكثرها تحررا من الوثنية والكهنوتية، وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحرصهم على اتباع القواعد الصحيحة، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين... درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض...."³.

7- الشهادة السابعة:

للباحث الفرنسي "جاك ريسلر"⁴ الذي يقول: "... لما كانت روعة القرآن في أسلوبه فقد أنزل ليقرأ ويتلى بصوت عال، ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية ويجب أن تقرأه في لغته التي كتب بها لتمكن من تذوق جملة وقوته وسمو صياغته، ويخلق نثره الموسيقي والمسجوع سحرا مؤثرا في النفس حيث تزخر الأفكار قوة وتتوهج الصور نضارة، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في

1- أحمد إبراهيم خليل، محمد (ص) في التوراة والإنجيل والقرآن، ص: 118.

2- ول ديورانت، مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه " قصة الحضارة" ذو الثلاثين مجلدة، واحدا من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام 1935، ثم تلتها بقية الأجزاء، وله مؤلفات أخرى من أشهرها كتاب (قصة الفلسفة).

3- ديورانت ول، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران واخرون، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964، 1967م، ج13، ص: 68، 69.

4- جاك ريسلر، باحث فرنسي معاصر وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس.

إشعارنا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم، كان ملهما بجلال الله وعظمته¹ ويقول كذلك: "كان في القرآن فوق أنه كتاب ديني خلاصة المعارف... وظل زمنا طويلا أول كتاب يتخذ للقراءة إلى الوقت الذي يشكل فيه وحدة كتاب المعرفة والتربية، ولا يزال حتى اليوم النص الذي تقوم عليه أسس التعليم في الجامعات الإسلامية، ولا تستطيع الترجمات أن تنقل ثروته اللغوية (إذ يذبل جمال اللغة في الترجمات كأنها زهرة قطفت من جذورها) ولذلك يجب أن يقرأ القرآن في نصه الأصلي"²، ويقول: "إن القرآن وجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام، والوحدة الاجتماعية، وإلى تحقيق البؤس والقسوة والخرافات، إنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة، وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي، ونظم العقود والمواريث، وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والأرقاء والحيوانات والصحة والملبس... الخ"³، ويقول أيضا: "... حقا لقد ظلت شريعة القرآن راسخة على أنها المبدأ الأساسي لحياة المسلم ولم يتعرض ما جاء في القرآن من نظر وأخلاق ونظام لأية تغييرات ولا لتبديلات بعيدة الغور"⁴.

8- الشهادة الثامنة:

وهي للكاتب اللبناني "نصري سلهب"⁵... "إن الآية التي أستطيع ذكرها هي التي تتبع سماحا إذ تقول: "ولا تجدلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا.... ونحن له مسلمون"⁶، ذلك ما يقوله المسلمون للمسيحيين وما يؤمنون به لأنه كلام

1- جاك ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية، القاهرة، 5، ت، ص:30، 31.

2- نفسه، ص: 45.

3- نفسه، ص: 51.

4- نفسه، ص: 75.

5- نصري سلهب، مسيحي من لبنان، يتميز بنظرته الموضوعية وتحريه للحقيقة المجردة، كما عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان، - كما يزعم-، إن على مستوى الفكر أو على مستوى الواقع، وعبر الستينات كتب العديد من الفصول وألقى العديد من المحاضرات في المناسبات الإسلامية والمسيحية على السواء، متوخيا الهدف نفسه، من مؤلفاته: "لقاء المسيحية والإسلام" (1970)، و"في خطى محمد" (1970).

6- سورة العنكبوت، الآية: 46.

الله إليهم، إنه العبارات يجدر بنا جميعاً، مسحيين ومسلمين، أن نرددها كل يوم، فهي حجارة الأساس في بناء نريده أن يتعالى حتى السماء، لأنه البناء الذي فيه نلتقي والذي فيه نلقى إليه: فحيث تكون المحبة يكون الله، والواقع أن القرآن يذكر صراحة أن الكتب المنزلة واحدة، وأن أصلها عند الله، وهذا الأصل يدعى حيناً (أم الكتاب) وحيناً آخر (اللوح المحفوظ) أو (الإمام المبين)¹، ويقول: "...إن محمد -ص- كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمي يهدي للإنسانية أبلغ أثر مكتوب حملت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية ذاك كان القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للمتقين...."²، ويقول في موضع آخر: "...الإسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من البلاغة، ولكن قلمنا بحاجة إلى الإسلام، إلى ما ينطوي عليه من ثروة روحية وأخلاقية، إلى قرآنه الرائع الذي بوسعنا أن نتعلم منه الكثير"³، ويقول: "لم يكن لأي سفر، قبل الطباعة، أي كان نوعه وأهميته، أن يحظى بما حظي به القرآن من عناية واهتمام، وأن يتوفر له ما توفر للقرآن من وسائل حفظه من الضياع والتحريف، وصانته عما يمكن أن يشوب الأسفار عادة من شوائب"⁴.

9- الشهادة التاسعة:

وهي للكاتب بشير أحمد شاد⁵، يقول شاد: "...عندما آمنت بالتوحيد بدأت أبحث عن الحجج والبراهين التي تثبت أن القرآن هو كتاب الله تعالى وأنه آخر الكتب السماوية وخاتمها، وإنني أحمد الله إذ مكنتني من حل هذه المسألة، فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يعترف بكافة الكتب السماوية الأخرى، بينما نجد أنها جميعاً يرفض بعضها بعضاً... وهذه في الحقيقة هي إحدى خصائص ومميزات القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية

1- سلهب نصري، لقاء المسيحية والإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1970م، ص: 22.

2- نفسه، ص: 94.

3- نفسه، ص: 121.

4- نفسه، ص: 337.

5- بشير أحمد شاد، من أسرة نصرانية هندية، ولد عام 1928م، بقرية ديان دالو الهندية، كان أبوه ماتياس مبشراً نصرانياً، لذا حرص على تنشئة ابنه على ذات الطريق، وفي عام 1948، أكمل دراسته وبدأ يعمل مبشراً في لاهور، لكنه ما لبث أن فقد قناعته كلية في الديانة النصرانية، وانتهى به الأمر بعد عشرين سنة من البحث والمعاناة إلى إعلان إسلامه في (1968).

وخاتمته¹، ويقول: "... إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب ألاف مؤلفة من البشر في مختلف بقاع الأرض، بينما نجد أن الكتب المقدسة الأخرى محفوظة بالخط المطبوع فقط، ومن هنا لو حدث لسبب أو لآخر أن اختفت الكتب المطبوعة يظل القرآن هو الكتاب الله الوحيد المحفوظ لم ينقص منه حرف واحد ولم يزد فيه حرف واحد منذ أن نزل به الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام، فليست هناك أية تناقضات ولا أخطاء من أي نوع في القرآن الكريم، هذا في الوقت الذي تعاني فيه الكتب السماوية الأخرى في نسختها الحالية من الكثير من التغير والتبديل، وهذا البيت آخر جعلني أو من بالإسلام"².

10- الشهادة العاشرة:

هي للباحثة الإيطالية "فاغليري"³ التي تقول في بعض شهاداتها: "لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة: وهي أن نصه ظل صافيا غير محرف طوال القرون التي ترى ختما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وأن نصه سوف يظل على حالته تلك من الصفاء وعدم التحريف، بإذن الله، ما دام الكون"⁴، وتقول أيضا: "إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه، لا يوقع في نفس المؤمن أيما حس بالملل، على العكس، إنه من طريق التلاوة المكررة يحبب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر يوما بعد يوم، إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغي إليه حسا عميقا من المهابة والخشية، إن في إمكان المرء أن يستظهره في غير عسر، حتى إننا لنجد اليوم، على الرغم من انحسار موجة الإيمان، ألاف من

1- العتيبي عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، ج7، ص:19، 20.

2- نفسه، ج7، ص:20.

3- لورا فاشيا فاغليري، باحثة إيطالية معاصرة، انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديما وحديثا، وإلى فقه العربية وآدابها من أثارها: القواعد العربية" في جزئي (1938، 1941)، و"الإسلام"، (1946)، و"دفاع عن الإسلام" (1952)، والعديد من الدراسات في المجالات الاستشراقية المعروفة.

4- فاغليري لورا قيشها، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م، ص:56، 57.

الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب، وفي مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها"¹.
وتقول: "إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة، إن الذي أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه المسلمون للشعوب المغلوبة، مع تخييرها بين قبوله ورفضه، كتاب الله، كلمة الحق، أعظم معجزة كان في ميسور محمد (ص)، أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض"².

11- الشهادة الإحدى عشر:

وهذه الشهادة نأخذها من الدكتور "أحمد نسيم سوسه"³ يقول: " يرجع ميلي إلى الإسلام... حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى.. فولعت به ولعا شديدا.. وكنت أطرب لتلاوة آياته..."⁴، ويقول: "الواقع أن تحرير وتبديل مصاحف اليهود أثر أجمع عليه العلماء فيعصرنا الحالي نتيجة الدرس والتنقيب وقد جاء ذلك تأييدا علميا للأقوال الربانية التي أوجبت قبل نيف وثلاثة عشر قرنا على لسان النبي العربي الكريم، أما الفرقان المجيد... فقد حافظ المسلم ونعليه بحرص شديد وأمانة صادقة فهو حقا الكتاب المقدس الفريد الذي أجمع الكل على سلامته وطهارته من التلاعب والتحوير، وما على القارئ إلا أن يطالع ما كتبه المستشرقون في هذا البيان... الذين وصفوا كيفية جمعه وتدوينه، وهؤلاء أجنب غرباء كثيرا ما يصوبون أسهمهم الناقدة السامة نحو الإسلام، والواقع أن الدلائل التاريخية واضحة بأحلى وضوح مما لا يترك أي شكل في أن الفرقان الكريم لم يطرأ عليه أي تحريف أو تحوير وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم دون أن يتغير فيه حرف واحد"⁵.

1- فاغليري لورا فيشها، دفاع عن الإسلام، ص:59.

2- نفسه، ص:59.

3- أحمد نسيم سوسه، باحث ومهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، كان يهوديا واعتنق الإسلام بعد تأثره بالقرآن الكريم، توفي قبل سنوات قلائل، ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات وخاصة في تاريخ البري، لأنه من أبرز المختصين فيه في العراق، وفند في دراساته ادعاءات الصهيونية العالمية في الري خاصة من الناحية التاريخية، من مؤلفاته: "مفصل العرب واليهود في التاريخ)، و (في طريقي إلى الإسلام)، الذي تحدث فيه عن السيرة حياته.

4- أحمد نسيم سوسه، في طريقي إلى الإسلام، المطبعة السلفية، القاهرة، 1936، ج1، ص:51.

5- نفسه، ج1، ص:86.

ويقول: " الواقع أنه يتعذر على المرء الذي لم يتقن اللغة العربية ولم يصطحب آدابها أن يدرك مكانة هذا الفرقان الإلهي وسموه وما يتضمنه من المعجزات المبهرة، ولما كان القرآن الكريم قد تناول كل أنواع التفكير والتشريع فقد يكون من العسير على إنسان واحد أن يحكم في هذه المواضيع كلها، وهل من مناص للمرء من الانجذاب إلى معجزة القرآن بعد تمعنه في أمية نبي الإسلام ووقوفه على أسرار حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله تعالى معجزة القرآن وأميه محمد صلى الله عليه وسلم برهانا على صدق النبوة وصحة انتساب القرآن له...¹، ويقول كذلك: "إن معجزة القرآن الكريم هي أكثر بروزا في عصرنا الحالي، عصر النور والعلم، مما كانت عليه في الأزمنة التي سادها الجهل والخمول..."².

12- الشهادة الاثنا عشر:

وهذه الشهادة نأخذها من المستشرق الفرنسي " در منغم"³ يقول في أولى شهاداته: " للمسيح - عليه السلام- في القرآن مقام عال، فولادته لم تكن عادية كولادة بقية الناس، وهو رسول الله الذي خاطب الله جهرا عن مقاصده وحدث عن ذلك أول شخص كلمه وهو كلمة الله الناطقة من غير اختصار على الوحي وحده... و القرآن يقصد النصرانية الصحيحة حينما يقول: إن عيسى - عليه السلام- كلمة الله، أو روح الله، ألقاها إلى مريم وأنه من البشر... وهو يذم مذهب القائلين بألوهية المسيح- عليه السلام- ومذهب تقديم الخبز إلى مريم عبادة ثم أكله وما إلى ذلك من مذاهب الإلحاد النصرانية، لا النصرانية الصحيحة، ولا يسع النصراني إلا أن يرضى بمهاجمة القرآن للثالوث المؤلف من الله وعيسى ومريم"⁴، ويقول: سيكون القرآن حافزا للجهاد يردده المؤمنون كما يردد غيرهم أناشيد الحرب، محرضا على القتال جامعا لشؤونه، محركا لفاتري الهمم، فاضحا للمخلفين، مخزيا للمنافقين، واعدة

1- أحمد نسيم سوسه، في طريقي إلى الإسلام، ج1، ص: 182، 183.

2- نفسه، ج1، ص: 185.

3- إميل در منغم، مستشرق فرنسي، عمل مديرا لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس 1929)، وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و (محمد والسنة الإسلامية) (باريس 1955)، ونشر عددا من الأبحاث في المجالات الشهيرة مثل: (المجلة الافريقية)، و (حوليات معهد الدراسات الشرقية، (نشرة الدراسات العربية.... الخ.

4- إميل در منغم، حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949، ص: 131، 132.

الشهداء بجنات عدن"⁽¹⁾، ويقول أيضا: "لا بد لكل نبي من دليل على رسالته، ولا بد له من معجزة يتحدى بها... و القرآن هو معجزة محمد- صلى الله عليه وسلم- الوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال... إلى يومنا يثيران كل من يتلونه، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين وكان محمد- صلى الله عليه وسلم- يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد على صدق رسالته، ولا ريب أن كل آية منه، ولو أشارت إلى أدق حادثة في حياة الخاصة، تأتيه ما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب فيأن هنالك ما يجب أن يبحث به عن سر نفوذه وعظيم نجاحه"⁽²⁾.

13- الشهادة الثالثة عشر:

وهي للكاتب الفرنسي " دي كاستري"⁽³⁾ الذي يقول في بعض شهاداته: "... إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمة وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظا ومعنى. آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها ، وكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالجموع لما تلى عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى، وصاح القسس أن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى- عليه السلام- لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا، غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سببا في معارضة تأثيره في عقول العرب، ولقد أصاب " جان جاك روسو" حيث قال: " من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمدا صلى الله عليه وسلم يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب.. لخرسا جدا على الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشوق والفخار أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار"، وكيف يعقل أن النبي صلى الله عليه وسلم، ألف هذا الكتاب

1- إميل در منغم، حياة محمد، ص، 195.

2- نفسه، ص289، 290.

3- الكونت دي كاستري (1850، 1927) هو مقدم في الجيش الفرنسي، قضى وقتا طويلا في الشمال الإفريقي، من آثاره: "مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب" (1905)، و " الأشراف السعديون" و " رحلة هولندي إلى المغرب" وغير ذلك.

باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون... ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب...¹، ويقول: "أتى محمد صلى الله عليه وسلم، بالقرآن دليلاً على صدق رسالته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سر من الأسرار التي تعذر فك طلاسمها ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله..."²، ويقول كذلك: "... قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضع إلا أن سببه ميسور المعرفة... إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين"³.

14- الشهادة الرابعة عشر:

هذه الشهادة نأخذها من الباحث والرحالة الفرنسي "مونتاي"⁴ الذي يقول في إحدى شهاداته: "إنني لا أشك لحظة في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه بعث للناس كافة، وأن رسالته جاءت لختم الوحي الذي نزل في التوراة والإنجيل. وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة. فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوروبي الحاقده على الإسلام والمسلمين إلا خاطرة واحدة وهي قوله: ليس القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن الإنجيل ليس من تأليف متى"⁵، ويقول في شهادة أخرى: "... إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني كمثل رجل أفرغ من دمه"⁶.

1- دي كاستري هنري، الإسلام: خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة القاهرة، 1911، ص: 18-20.

2- نفسه، ص: 20.

3- نفسه، ص: 22، 23.

4- قسيبي مونتاي، المنصور بالله الشافعي، فرنسي، رجل بحث وترحال، اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية، قضى سنوات عديدة في المغرب والمشرق وإفريقيا وآسيا، نشر عشرات الأبحاث والكتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وانتهى الأمر به إلى إعلان إسلامه في صيف عام 1977.

5- العتيبي عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، ج5، ص: 45.

6- نفسه، ج5، ص: 50، 51.

15- الشهادة الخامسة عشر:

وهذه آخر الشهادات في بحثنا هذا، وهي لعائشة هوني¹ التي تقول: "...لن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام..."².

هذه بعض الشهادات لعلماء وباحثين ونقاد وفلاسفة ومفكرين.... من جنسيات مختلفة، تنوعت ثقافتهم، كتنوع وظائفهم وانتماءاتهم الفكرية، ولكن جمعهم القرآن الكريم على مائدته، وأثر فيهم بأسلوبه، بيانه، بلاغته، إعجازه، عباراته، معانيه، معالجته لكل القضايا والمشكلات الدينية والعقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية... فاعترفوا به، واغترفوا منه، وتوالت شهاداتهم واعترافاتهم والحقيقة أن هذه الشهادات غيض من فيض، وقطرة من بحر، ومن أراد الاطلاع على أكثر الشهادات ليس في حق القرآن وفقط، بل في حق الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والحضارة الإسلامية وتاريخ المسلمين خاصة في عصوره الذهبية... عليه أن يطلع على مؤلفات كثيرة في هذا الباب، منها كتاب: "قالوا عن الإسلام" للدكتور عماد الدين خليل، وكتاب "رجال ونساء أسلموا" لعرفات كامل، وغيرهما من الكتب الكثيرة وكذا البحوث والمقالات الموثوقة هنا وهناك في الجرائد والمجلات والدوريات...

ونحن اقتصرنا في بحثنا هذا على هذه الشهادات، وهي تغني - في نظرنا - عن غيرها من جهة، وتبين لنا من جهة أخرى، إذا كان هناك من يسيء للخطاب القرآني. ويحاول أن يشوهه أو ينقص من منزلته ورفعته وسموه... فهناك من جانب آخر من يدافع ويكافح وينافح عن هذا الكتاب الخالد، ناهيك عن بعض الشهادات التي جاءت من أشخاص كانوا يحاربون القرآن الكريم ومن ألد أعدائه، وأشد خصومه.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الخطاب الديني المعاصر، خطاب يتماشى مع متطلبات العصر، يساير كل التطورات والمتغيرات، يتلاءم مع مختلف الخطابات، يرتبط بواقع الناس، ويحل مشاكلهم، ينبذ العنف والتطرف والاختلاف، يتميز بالوسطية والاعتدال في الطرح، وتقبل الآخر، يعالج كل

1- عائشة برجت هوني، من أسرة الإنجليزية مسيحية، أحبت الفلسفة وشغفت بها، سافرت إلى كندا لإكمال دراستها، وهناك في الجامعة الكندية أتيج بها ان تتعرف على الإسلام وأن تنتهي إليه، وقد عملت مدرسة في مدرسة عليا في نيجيريا.

2- نفسه، ج1، ص: 59، 60.

القضايا المختلفة، يدعو إلى الفكر والتدبر، وإمعان النظر، يحارب الجمود والانغلاق والإقصاء، يقبل من الآراء والأفكار ما لم يكن منها منحرفاً، ينطلق من التراث ويعتمد عليه، ويقبل التجديد وفق ضوابطه ومقاصد الشريعة منه، مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهو نص ديني يوحد ولا يفرق يدعو إلى الحكمة، والمجادلة بالتي هي أحسن ويجاور الآخر في إطار السلم والأمن والتعقل والعلم.

خاتمة

أحمد الله تعالى على انتهائي كما حمدته في ابتدائي، وأصلي وأسلم على سيدي وحبيبي - محمد صلى الله عليه وسلم -.

بعد هذا التطواف حول ما كتب عن الخطاب القرآني وقراءته من خلال تطبيق بعض آليات الفهم المعرفية المعاصرة عليه، جاءت نهاية هذه الأطروحة المباركة، وهي الخاتمة، وخاتمة بحثي هذا هي عبارة عن حوصلة مختصرة، وإطلالة سريعة، ومسح شامل، وقراءة عميقة، لبعض ما كتب وألف ودون، من كتب ورسائل ومقالات وبحوث تتعلق بموضوع القراءات المعاصرة ومنطلقاتها الفكرية، وإشكالات المناهج الحديثة في قراءة الخطاب القرآني، وتطبيق بعض آليات الفهم المعرفية المعاصرة عليه، وبعد أن طالعنا واطلعنا وبحثنا وقرأنا أكثر من ثلاثمائة وعشرين (320) مؤلفاً، من كتب وبحوث ورسائل... تخص هذا الموضوع، الشائك والمتشابك، ورغم صعوبة هذا الموضوع، لتعلقه بالخطاب القرآني، وما تعرض له من قراءات معاصرة مختلفة ومتنوعة، اختلاف وتنوع منطلقات ومرتكزات روادها ودعاتها الايديولوجية والفكرية والبيئية والزمانية..، فكان لزاماً علينا أن نحتاط ونحذر، دون أن نشير فتنة، أو نحدث زوبعة، مع الانتصار للحق وتأييده مهما كان مصدره، مع التركيز على نقد الفكرة لا المفكر، وتقبل الرأي المخالف، شعارنا ينطلق من المقولة المشهورة للإمام الشافعي، " رأينا صواباً يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأً يحتمل الصواب"، فكتبنا هذه الرسالة المباركة، التي جمعت من كل بستان زهرة، ومن كل حقل وردة، وحملت من كل جؤنة عطار، أطيّب الطيب، وسقيت برحيق محتوم، ختامه مسك، ولا بد للمسك أن يفوح شذاه، ففاح الشذى، بعد أن قطر الندى، فأنبت لنا نبتاً مباركاً، قطعنا ثماره على شكل نتائج واستنتاجات جمعناها في نقاط هي:

- أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء..، لذلك فالبحوث والدراسات يجب أن تصاحب القرآن الكريم في كل عصر ومصر، وزمان ومكان، وهذا ما يفهم من كلام الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) الذي قال: «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علماً لأوليين والآخرين»¹.

- توسع العلوم والمعارف وتعددها وتنوعها في الدرس القرآني المعاصر، وهذا ما أشار إليه القدماء مثل ابن عطية الذي قال في تفسيره: «إن كتاب الله تعالى لا يفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه»²، وعدد الإمام أبو حيان الأندلسي سبعة من وجوه العلوم، لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله، إلا من أحاط

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 08.

2- ينظر: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المقدمة، ص: 12.

بجملة من كل وجه منها،¹ والوجوه السبعة هي: علوم اللغة، والنحو، والبلاغة، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والقراءات.

- تصريح العلماء القدامى بضرورة متابعة العلوم اللسانية واللغوية في كتاب الله تعالى من ذلك ما ذكره البيضاوي في تفسيره حين قال: «وبعد: فإن أعظم العلوم مقدارا، وأرفعها شرفا ومنارا، علمالتفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية، ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيها والتصدي للتكلم فيه، إلا من برع في العلوم الدينية كلها وأصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعه»².

- ملاحظة طبيعة القرآن وهي كونه حاملا لرسالة إلهية، وخطابا للعالمين يتضمن محتوى يطلب من المخاطب التعاطي معه، وهذا معنى وصف القرآن بأنه كتاب هداية مأمور بتبليغه والعمل به.

- القرآن نص صيغ بلغة عربية لها قوانينها ومعانيها وأساليبها، ولا يستقيم فهم القرآن من غير الأخذ بعين الاعتبار البعد النصي والبعد اللغوي للقرآن، ففي البعد النصي ينبغي لحظ تكامل النص وإفصاح بعضه عن بعضه، وأثر بنيته في فهمه، وكيفية صياغة أساليبه وخطابه، وفي البعد اللغوي ينبغي لحظ عصر نزوله وما قبله، ولغة القرآن في علاقته مع هذه اللغة، فضلا عن قوانين العربية ومعاني مفرداتها.

- صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان، وإن كان هذا المفهوم هو عقيدة ثابتة وراسخة في قلبي قبل شروعي في هذا البحث، إلا أنني ازددت يقينا، بما أنا به موقن، بل وتيقنت من أنه لا يصلح لأي زمان ومكان، ولأي مخلوق، من بشر وشجر وحجر وجماد وحيوان وجان، إلا هذا القرآن، فشريعته وأحكامه صالحة وخالدة على مر الدهور والعصور، وهو الكتاب المعجز في فصاحته وبلاغته وبيانه ومعانيه...، فضلا عن التشريع والأخلاق وغير ذلك من جوانب المعرفة.

- الدراسات المعاصرة التي اطلعنا عليها في هذا البحث هي بحاجة إلى ضبط منهجي، وتعاني من تضخم إيديولوجي ساهم في انتاج دراسات محدودة ومحددة الرؤية والنتائج، لها أحكام مسبقة، وكما كانت محفزة للاهتمام بالمناهج الحديثة لدى البعض، رفضها آخرون بسبب إيديولوجيا مضادة لدى باحثين كثيرين.

1- ينظر: بن يوسف أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، المقدمة، ج1، ص: 120.

2- ينظر: ناصر الدين أبي سعيد الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي، المسمى "أبو التنزيل وأسرار التأويل"، المقدمة،

- الكثير من شعارات العصرية، ومقولات تجديد الخطاب القرآني ماهي إلا أقنعة خادعة لإخفاء الأهداف الحقيقية لضرب القرآن الكريم.

- الكثير من المناهج الغربية المعاصرة قائمة على إنكار وجود الإله، فكيف تحلل وتدرس وتناقش وحيا مصدره الله؟ بل كيف تتلاءم وتتواءم وتتفق مع مناهج قائمة على الإيمان بالله، وما يترتب عنه من الإيمان بالغيب والملائكة والجنة والنار والبعث والنشور...

- القراءات المعاصرة للخطاب القرآني، شهدت تحولات خطيرة في حياتنا، فقد وصل بنا الأمر إلى خلق جماعات قوية ضاغطة تستأثر بالسياسة والتشريع وتتعصب لتشريعها الذي تعرفه فتحلل وتحرم، وتدافع عن مواقفها ببسالة.

- كما أن هذا الاتجاه بكل مدارسه وتياراته ورموزه مشبوه الارتباط، مشبوه الأهداف، وكلها تصب في النيل من الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم، وتحقيق أطماع الغربيين وضمان بقائهم ونفوذهم في ديار المسلمين، ونهب ثرواتهم والحيلولة بينهم وبين تحقيق الرقي والرفاه والحياة الآمنة الكريمة.

- ونقول للذين يحاولون العبث بالنصوص الشرعية _ عامة _ تحت ستار البحث العلمي في الجامعة أو خارج الجامعة، أتركوا النصوص الشرعية وشأنها، وتيقنوا أن لهذه النصوص حمايتها وأربابها والمقتنعين بها، يذودون عن حياضها ويحمونها ويدافعون عنها، فدعوهم يعبدون الله بلا حذقة وبلا فذلقة، العبوا بعيدا في ما ميادين أخرى.

- نحن على ثقة تامة، ويقين كامل، بفشل هذه الاتجاهات المشبوهة، وما هي إلا صيحة في واد، ونفخة في رماد، فالله بالغ أمره، وحافظ كتابه، و متم نوره، "يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم والله متم نوره....".

- كل المحاولات التغريبية التي تسعى لضرب القرآن بخاصة والنصوص الشرعية عامة، هي محاولات فاشلة، مآلها إلى الزوال، ومصيرها الفشل، حتى وإن نجحت في بلد ما، أو في وقت ما، فإنه نجاح مؤقت، يعقبه فشل ذريع.

- الخطاب القرآني هو قدرة الله ورحمته في الأرض ومحاوله اختراقه أو ضربه، أو معارضته، أوليه وثنية عن مقاصده، هي محاولة فاشلة ونتائجها مخزية ومخزنة.

- كل العصور لم تحل من أعداء القرآن، ولكنهم باءوا، ومازال القرآن يتحدى الإنس والجن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

- القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل أنزله لهداية الناس أجمعين، وهو خطاب عالمي عام وشامل وصالح لكل زمان ومكان.

-الخطاب القرآني خطاب واحد لا تناقض فيه ولا تكرار، بلغه الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما أنزل، وكما أمر، فكان خير مبلغ عن الله.

-الخطاب القرآني تعرض لمختلف الحملات التي شككت فيه، وحاولت تشويهه منذ نزوله إلى يومنا هذا.

-فوض الله سبحانه وتعالى محمدا، صلى الله عليه وسلم، لتبيين وشرح وتفسير قسم من القرآن الكريم، وترك قسما آخر لأهل الاستنباط والاجتهاد والمفسرين الذين تتوفر فيهم الشروط مثل الخوف من الله والتقوى والورع والصلاح والصدق والإخلاص والإمام التام والكامل بقواعد التفسير وضوابطه ومناهجه، والتبحر في علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، ومعرفة بعلم القراءات والتجويد وعلم الكلام، وعلوم القرآن، وأصول الفقه....

- بعض المناهج والآليات المعرفية المعاصرة، خدمت كتاب الله وكانت بحق إضافة في قراءة الخطاب القرآني.
- وبعض النظريات والمناهج التي طبقت على الخطاب القرآني - قصدا لضرب كتاب الله - تلاشت واندثرت وفشلت وانتهت، وبقي كتاب الله خالدا شامخا يعلو ولا يعلى عليه إلى يوم الدين.
كما نستنتج أن المناهج الحديثة وآليات الفهم المعاصرة، التي طبقت على الخطاب القرآني رغم كثرتها وتنوعها واختلافها إلا أن جلها يهدف إلى:

- نقل الخطاب القرآني من مستوى إلى آخر مقابل له: نقله من الغيب إلى الظاهر، ومن التعالي إلى المحايثة، ومن القداسة إلى الأنسنة...

وهذا بإلحاق بعض المفاهيم الجديدة بالقرآن الكريم، كوصفه، نصا، وظاهرة، وخطابا...لكي يمكن تحليله وتفكيكه، ودراسته كما تدرس جميع النصوص والظواهر.

-أصبح القرآن الكريم- في نظر الكثيرين- يقول كل شيء، دون أن يقول شيئا، يقول كل شيء يريد الإنسان، ويسكت عن كل شيء لا يريد الإنسان، ولم تعد له القداسة التي يكنها له المسلمون، فأصبح يدعو إلى النفور، ويمارس التعمية، والمخاتلة، ويوصم بالتناقض والتفكك والتبعثر.

- جعل الخطاب القرآني فضاء دلاليا متنوعا، ومنتجا ثقافيا.

- التأسيس لرؤية جديدة للخطاب القرآني لا تميز بين نصوصه والنصوص البشرية والدينية الأخرى، كنصوص العهديين القديم والجديد.

- نزع وتحطيم سياق القداسة الذي أحاط بالخطاب القرآني، وعدم اعتباره ظاهرة غيبية متعالية ومقدسة.

- القول بتاريخية وأنسنة النص القرآني وهذا يربطه بالواقع والتاريخ والمكان.

- وصفه بالخطاب القرآني، لا لكونه خطاب منزه وإنما لغرض استعمال الأدوات التقنية والمنهجية المعاصرة في فهمه والتي تدخل في منهج تحليل الخطاب على وجه الخصوص.

- توصيات البحث وآفاقه.

- على العلماء الربانيين أن يتصدوا لكل الشبهات التي تحاك ضد الخطاب القرآني، وأن يسارعوا في تبين الحق في كل مسألة تثار، سواء على صفحات الكتب أو الصحف والمجلات، أو وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام المختلفة، وألا يقتصر التصحيح والتبيين والتوضيح على النخبة فقط، كطلبة الجامعة مثلا.

- اليقظة والحيلة والحذر عند مناقشة الأفكار الواردة وفحصها وردها إلى أصولها والبحث في جذورها، وعدم قبولها جملة واحدة، أو ردها جملة واحدة.

- عدم التسليم المطلق بكل المناهج الوافدة، وقبول أحكامها التقريرية على أساس أنها مناهج بحث منطقية، تعتمد على علم اللسانيات الحديث، وتتماشى مع الرهانات والتحديات، وتدعو للتجديد وترفض القديم، لأن العلم السليم يستحيل أن يعارض النقل الصحيح.

- علينا أن نأخذ بالأفكار الجديدة من منابعها، ونتابع ما آلت إليه تطبيقاتها في واقعها، لكي نتمكن من رؤية حقيقية لأضرارها ومنافعها، فإذا قالوا اللسانيات، أو تحليل الخطاب القرآني، أو تطبيق آليات ومعارف عليه وتجديده، أخذنا هذه الدعوات بعين الاعتبار، وبجثنا عن أصولها، وتعمقنا فيها، ودرسنا أعلامها، وسنكتشف دائما أن الحق لا يعدم من أنصار، وأن الباطل دائما ينهار، لأن الحق دائما أبلج، والباطل للجلج.

- علينا أن ندرس القرآن يوميا، وأن ننطلق في دراستنا له من واقعنا وحاضرنا إلى ماضينا، حتى لانكون غرباء عن عصرنا، فأغلب الأفكار الجديدة، هي في الأصل أفكار قديمة تصاغ بقوالب جديدة، فلماذا لانصوغها نحن؟ لماذا نترك الصياغة لغيرنا، حتى أصبح غيرنا أكثر تألفا وتصالحا ومودة، مع تاريخنا وعقيدتنا وديننا.

- تحتاج الأمة إلى تضافر جهود كل المخلصين والمصلحين وتكاتف العلماء والمفكرين والنقاد.. ومقارعة الخصم بنفس أسلحته، وألا يكتفوا بالإدانة والرفض والتسفيه، لأن ذلك لم يقترن بالحجة والبرهان، ويكون ضرره أكثر من نفعه، خاصة أن كثيرا ممن يتبجحون بهذه الأقوال والآراء، ويدافعون عنها، ويدعون إليها، مرفوضون في بيئاتهم، ومهجورون في عقر ديارهم.

- العمل بمقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي قال " تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"، فالمقصود بهذه المقولة هو الاهتمام بالشباب

المسلم وإعطائه فكرة دقيقة عن المذاهب الإلحادية، أسسها، منهجها، أهدافها، غاياتها، نظرة الإسلام إليها... حتى يحتاط لدينه وعقيدته، ويتمسك بثوابت أمته.

وخلاصة القول، نقول أن هناك أنواعا مختلفة ومتعددة من آليات الفهم المعاصر، ظهرت بسبب التطور الحاصل في مناهج قراءة النصوص، أدبية كانت أو فلسفية أو دينية أو اجتماعية... واهتم كثير من روادها بالخطاب القرآني، وحاولوا إعادة قراءته وفهمه، من خلال بناء تصور جديد له، يتجاوز ويتخطى تصوره كوشي إلهي منزل متعال وغيب.

وأخيرا هذه الدراسة أو الإطلالة العجلى، على حالة الخطاب القرآني في القراءات الحداثية، لا ندعي فيها الكمال في أي حال من الأحوال، ولا يمكن لها أن تحيط بهذا الخطاب القرآني، وبكل الدراسة الحداثية التي تناولته، وإنما حاولت أن تسلط الضوء على أهم المحطات، وأبرز النظريات، وأشكل الإشكالات، وأهم المقولات التي أثرت حوله، مما جعلنا نستنتج من خلال دراستنا هذه التحليلية والنقدية للقراءات الحداثية المطبقة على الخطاب القرآني، نستنتج أنها قراءات معاصرة، أفادت واستفادت من مناهج غربية طبقت على نصوص بشرية، فلسفية وأدبية... وهي في الغالب تعبير عن انحراف في هذه المناهج، لكونها لم تراع خصوصيات القرآن الكريم، ككتاب ديني إلهي مقدس ومنزه عن الصفات البشرية، مما جعلها تفتقر إلى الموضوعية في الطرح، والتجرد من الخلفيات الفكرية المخترنة والمكتنزة في فكر وعقول كثير من روادها، مما جعل هذه المناهج والقراءات المعاصرة محل مؤاخذات وانتقادات لا تحصى ولا تعد، إن تتبعناها وتعقبناها لا تتوقف دراستنا، ولا ينتهي بحثنا، وستبقى سفينتنا في بحرها عائمة، ولكنها على شاطئه ستري -بعد حين بإذن الله - راسية، محملة بزاد قل حجمه، وعم خيره وكثر نفعه.

هذا وإني بعد نهاية هذا البحث وعرضه وذكر أهم نتائجه أعترف بأي لم أوفّه حقه، فإن كثيرا من مباحثه بحاجة إلى تفصيل أكثر، وإضافات، وربما لحذف بعض العناصر، فهو يحتاج إلى مراجعة أدق، إلا أن ضيق الوقت وشعوري وإحساسي بأنني حققت حدا أدنى من الخدمة، لكتاب ربنا سبحانه وتعالى، وللبحث العلمي، جعلني كل ذلك أضع قلمي، وأجمع أوراقني لأنفس قليلا، على أمل العودة بحزم وعزيمة وهمة عالية في مواصلة المسيرة في بحوث أخرى.

وأشكر كل من قدم لي عوناً، أو مساعدة، أو نصيحة، أو ملاحظة، من أساتذتي الكرام، وأصدقائي وأحبابي، داعياً الله عز وجل أن يحفظ الجميع، متمنياً لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وختاماً أقول:

إن عملي هذا جهد المقل، ولعل ما فيه من الأخطاء والعثرات والتجاوزات والكبوت والتطاول مافيه، فكل ذلك حدث ووقع عن غير قصد مني، فحسبي أني فكرت، وقررت، وعزمت، وحاولت، واجتهدت، وكتبت ثم ختمت، فهذا العمل هو بداية لعمل صالح ينفع الله به عز وجل " رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" سورة "البقرة" (286).

فهرس الآيات

القرآنية

السورة	الآيات	الآية
البقرة	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	23
	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾	24
	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾	185
	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِبَةٌ لِّلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾	189
	﴿الْم ١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢﴾	2-1
	﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾	24
	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾	165
	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾	67
	﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾	196
	﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١١١﴾	111

19	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	
85	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ٨٥﴾	
07	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٧﴾	
07	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾	آل عمران
71	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٧١﴾	
-102 103	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٠٢ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾	
71	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٧١﴾	
59	﴿فَإِنْ تَسَاوَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	النساء
82	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ٨٢﴾	

164	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	
136	﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾	
65	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾	
59	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾	
82	﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾	
83	مما عرفوا من الحق	
50	﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ یَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ یُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾	المائدة
50	﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾	
48	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا﴾	
92	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾	

145	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾	
157	﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾	الأعراف
158	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	
175	﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ١٧٥﴾	الأنفال
75	﴿وَمِنْهُمْ مَن عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِن آتٰنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰلِحِينَ ٧٥﴾	
65	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾	التوبة
65	﴿قُلْ أِبٰللّٰهِ وَاٰيٰتِهِ وَرَسُوْلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُوْنَ﴾	
189	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاٰهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنّٰسِ وَالْحَجِّ﴾	
32	﴿يُرِيدُونَ اَنْ يُطْفِئُوْا نُوْرَ اللّٰهِ بِاَفْوٰهِهِمْ﴾	
02	﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوْحِ مِنْ اَمْرِهِ عَلٰى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ اَنْ اَنْذِرُوْا اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاتَّقُوْنَ﴾	
-102 105	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوْحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَهُدٰى وَبُشْرٰى لِّلْمُسْلِمِيْنَ ١٠٢ وَلَقَدْ نَعَلْمُ اَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ اِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُوْنَ اِلَيْهِ اَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٌ ١٠٣ اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ لَا يَهْدِيْهِمْ اللّٰهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ١٠٤ اِنَّمَا يَفْتَرِي الْكٰذِبُ الَّذِيْنَ لَا	النحل

	يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٠٥﴾	
44	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	
103	﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾	
103	﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾	
89	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾	
88	﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	
14	﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١﴾	الإسراء
70	﴿﴿﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾	
64	﴿﴿﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾	مريم
22	﴿﴿﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾	الأنبياء
10	﴿﴿﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾	

75	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	الحج
64-63	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَمًا ٦٤﴾	
-32 34	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤﴾	الفرقان
5-4	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ٤ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولَيْنِ اكْتَنَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	
-192 195	﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥﴾	الشعراء
51	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا...﴾	
53-52	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾	الشورى
17	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الْحَقَّ وَالْمِيزَانَ﴾	
02-01	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢﴾	المدثر

17-16	﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ ۱٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ ۱٧﴾	
01	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۗ ١﴾	المجادلة
42-41	﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۗ ٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ نَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۗ ٤٢﴾	
29	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾	فصلت
44	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَا عَجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ ۗ﴾	
05-01	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ٥﴾	
7-1	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ٦ أَن رَّءَاهُ اسْتَعْجَىٰ ٧﴾	العلق
01	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾	
07	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۗ﴾	القصص
9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۗ﴾	الحجر
13	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ ١٣﴾	
01	﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۗ ١﴾	هود

14-13	﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنزَلَهُ قُلُوبًا فَأَنزَلُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلَهُ مُقْتَرِبَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَاطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ ۱۳ فَالْحَمْدُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ۚ ۱۴﴾	
56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات
80-77	﴿إِنَّهُ لُقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۗ ۷۷ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۗ ۷۸ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۗ ۷۹ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ۸۰﴾	
34-27	﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۗ ۲۷ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۗ ۲۸ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۗ ۲۹ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ۗ ۳۰ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۗ ۳۱ وَفَكْهَةٍ كَثِيرَةٍ ۗ ۳۲ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۗ ۳۳ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۗ ۳۴﴾	الواقعة
23-10	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۗ ۱۰ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۗ ۱۱ فِي جَنَّتٍ النَّعِيمِ ۗ ۱۲ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۗ ۱۳ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۗ ۱۴ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۗ ۱۵ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُنْقَلِبِينَ ۗ ۱۶ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنُّ مٌخْلَدُونَ ۗ ۱۷ بَاطُونَ وَابَارِيقٍ وَكَاسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ۗ ۱۸ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ۗ ۱۹ وَفَكْهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۗ ۲۰ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۗ ۲۱ وَحُورٍ عِينٍ ۗ ۲۲ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ ۗ ۲۳﴾	
34-33	﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَاثُوا بِحَدِيثِ ۗ ۳۳ مِّثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۗ ۳۴﴾	الطور
35	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۗ ۳۵﴾	

17-15	<p>﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ ١٦ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ ١٧﴾</p>	يونس
93	<p>﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقَرُوهُ﴾</p>	
94	<p>﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾</p>	
16	<p>﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦﴾</p>	
43-38	<p>﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنْزِيلٍ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٤٣﴾</p>	الحاقة
48	<p>﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ٤٨﴾</p>	
69	<p>﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾</p>	العنكبوت

01	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ^١	البينة
18	﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ ^{١٨}	القيامة
17	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾	
07	﴿وَمَاءَ اتِّنْكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ^٧	الحشر
36	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ ^{٣٦}	الأحزاب
08	﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ^٨	
23	﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ^{٢٣}	ص
20	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ^{٢٠}	
115	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾	الأنعام
115	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	
13	﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	الحجرات

13	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝۱۳﴾	
71	﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾	الزخرف
44	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝۴﴾	
35	﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝۳۵﴾	ق
02	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝۲﴾	يوسف
05	﴿إِوَّانٍ تَعَجَّبَ فَعَجَبَ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	الرعد
19	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	إبراهيم
10	﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾	السجدة

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
 - المصادر والمراجع:
- (1) إبراهيم خليل أحمد، محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة والإنجيل والقرآن، الطبعة الثانية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، 1965م.
 - (2) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ / 1994م.
 - (3) ابن القيم، المشوق إلى علوم القرآن والبيان، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، دت.
 - (4) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ / 1998م.
 - (5) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية ط3، 1432هـ / 2009م.
 - (6) ابن جنى، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ط1، 1999م.
 - (7) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ / 1995م.
 - (8) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ، ج4.
 - (9) ابن حزم، الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام: دار الآفاق الجديدة، ط1403، 2/1983، ج1.
 - (10) ابن حيان الأندلسي، مقدمة البحر المحيط، دارالفكر، ط1403، 2/1983م.
 - (11) ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة للنشر، 1420/1999م.

- 12) ابن منظور جمال الدين أبو الفضل بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- 13) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م،
- 14) أبو الحسن الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، دط.
- 15) أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دارالكتب العلمية، ط1، بيروت، 1413هـ/1993.
- 16) أبو نعيم الأصفهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1419هـ/1998م.
- 17) أحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، ط1، 1428هـ، 2007م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- 18) أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ط01، المغرب، 2000م.
- 19) أحمد بن تيمية الحراني، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- 20) أحمد بن شعيب بن علي النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد المومن شلبي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1411هـ/1990م.
- 21) أحمد بن محمد على الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: يحيى مراد، مؤسسة المختار، ط1، 2008.
- 22) أحمد ديب، التفكير الفقهي المعاصر بين الوحي الخالص وإكراهات التاريخ، قراءات في الخطاب الشرعي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت، 2017.

- 23) أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1380هـ/1960م.
- 24) أحمد فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دارالجيل، ط1، 5.
- 25) أحمد فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
- 26) أحمد نسيم سوسه، في طريقي إلى الإسلام، المطبعة السلفية، القاهرة، 1936، ج1.
- 27) أحمد بن حنبل، المسند، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط1، 1389هـ/1969م، ج6.
- 28) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مكتبة دارالفيحاء، دمشق، دت.
- 29) الألويسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1405هـ، 1985م.
- 30) إميل در منغم، حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949.
- 31) أمين الريحاني، القوميات: دار الجبل، بيروت، ط7، 1987.
- 32) ايرقنجواشنجتون، حياة محمد، ترجمة وتعليق علي حسن الخربوطلي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1966م.
- 33) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 34) بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، الطبعة الأولى، 1984.
- 35) البغدادي، عبد القاهر الخطيب البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977.

- 36) البكاري عبد السلام والصادق بوعلام، الشبه الاستشراقية في كتاب المدخل إلى القرآن الكريم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.
- 37) بوعرفة عبد القادر وآخرون، التأويل والترجمة، مقاربات لآليات الفهم والتفسير، نقلا عن ابن جزري، التسهيل في علوم القرآن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009.
- 38) بومدين بوزيد، الفهم والنص، دراسة في المنهج التأويلي عند شلير ماخر وديلتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.
- 39) تركي إبراهيم، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م.
- 40) التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1999م.
- 41) جاك ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة : أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية، القاهرة، 5، ت.
- 42) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دط، 2005.
- 43) جواد علي كسار، المعاصرة القرآنية، رؤية على ضوء المدرسة الوجودية، مقال مطبوع في كتاب قراءات معاصرة في النص القرآني، مجموعة من المؤلفين، ط1، 2008، بيروت.
- 44) حرب علي، التأويل والحقيقة، دار التنوير، بيروت، 1985.
- 45) حرب علي، الممنوع والممتنع، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط4، 2005م.
- 46) الحسن العباقي، القرآن الكريم والقراءة الحداثية، دراسة تحليلية لإشكالية النص عند محمد أركون، دار صفحات للدراسات، سورية، دمشق، الإصدار الأول 2009.
- 47) حسن حنفي، التراث والتجديد _موقفنا من التراث القديم _، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2002.

- 48) حسين خمري، نظرية النص، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2007م.
- 49) حسين سعد، الأصولية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1.
- 50) حكيمي محمد رضا، المدرسة التفكيكية، دار الهادي، بيروت لبنان، ط1، 2000م.
- 51) حمادي هواري وآخرون، قراءات في فكر وفلسفة علي حرب، -النقد، الحقيقة، التأويل-، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010.
- 52) خلود العموش، الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، ط01، الأردن، 2008م.
- 53) درباله إسلام محمود، موسوعة علوم القرآن، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 2007م.
- 54) دي كاستري هنري، الإسلام: خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة القاهرة، 1911.
- 55) دينيه ايتين ناصر الدين، أشعة خاصة بنور الإسلام، ترجمة: راشد رستم، سلسلة الثقافة الإسلامية، رقم 17، المكتب الفني للنشر، بيروت، 1960.
- 56) ديورانت ول، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران وآخرون، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964، 1967م، ج13.
- 57) رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، دط، عنابة، 2006م.
- 58) الرازي، محمد بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986.
- 59) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاي، ط، دار المعارف بيروت.
- 60) الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1 1412هـ.

- 61) رسالة القرآن، نخبة من الباحثين والكتاب، إعداد إدارة البحوث والدراسات الإسلامية قطر، ط1، 1431هـ/2010م.
- 62) رونالد ايلوار "مدخل إلى اللسانيات" ترجمة: بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي السورية، مطبعة جامعة دمشق، 1400هـ، 1980م.
- 63) الزرقاني، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1.
- 64) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005.
- 65) الزركشبيدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عبد الستار أبو غدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط2، 1413هـ.
- 66) الزمخشري، تفسير الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، دار المصحف، ط2، 1988/1398، ج2.
- 67) سالم يفوت، مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، منشورات كلية الآداب، د.ت.
- 68) سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة، (1977)، ج1.
- 69) السبكي، علي بن عبد الكافي ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1404هـ/1985م، ج1.
- 70) سر الختم عكاشة محمد علي: الأنوار البهية في الرد على من زعم أن بالقرآن أخطاء لغوية، قسم اللغة العربية، جامعة قطر، دط، دت.
- 71) السرخسي، أحمد بن أبي سهل ، أصول السرخسي، تحقيق: أبوالوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف العثمانية، دت، حيدر، آباد.

- 72) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط04، المغرب، 2005م.
- 73) سلامة موسى، اليوم والغد، المطبعة العصرية، القاهرة، 1927.
- 74) سلهب نصري، لقاء المسيحية والإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1970م.
- 75) سمير سعيد، مشكلات الحداثة في النقد العربي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط1، 2002.
- 76) الشاطبي، الاعتصام، دار اشرفية، دت، دط.
- 77) الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تخريج: أحمد السيد علي، وشرح عبد الله دارر، المكتبة التوفيقية القاهرة.
- 78) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط2، 1413هـ / 1992م.
- 79) شوقي الزين محمد، تأويلات وتفكيكات، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 2002م.
- 80) الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول، تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: بن العربي الأثوبي، الطبعة الأولى، دار الفضيلة 1421هـ، 2001م.
- 81) صبحي أحمد محمود، وصفاء عبد السلام جعفر، فلسفة الحضارة - اليونانية، الإسلامية، الغربية - دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006م.
- 82) صبحي صالح، مباحث علوم القرآن، دار الملايين، ط2000، 4م.
- 83) الصبيحي محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1.
- 84) الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، 2000.
- 85) الطالبي محمد، ليطمئن قلبي، الجزء الأول، قضية الإيمان وتحديات الإنسلاخسلامية ومسيحية قداسة البابا بنوا 16، من أين أتينا؟ ماذا نحن؟ إلى أين نذهب؟ تونس، دار سراس، للنشر.

- 86) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكتبة مصطفى الباي الحلي، مصر، ط1332، 2هـ، ج1.
- 87) الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.
- 88) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، مصر 1973.
- 89) طه عبد الرحمن، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، الدار البيضاء، بيروت.
- 90) عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، القراءات، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، تقديم الدكتور: مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م.
- 91) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر.
- 92) عبد السلام المسدي، قضية النبوية، دراسة ونماذج، دار الجنوب للنشر، تونس، 1995م.
- 93) عبد العالي مكرم، الفكر الإسلامي بين العقل والوحي، مؤسسة، بيروت، 1417هـ.
- 94) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من النبوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، 1978م.
- 95) عبد الغامدي، تشريع النص، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987.
- 96) عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، (تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة) المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1999.
- 97) عبد الله الغدامي، "الخطيئة والتفكير من النبوية إلى التشريحية"، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، 1405هـ، 1985م.
- 98) عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة، مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: أسامة، ط1، دت.
- 99) عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983.
- 100) عبد المجيد الشرفي، الرسالة والتاريخ، بيروت-دار الطليعة، 2001.

- 101) عبد المجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2009.
- 102) عبد المجيد الشرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، 2007م.
- 103) عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدة، 1402هـ/1982، ط1.
- 104) عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2004.
- 105) عبد الوالي بن عبد الواحد الشلفي، القراءات المعاصرة والفقہ الإسلامي، مقدمات في الخطاب والمنهج، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت، 2013.
- 106) عبد الوهاب بن علي السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ/2003م.
- 107) عبدالرزاق هرماس، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب، كلية الآداب، جامعة القاضي عياض، بني ملال، المغرب، دط، دت.
- 108) العتيبي عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الجزآن2، و3، الطبعة الثالثة، الأجزاء: 4-10، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، 1973، 1983.
- 109) علاء الدين عبد العزيز أحمد البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، مطبعة سنده العثمانية، 1308، نشر الكتاب العربي، بيروت، 1394هـ/1984م، ج1.
- 110) علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الحميلي، دار الكتاب العربي، ط2، 1406هـ/1986م، ج2.
- 111) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت.
- 112) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، مؤسسة الحسين، ط1، 2006م.
- 113) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1977، ج1.

- 114) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م ج1.
- 115) فاغليري لورا قيشها، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م.
- 116) فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، لبنان، 2000م.
- 117) فرديناند دي سوسير، "دروس في الألسنية العامة"، ترجمة: صالح الفرماوي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب طرابلس ليبيا، تونس 1985.
- 118) فهد بن صالح العجلان، التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، ط2، 1436هـ/2015م، جدة المملكة السعودية.
- 119) فهد عبد الرحمن بن سليمان الروسي، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط1، 2003م.
- 120) القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، دمشق، دار ابن كثير، ج2.
- 121) قاسم شعيب، تحرير العقل الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1، 2007.
- 122) قاسم شعيب، فتنة الحداثة، صورة الإسلام لدى الوضعيين العرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2013، الدار البيضاء، المغرب.
- 123) الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، شركة المطبوعات العلمية، ط2.
- 124) كافي منصور، مناهج المفسرين، دار العلوم، عنابة-الجزائر، د ط، 2006م.
- 125) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، دط، لبنان، 1998م.
- 126) الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998/1419.

- 127) لالاند أندري، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.
- 128) لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ/2014م.
- 129) ليونارد جاكسون "بؤس النبوية" ترجمة: ثائر ديت، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2001م، دط.
- 130) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط1986م.
- 131) مانوغونو دومنيك، المصطلحات المفتاحية لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008م.
- 132) المباركفوري، صفي الدين، الرحيق المختوم، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م.
- 133) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م.
- 134) مجدي وهبة، مصطلحات الأدب، انجليزي/فرنسي/عربي، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1994.
- 135) مجموعة من الباحثين، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1998م، ترجمة: هاشم صالح.
- 136) محمد ابن عبد الكريم رحمان، قضية قراءة النص القرآني، د ط، 1430هـ/2009م.
- 137) محمد أبي عليان الشافعي، اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم، المطبعة الحسينية المصرية، 1435هـ.
- 138) محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقى، ط5، 2009.

- 139) محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل- نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي - ترجمة: هشام صالح، دار الساقى، لبنان، بيروت، ط1، 1999م.
- 140) محمد أركون، الفكر العربي، قراءة علمية، ط2، 1996، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء.
- 141) محمد أركون، القرآن الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، دار الطليعة، بيروت، تحقيق: هاشم صالح، 2001.
- 142) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ دار الطليعة بيروت، الطبعة الثانية، 2000م، ترجمة هاشم صالح.
- 143) محمد أركون، نافذة على الإسلام ، دار عطية، بيروت، الطبعة الثانية، 1997، ترجمة: صياح الجهيم.
- 144) محمد العلي، تجديد الدين، مفهومه وضوابطه وآثاره، كنوز إشبيلية، الرياض، ط1، 2009م.
- 145) محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى، وهو ناقل بدوره عن: محمد حمود، تدريس الأدب استراتيجية القراءة والإقراء.
- 146) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ / 1975م.
- 147) محمد حسين يعقوب، منطلقات طالب العلم، ط2، 1422هـ، 2002م، توزيع المكتبة الإسلامية، القاهرة.
- 148) محمد حمزة، إسلام المجددين، ضمن سلسلة، الإسلام واحدا ومتعددا، دار الطليعة للطباعة والنشر، ورابطة العقلايين العرب، بيروت، ط1، 2007.
- 149) محمد دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن العظيم، دار القلم، الكويت، دط، دت.
- 150) محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق 1408هـ.

- 151) محمد عابد الجابري، تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، ط01، بيروت، 1985م.
- 152) محمد عابد الجابري، فهم القرآن، القسم الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2009م.
- 153) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، بيروت، 2009.
- 154) محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2009م.
- 155) محمد عمارة، القرآن يتحدى، مكتبة الإمام البخاري: للنشر والتوزيع، ط1، 1430، 2009، القاهرة.
- 156) محمد يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمود عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، دط، دت.
- 157) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، الناشر، دار الفرقان، 2008.
- 158) محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، ط01، الأردن، 2011م.
- 159) مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2004م.
- المعجم الوسيط، مجموعة من الأساتذة، مجمع اللغة العربية، ط4، 2004. (160)
- 161) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، نخبة من الباحثين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، صدر في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر هجري.
- 162) المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.

- 163) منذر عياشي، اللسانيات والدلالة الكلمة، مركز النماء الحضاري، ط1، حلب-سوريا، 1996م.
- 164) منى الشافعي، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، عرض ونقد، ط1، 1429هـ، القاهرة.
- 165) ميخائيل باختين: الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة: محمد البكري وبمضى العيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، 1986م.
- 166) ميشال فوكو: حفریات المعرفة، ترجمة: سالم ياقوت، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1978م.
- 167) ناصر بن سلمان العمر، مقال بعنوان: عالمية الخطاب القرآني، ضمن كتاب، رسالة القرآن، تأليف نخبة من الباحثين.
- 168) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، ط4، 1998، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء.
- 169) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، دار ابن سينا، القاهرة، ط2، 1993.
- 170) نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط5، 1999، بيروت، الدار البيضاء.
- 171) نضال عبد القادر الصالح، المأزق في الفكر الديني بين النص والواقع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2006.
- 172) نور الدين عتر، علوم القرآن، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1993م.
- 173) النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء.
- 174) هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، طبعة مؤسسة الوفاء.
- 175) يوسف أكرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، 1986.

176) يوسف الخياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، عربي/الإنجليزي/فرنسي/لاتيني، دارلسان العرب، بيروت، دط، 1994.

177) يوسف الكلام، القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، دراسة تحليلية نقدية، ط1، الرياض 1434هـ.

178) يوسف عبد الله محمد عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، ط1، 1412هـ / 1992م.

● الرسائل الجامعية:

179) حمادي هوارى، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران، السنة: 2012، 2013م.

180) دلال بنت كويران السلمي، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته، (رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن) 1435هـ/2014م.

181) سعد بولنوار، آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، رسالة دكتوراه جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012م.

182) مهى محمود إبراهيم العتوم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004م.

● المجلات والدوريات:

183) بركات عمار، علوان فوزية، آليات توحيد الإتجاهات في فهم القرآن الكريم، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 15، 1438هـ، 2017م.

184) عاشور بوقلقولة، الخطاب الديني وأبعاده المقاصدية، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر - السنة الخامسة. العدد الأول رجب، 1428هـ، جويلية 2007م.

- 185) عبد العالي بوطين، إشكالية المنهج في الخطاب العربي الحديث، مجلة عالم الفكر، ع2، 1، مجلد32، 1994.
- 186) عبد المعطي حجازي، مقال بعنوان: "تجديد الخطاب الديني"، مجلة الأهرام، بتاريخ: 2002/01/16.
- 187) فاتح زيوان، أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي، كتاب المجلة العربية 164، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض 1431هـ.
- 188) نورمان فيركلف: الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، ترجمة: رشاد عبد القادر، مجلة الآداب الأجنبية، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: 101-102، شتاء وربيع 2000م.

● قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- 189) Arkoun Mohammed, 1975 la pensée Universitaires de France, première édition.
- 190) Dictionnaire Hachette ,P: 1505/magazine Littéraire n°370 Novembre 1998,(jaclinlargrée),dictionnaire encyclopédique de larausse.
- 191) Emile Benveniste-Problèmes de linguistique général, T1, Edi Gallimard, Paris, 1966.
- 192) <http://www.facebook.com/video/video.php2v:199925546738943>.
- 193) Pour une critique de la raison islamique, Maisonneuve et larose,1984.

فهرس

الموضوعات

أ	مقدمة
12	مدخل
الفصل الأول	
القرآن الكريم، مصدر التشريع، ومنبع العلوم	
وفيه خمسة مباحث:	
41	المبحث الأول: المصدر الأول للتشريع
41	مصدر القرآن الكريم
48	مفهوم الوحي
47	أدلة ثبوت الوحي
53	المبحث الثاني: مفهوم القرآن الكريم
53	مفهوم القرآن
60	صفات ومميزات القرآن الكريم
64	أول ما نزل من القرآن الكريم
65	نزول القرآن ابتدائي وسبيي
66	كتابة القرآن وجمعه
69	المبحث الثالث: علم التفسير
69	تعريف التفسير
72	التفسير بن المعنى القرآني والمعنى الاصطلاحي

75	أصول التفسير المتفق عليها عند المفسرين
76	الغاية من علم التفسير والحاجة إليه
77	التحدي والإعجاز في الخطاب القرآني
78	نماذج من الإعجاز والتحدي
81	المبحث الرابع: الإشكالات المثارة حول القرآن
84	نماذج من هذا التيار
85	القرآن الكريم والكتب المقدسة
87	أهم الدراسات التي تناولت القرآن الكريم
92	المبحث الخامس: أسماء القرآن عند أركون

الفصل الثاني

القراءة المعاصرة والخطاب القرآني

وفيه أربعة مباحث هي:

102	المبحث الأول: القراءة المعاصرة، مفهومها، منطلقاتها
103	القراءة المعاصرة
104	مفهوم القراءة المعاصرة
108	مداخل المعاصرة
109	القرآنية الحديثة للقرآن الكريم

111 جذور ومنطلقات القراءات المعاصرة للقرآن الكريم
112 الاستمداد التراثي للقراءات المعاصرة
115 القراءات المعاصرة والفقہ الإسلامي
116 القراءات المعاصرة وحرية الرأي
118 المبحث الثاني: إشكالات القراءة المعاصرة للخطاب القرآني
118 مفهوم الإشكالات
124 المرحلة الشفهية والكتابية للخطابات الدينية
130 المبحث الثالث: منهج دعاة القراءة المعاصرة للخطاب القرآني
130 مفهوم المنهج
131 أهمية المناهج في الدراسات اللسانية الحديثة
132 إشكالات المناهج المعاصرة
134 أسباب ظهور إشكالات المناهج
136 تعدد القراءة المعاصرة للخطاب القرآني
134 آليات توحيد اختلاف الاتجاهات في فهم الخطاب القرآني
139 المبحث الرابع: شروط وضوابط القراءة المعاصرة للخطاب القرآني
140 العلم باللغة العربية
141 العلم بالقرآن الكريم

142 العلم بالسنة النبوية
149 العلم بأحوال الصحابة وأقوالهم
149 الدعوة إلى نزع القداسة عن النص القرآني

الفصل الثالث

الخطاب القرآن ومناهج تحليله

وفيه خمسة مباحث هي:

153 المبحث الأول: الخطاب الأدبي
154 مفهوم الخطاب
159 مرجعية تحليل الخطاب
161 المبحث الثاني: الخطاب والنص
161 مفهوم النص
163 مصطلح النص عند الفقهاء
164 مصطلح النص عند الأصوليين
166 النص في الدراسات اللغوية الحديثة
167 النص في القراءات المعاصرة
168 الفرق بين النص والخطاب
169 الخطاب في التراث العربي

172	مصطلح الخطاب في الفكر الغربي المعاصر
177	المبحث الثالث: الخطاب القرآني عالميته، تجلياته
177	عالمية الخطاب القرآني
179	ملامح وتجليات عالمية الخطاب القرآني
181	شبهات واعتراضات حول عالمية الخطاب القرآني
182	نفي عالمية الخطاب القرآني
184	الخطاب القرآني ونعيم الجنة
185	الخطاب القرآني واللسان العربي
187	الخطاب القرآني والعربي
188	الخطاب القرآني وأهل الإيمان
189	تحريف عالمية الخطاب القرآني
191	المبحث الرابع: مناهج تحليل الخطاب القرآني
191	مصطلح المنهج في الدراسات الإنسانية
193	فهم الخطاب القرآني في ضوء المناهج المعاصرة
194	الخطاب القرآني واللسانيات
194	اللسانيات
196	النبوية

198	التفكيكية.....
200	الهرمينوطيقا.....
204	الدراسة الفينومونولوجية.....
205	آليات ومناهج أخرى.....
206	منهج تحليل الخطاب.....
207	النظريات التي طبقت.....
211	المبحث الخامس: تداعيات تطبيق المناهج المعاصرة في فهم الخطاب القرآني.....
211	المناهج المعاصرة والخطاب القرآني دراسة نقدية.....
212	نقد الأرضية أو المنطلقات التي اعتمدها القراءات المعاصرة.....
217	نقد تطبيق المناهج الغربية في قراءة الخطاب القرآني.....

الفصل الرابع

الخطاب الديني المعاصر آفاق ورهانات

وفيه مبحثين:

223	المبحث الأول: الخطاب الديني المعاصر: مفهومه، منطلقاته، ضوابطه، ومآلاته.....
224	مفهوم التجديد.....
227	منطلقات التجديد في الخطاب الديني المعاصر.....
2283	ضوابط تجديد الخطاب الديني المعاصر.....

229 معنى التجديد في الخطاب الديني المعاصر
231 الخطاب الديني بين التجديد والتقليد
231 قصدية الخطاب الديني ومآلاته
234 المبحث الثاني: القرآن الكريم والمنصفون
236 الشهادة الأولى
236 الشهادة الثانية
237 الشهادة الثالثة
237 الشهادة الرابعة
238 الشهادة الخامسة
239 الشهادة السادسة
239 الشهادة السابعة
240 الشهادة الثامنة
241 الشهادة التاسعة
242 الشهادة العاشرة
243 الشهادة الحادية عشر
244 الشهادة الثانية عشر
245 الشهادة الثالثة عشر

246 الشهادة الرابعة عشر
247 الشهادة الخامسة عشر
250 خاتمة
258 فهرس الآيات القرآنية
270 قائمة المصادر والمراجع
288 فهرس الموضوعات

هذه الأطروحة الموسومة بـ " المنطلقات الفكرية وإشكالات المنهج في القراءات المعاصرة للخطاب القرآني " تهدف إلى النظر في جملة من القراءات المعاصرة وآليات الفهم المعرفية الحديثة، التي دعا أصحابها إلى تطبيقها على الخطاب القرآني، وإعادة قراءته وفهمه من جديد، بحجة أن القراءات القديمة، والمناهج الكلاسيكية المعتمدة في قراءة النص الديني عموماً لا تواكب العصر، ولا تساير التطور، ولا تتماشى مع آخر النظريات اللسانية والبنوية، كما تسعى هذه الدراسة إلى إبراز الخلفيات الفكرية لرواد هذه المناهج النقدية المعاصرة، لأن كل منهج معاصر، إلا وله بيئته أنبثته، وظروف تاريخية أوجدته، وخلفيات فكرية وإيديولوجية حوته، مما أوقع النقاد في إشكالات متعددة واضطراب كبير، خاصة عند تطبيق هذه المناهج على الخطاب القرآني، الذي له خصوصية وقداثة وتبجيل، تميزه عن غيره من النصوص الأدبية الأخرى القديمة والحديثة.

وخلصت الدراسة إلى أن هذه الآليات المعاصرة وإن كانت قد أفادت اللغة العربية كثيراً، ولكنها لم تضيف شيئاً جديداً ومفيداً للخطاب القرآني، بل اضطرب أصحابها في تطبيقها عليه، خاصة بعد إحداث القطيعة مع كل ما هو كلاسيكي وقديم وفشلوا حتى في ضبط مفهوم علمي دقيق ومحدد لها، وفق الأطر والأسس العلمية والمنهجية.

Résume :

Cette thèse intitulée «**les démarches spirituelles et les problématiques de la méthodologie dans des lectures contemporaines du discours coranique** » vise à examiner un certain nombre de lectures contemporaines et de mécanismes de la compréhension cognitive moderne.

Ce qui a poussé les partisans de cette théorie à les appliquer au discours coranique, à le relire et à le comprendre à nouveau, sous prétexte que les anciennes lectures et les méthodologies classiques adoptées dans la lecture du texte religieux en général ne suivent pas le rythme de l'époque, ne suivent pas l'évolution et ne sont pas compatibles avec les dernières théories linguistiques et structurelles.

Cette étude cherche également à mettre en évidence le contexte spirituel des réponses de ces méthodologies de la critique contemporaine, car chaque méthodologie contemporaine a son environnement, ses conditions historiques, son idéologie, ce qui a poussé les critiques de tomber dans des confusions et des problèmes et une grande perturbation, en particulier dans l'application de ces méthodologies sur le discours coranique, qui a une sainteté et une révérence particulières le distingue des autres textes anciens et modernes.

L'étude a conclu que ces mécanismes modernes ont beaucoup apporté à la langue arabe, mais n'ont rien ajouté au discours coranique, mais ont plutôt gêné l'application de ces méthodologies, surtout après la rupture avec les théories classiques et anciennes, ils ont échoué à déterminer son concept scientifique selon les fondements de la science reconnus.

Summary :

This thesis is based on the intellectual principles and the problems of the methods in the contemporary readings of the Qur'anic discours, It aims at looking at the number of contemporary readings and modern cognitive understanding mechanisms, which the authors called for to apply to the Qur'anic discours and to re-read it and understand it again, And the classical methods adopted in the reading of the religious text in general do not keep pace with the times, and does not correspond to evolution and not consistent with the latest linguistic and structural theories.

This study also seeks to highlight the intellectual backgrounds of the resposes of these contemporary monetray methods, because each contemporary approach only has its own environment, its historical conditions and its ideological backgrounds and ideology, which has caused critics to have multiple problems.

And a great disturbance, especially in the application of these approaches to the koranic discourse, whiche has a special sanctity and reverence, distinguish it from other texts of other ancient and modern.

The study concluded that these modern mechanisms, if they have benefited the Arabic language a lot, but did not add anything new or useful to the koranic discourse, but rather troubled the owners in applying it, especially after the break with the classical and old, and failed even in the control The concept of scientific precise and specific, according to the frameworks and scientific and methodological fondation.